

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي اليابس

سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية



# مشكلة المذهب اللامادي وقضايا تفكير التنمية

أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه ل م د  
تخصص: ابستمولوجيا التنمية و العلوم الاجتماعية

إشراف الأستاذ الدكتور:

رايس زواوي

إعداد الطالبة:

مسهل سعاد

## أعضاء اللجنة المناقشة:

| الرقم | الاسم واللقب       | الدرجة               | جامعة الانتماء    | الصفة        |
|-------|--------------------|----------------------|-------------------|--------------|
| 01    | سيد أحمد مخلوف     | أستاذ التعليم العالي | جامعة سيدي بلعباس | رئيسا        |
| 02    | رايس زواوي         | أستاذ التعليم العالي | جامعة سيدي بلعباس | مشرفا ومقررا |
| 03    | جلول بن طرات       | أستاذ محاضر "أ"      | جامعة سيدي بلعباس | مناقشا       |
| 04    | زين العابدين مغربي | أستاذ محاضر "أ"      | جامعة سيدي بلعباس | مناقشا       |
| 05    | محمد دليل          | أستاذ محاضر "أ"      | جامعة تلمسان      | مناقشا       |
| 06    | محمد حفيان         | أستاذ التعليم العالي | جامعة سعيدة       | مناقشا       |

السنة الجامعية: 2019م / 2020م





# كلمة شكر

الحمد لله والشكر له أولاً، الذي شرح لي صدري و يسر أمري، و خفف عني وزري وأحل عقدة من لساني، وأفقهه قولي، ووفقني في إتمام هذا العمل المتواضع، ملك الملوك به استعينت وعليه توكلت فهو خير المتوكلين.

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير لكل من أسهم في إخراج هذه الرسالة إلى النور، وأخص بذلك أستاذي الفاضل الدكتور " ريس زواوي " على تفضله قبول الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما قدمه من النصح والتوجيه والإرشاد وعلى صبره علينا طول هذه المدة رغم الارتباطات والانشغالات فجزاه الله كل خير.

وبكلماتي المتواضعة أتوجه بخالص شكري إلى كل من كانت له يد الفضل في بلوغ هذا العمل .

وإلى كل من ساهم بهذه المساعدة والعون ولو بكلمة الطيبة من قريب أو بعيد في الوصول في سبيل إنجاز هذا العمل المتواضع.

# إهداء

إلى التي أدعوا الله أن يمنحها الصحة والعافية بفضل دعواتها لي بالخير والتوفيق أُمي الغالية.

إلى من ساندني طوال حياتي " والدي " رحمه الله

كما أهدي هذا العمل إلى كافة أساتذة قسم العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة الجليلي

اليابس بسيدي بلعباس، وإلى كل زملائي.

## قائمة المختصرات

| الرمز | معناه         | المثال      |
|-------|---------------|-------------|
| ص     | صفحة          | ص30         |
| ط     | طبعة          | ط1          |
| د.ط   | دون طبعة      | د.ط         |
| د.س   | دون سنة       | د.س         |
| د.ن   | دون نشر       | د.ن         |
| ج     | جزء           | ج2          |
| مج    | مجلد          | مج1         |
| تر    | ترجمة         | ترجمة: فلان |
| ع     | عدد           | ع3          |
| د.ع   | دون عدد       | دع          |
| م     | ميلاد         | 2014م       |
| الخ   | إلى آخره      | .....الخ    |
| "..." | علامة التنصيص | "....."     |
| Ibid  | المرجع السابق | IDIB ,P54   |

مُقَلَّمَةٌ

# مقدمة عامة

## تقديم:

يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالفكر، وهذا الأمر هياً في أن يبحث في وجوده وماهيته والغاية من ذلك ومن الذي أوجده، وباختلاف مناحي التفكير عند الفلاسفة اختلفت الاجابات عن تلك الأسئلة حتى في المذهب الواحد نفسه والتفسير المادي للوجود كان أحد الاجابات عن الأسئلة السابقة التي تقوم على أساس أولوية المادة (الطبيعة-الواقع الموضوعي) ويعتبر الوعي صفة لها، أي أن السمة الأساسية للمادية هي تفسير العالم انطلاقاً من نفسه بدون اضافات غيبية، وإن عملية البحث في الفلسفة بوصفها شكلاً من أشكال التعبير الإنساني تعد مسألة هامة، حيث تدعو إلى مواصلة البحث المستمر في فلسفة الإنسان دون أن ننسى أن لهذا الإنسان عقائد دينية محضة مما جعل الفلسفة تهم بالدين منذ القديم، لأن الإنسان كان مكبلاً بقيود الكنسية طوال فترة الظلام المسماة بالعصور الوسطى، والتي استمرت أكثر من عشرة قرون، كان الانسان خلالها مطالباً بالطاعة العمياء لرجال الدين، ولكن من بداية عصر النهضة الأوروبية التي تعتبر تغييراً في الفكر والتي نجم عنها أيضاً تغيير في جميع شؤون الحياة، والتي تضمنت أفكار الاهتمام بالإنسان وإظهار ما يسمى بالترعة الانسانية التي شغلت ذهن الكثير من الفلاسفة والمفكرين لاهتمامهم بهذا الجانب دون أن ننسى أن للترعة الإنسانية جذور وأسلاف في الفكر اليوناني القديم، ثم تطورت واكتملت ووصلت إلى مرحلة النضج في عصر النهضة، بعد ذلك تتابعت التطورات الدراسية حتى وصلت في العصر المعاصر، ومع بداية القرن العشرين وما شهدته هذا العصر من تغيير على مستوى المفاهيم من خلال الفلسفة المعاصرة، بحيث أن مفهوم التنمية أخذ دلالة اقتصادية ذات بعد مادي، وإن المشروع الحضاري التنموي يعبر عن نظرة عميقة للتأزم الحاصل للذات الغربية ومختلفة القضايا الحضارية من حيث هي نظرة شاملة ومتكاملة لمسائل الحياة الإنسان الثقافية، وتشكل المد الثقافي الغربي وكل ما يطرحه الواقع من مشاكل وهموم، ومن هذا المنطلق نجد أن هناك أزمة تنمية تعانيها بعض الدول النامية، حيث أصبح الإنسان مستهلك لا مبدعاً، مستسلماً للواقع إذا كان من المفترض أن يكون فاعلاً فيه، وذلك لغياب الوعي والتهميش الذي يعانيه سيجعل منه يعاني من

## مقدمة عامة

أزمة وجودية بالدرجة الأولى، ونظر لأهمية التنمية والسعي لتحقيقها في واقع المجتمعات الإنسانية، ولا سيما المتخلفة منها، فإن مفهوم التنمية أصبح عنوانا للكثير من السياسات والخطط والأعمال على مختلف الأصعدة، كما أصبح هذا المصطلح مثقلا بالكثير من المعاني والتعميمات وإن كان يقتصر في غالب الأحيان على الجانب الاقتصادي، ويرتبط إلى حد بعيد بالعمل على زيادة الإنتاج الذي يؤدي بدوره إلى زيادة الاستهلاك لدرجة أصبحت معها حضارات الأمم تقاس بمستوى دخل الفرد، فإن جعل الإنتاج مقياسا للتنمية، فهذا المقياس قد حقق نجاحا باهرا في البيئة الغربية لأن هذا التوجه في العملية التنموية كان متماشيا ومنسجما مع النظرة الغربية للكون والإنسان والحياة.

وعرفت البشرية في النصف الثاني من القرن العشرين نمو لم يسبق له مثيل حيث نمت الاقتصاديات في العالم نموا هائلا، وكانت الإيديولوجيات السائدة تنظر إلى النمو على أنه أمر جيد للمجتمعات البشرية، فهو يخلق الوظائف ويزيد الدخل والسلع ويوفر الخدمات الضرورية للناس، حيث لا شيء يوجد من العدم، فلكل سبب مسبب، ولكل ظاهرة خلفياتها ومسبباتها، سواء أكانت الظاهرة طبيعية أم إنسانية، وما الحداثة الغربية إلا وليدة تراكمات ومسيرة تاريخية طويلة ترزح بين التعثر والنهوض، وحول ما تحقق فيها من تمدد مادي وتكنولوجي، وبالمقابل قمة التعثر الإنساني والروحي، وظهور الأزمات النفسية والثقافية وحتى السياسية والحضارية... أو غيرها، التي لعبت دورا كبيرا في حياة الإنسان وعلاقاته في كثير من المجالات المختلفة وذلك لتحقيق كل رغباته وخاصة الاقتصادية والحضارية وكذا الثقافية، وقد شغلت العقل مقولة العقل حيزا في الفلسفة منذ القديم سواء في الفلسفة الغربية أو العربية، ويلاحظ أن هناك تأرجحا بين تزييل العقل لعالم الطبيعة/المادة والتجربة، باعتبارها جزء لا ينفصل عنها (عقل مادي) وبين كونه يسمو عليها ويستقل عنها (عقل غير مادي /مثالي) وأهم أهداف العقل المادي تفكيك الإنسان وتجميد قواه الروحية وحصره في عالم المادة وتحويله إلى شيء ولنتصور لو أن العالم كله عبارة عن عقول مادية فماذا سيحدث للإنسان؟

## مقدمة عامة

إلا أن اللامادية هي اثبات للحقائق اللامرئية التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة وتعتبر في العالم الغيبي اثباتا ذاتيا، وجد في جوهر خفي وغامض، لا نعرف عنه شيئا وتتمثل للأشياء بانطباعاتنا الحسية عنها، وهو مذهب يذكر وجود المادة (عالم المادة/الطبيعة) وأن الوجود هو الإدراك وإذا لم يكن الشيء مدركا لم يكن موجودا، وأن الروح هي أصل والمادة هي الوازع على العكس من الفلسفة المادية القائلة بأن المادة أصل والروح هي الفرع، فالعالم الخارجي موجود في العقل الإلهي.

وقد تراجع الوازع الديني في قلب الإنسان، سواء الغربي أو العربي، فالغربي يعيش في كهف علماني مادي، وكان نتيجة ذلك أن تفوق مادي وتراجع روحيا ومعنويا، وقد سار العرب على درب الغرب، وبدأ يتراجع الوازع الديني في ضمير العربي، فالدين هو القانون الأعظم الذي يضمن الحرية والسعادة والنجاة للإنسان، فمن سار في دربه حقق طعم الراحة والرضى الروحي، ومن همشه تدهور حاله وازداد ضياعا، واتجه يوما بعد يوم نحو عالم الماديات حتى يغدو كائنا متشيئا، ولعل أهم عامل مؤدي إلى خلخلة توازن الوازع الديني في نشر قيم السوق والاستهلاك والاباحية وتجلب الإنسان إلى عالم الدنيا، وكانت هذه أهم الاستراتيجيات التي اتبعها المفكرين المحدثين الفرنسيين من اغراء الإنسان، دون أن ننسى في ثقافتنا الغربية نجد بعض الاهتمام لدى مالك بن نبي، طه عبد الرحمن وحسين مروة، الطيب التيزيني... وآخرون.

يتجسد المذهب اللامادي على الخصوص وبشكل أبرز في تطوير قضايا الفكر والتنمية في الجانبين الروحي والمادي، وعلى هذا الأساس كان اختيارنا لهذا الموضوع لمعالجة هذه الفكرة والتوغل إلى صلبها للكشف عن الخلفيات النظرية لمشكلة المذهب اللامادي وقضايا التنمية في مختلف جوانبها.

إذن نحن في صدد البحث هذا نأمل في الكشف عن كيفية فهم المذهب اللامادي من خلال مفاهيمه واشكالته المعرفية والوجودية في قضية التنمية في أبعادها المختلفة معرفيا، اقتصاديا، سياسيا، اجتماعيا...ومن خلال هذا الطرح للموضوع الذي وقع اختيارنا عليه وجدنا أنفسنا أمام

## مقدمة عامة

مشكلة المذهب اللامادي وقضايا الفكر والتنمية، بكل ما يحمله هذا الموضوع من تشابكات ومفاهيم يصعب ضبطها على اتساع مساحتها العلمية والمعرفية، وتشعب اتجاهات التنمية في شتى مجالات الحياة المختلفة فجعلنا عنوان الأطروحة على منهاج التساؤل المطروح حول المذهب اللامادي في قضايا الفكر والتنمية، وهنا تطرح لدينا جملة من الاشكالات يمكن إجمالها على النحو التالي:

ما هي المفاهيم المختلفة للمذهب اللامادي؟ وما مفهوم التنمية؟ كيف تطور المفهومين في تاريخ الفكر والفلسفة؟ ماهي خلفيات المذهب اللامادي وعلاقته بقضايا ومشكلات التنمية؟ هل هناك علاقة جدلية بين اللامادية والتنمية في تحقيق تنمية حضارية؟ ما هي أهم الانتقادات والاستراتيجيات لوضعية الإنسان والمجتمع؟.

إن هذا الموضوع أملته جملة من الدوافع منها؟

توجد عدة أسباب دفعتنا لاختيار هذا الموضوع نجملها فيما يلي:

- القناعة الشخصية بأن قاطرة إي نهضة تنموية في أي بلد تبدأ بالبشر بوصفهم الوسيلة والهدف.

- تقديم دراسة لمشكلات وقضايا التنمية في مختلف جوانبها المعرفية والنفسية والاجتماعية وكذا السياسية.

- نقص الدراسات التي تناولت مشكلات الجانب الروحي للإنسان من خلال ثقافته وحضارته والجانب المادي من خلال استهلاكه وإنتاجي المادي أي ما بين (المادي/المثالي).

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التأكيد على أن التنمية لا تقوم على المقومات المادية فقط بل هي تستند على المقومات والمبادئ الروحية التي تتعلق بتكوين الإنسان وفعالية المجتمع وتطوير الاقتصاد والسياسة من منطلق روحي، أما الجانب المادي ما هو إلا انعكاس فقط للجوانب الروحية



# مقدمة عامة

والثقافية في شكل منجزات حضارية، وللتحقق من فرضيتنا والإجابة عن الإشكالية وفروعها، انتهجنا جملة من المناهج افترضتها طبيعة البحث أولها المنهج التحليلي قد عكفنا من خلاله المذهب اللامادي وقضايا التنمية في المنظور الفلسفي عبر عصوره المختلفة، باعتباره يناسب الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية. حيث عن طريقه يتسنى لنا تحليل واقع اللامادي أي (البعد النظري) والتنمية أي (البعد العملي).

كما قادتنا متطلبات البحث إلى اتباع الخطوات التالية في بناءه، حيث قسمناه إلى مقدمة اشتملت في الأساس على التعريف بالموضوع ومدى أهميته، وقد حددنا الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع مع ذكر المنهج المتبع، وأهم الصعوبات التي اعترضتنا في إنجازه، كما اشتملت على اشكالية أساسية للبحث وما فرع عنها من اشكاليات جزئية وللإجابة عنها اعتمدنا خطة البحث كالتالي:

الفصل الأول: فقد عنوانه: السياقات التمهيدي للبحث الذي ينقسم إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول معنونا بالسياق المفاهيمي، أما المبحث الثاني: السياق الكرونولوجي التاريخي، أما المبحث الثالث: السياق الاشكالي للبحث، ثم الفصل الثاني بعنوان المذهب اللامادي بين البعد النظري والبعد العملي "التنمية"، وهو بدوره ينقسم إلى أربعة مباحث: المبحث الأول: الخلفيات النظرية للمذهب اللامادي، أما المبحث الثاني: المذهب اللامادي عند جورج بركلي، أما المبحث الثالث: قضايا ومشكلات التنمية، أما المبحث الرابع: الخلفيات اللامادية لقضايا ومشكلات التنمية، كما عنوانا الفصل الثالث: العلاقة الجدلية بين اللامادية والتنمية، "البعد النظري وعلاقته بالبعد العملي"، الذي تمثل في: المبحث الأول: مزالق وسلبيات المذهب المادي الصرف في تحقيق التنمية الحضارية "يمكن نقد وتقييم فكر حسين مروة، وفكر الطيب التيزيني"، أما المبحث الثاني إيجابية وفعالية المذهب اللامادي (الروحي/العقلاني) في تحقيق التنمية الحضارية "يمكن الاستناد على فكر مالك بن نبي، وفكر طه عبد الرحمن"، أما المبحث الثالث: التنمية الروحية أساس التنمية المادية "الثقافة تسبق الحضارة وتؤسس لها"، أما المبحث الرابع "نظرة التنمية المادية" الثقافة تسبق الحضارة وتؤسس لها"، أما المبحث الرابع "نظرة نقدية تقييمية عامة في نتائج استراتيجيات التنمية (وضعية الانسان والمجتمع)، ثم خاتمة.

# مقدمة عامة

وقد استند البحث في رحلته هذه إلى جملة من المصادر أهمها:

Jordi pigem « buena crisis hacia un mundo postmaterialista »

La odisea de occident modernidad y ecosofia »

-كتب عبد الوهاب المسيري كـ: "الفلسفة والمادية وتفكيك الإنسان"، كافين رايلي الغرب والعالم"، كتب "فكرة الألوهية في فلسفة بركلي" لـ فريال حسين خليفة.

-كتب مالك بن نبي: "مشكلات الحضارة وجهة العالم الإسلامي" شروط النهضة "مشكلة الثقافة"

-حسين مروة "التراث العربي" "التزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية"

أما المراجع فكان أهمها: "رأس المال" لكارل ماركس، روح الحداثة لطفه عبد الرحمن "ثقافة التنمية، دراسة في أثر الرواسب الثقافية على التنمية المستدامة" لكامل عبد المالك، ومعالم على طريق تحديث الفكر العربي" معن زيادة، "أصول الاجتماع السياسي التفسير والتنمية السياسية" محمد على محمد.

كما نود أم نقر ببعض الصعوبات التي اعترضتنا حول طبيعة البحث كأبي بحث علمي سبق من أهمها" غموض مصطلحات المذهب اللامادي وكيفية تجسيده في الواقع كذلك واجهة صعوبة في ترجمة الكتب للمفكر الاسباني Jordi Pigem من اللغة الاسبانية إلى اللغة العربية، وصعوبة مصطلحات حضارية ما زالت تحيا مصطلحات قديمة، في فهم الوجود وعلاقته بالتنمية العملية، وكذلك عدم توفر المادة العلمية حوله، وفي الأخير ختمنا دراستنا بحوصله لأهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال البحث والدراسة، وعقبنا جملة من الملاحق وقائمة الببليوغرافيا وفهرسة الأعلام والمصطلحات وفهرس المحتويات.

# الفصل الأول

السياقات التمهيدية للبحث

## المبحث الأول: السياق المفاهيمي

إن من طبيعة الإنسان "التفلسف" أي البحث عن الأشياء وعللها وتفحصها وتفهمها، فلا تقدر أي سلطة في الوجود، حتى الدينية منها، أن تقيد الفكر وتمنعه من الانطلاق من عقاله، هذا إلى أن العقائد الدينية المحتملة على الجميع لم تكون طفرة واحدة، إنما يجب التمييز بين زمن تشكلت فيه وبين زمن الذي تتم فيه تكوينها، وتسلمت على العقول والأذهان فحددت دائرة يقينية لا تتعدها معرفة بني الإنسان، فالمجتمع المثالي في الفكر الفلسفي يعني نظاما متعددة ومذاهب مختلفة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين، الأمر الذي يؤكد عمق الصلة بين الفلسفة والمجتمع، ويظهر بجلاء أن تاريخ الفلسفة سجل حافل للكفاح العقلي من أجل الحياة، ممثلة في حقائق الوجود الكبرى، ومكانة الإنسان في الكون حوله، ومناهج البشر نحو السعادة.

### أولا: المذهب اللامادي:

بتعدد المذاهب الفلسفية تتعدد الغايات والأهداف لأن نسقا بلا هدف معناه نسق بلا مشكلات، أي أنه ليس شيئا على الإطلاق، حيث تعتبر فكرة الألوهية، الفكرة المركزية في فلسفة جورج بركلي **George . Barekeley**<sup>(1)</sup> حيث يقول: "إن الهدف الأساسي من أعمالي هو النظر في الله وفي واجبنا، وسأعتبر كل أعمال عقيمة وبلا جدوى إذا لم أستطع أن أهتم قرائي بالمعنى الديني عن وجود الله".

البيوت والجبال والأنهار والأشجار كلها موجودة هناك حتى لو لم يكن أحد يشاهدها، أليس ذلك صحيحا...ربما...، لكن وفقا بركلي إذا كانت لا تزال موجودة هناك عندما لا تنظر إليها فإن ذلك ليس للسبب الذي يظنه معظم الناس، فإن الأسقف بركلي يحاول إثبات لا مادية الأشياء.

<sup>1</sup> - جورج بركلي فيلسوف إنجليزي عاش في القرن السابع عشر (1753/1675) وهو ذو نزعة لاهوتية متشددة، فيلسوفا بريطانيا، إيرلندا يعتبر من أهم مساندي الرؤية الجوهرية في القرن الثامن عشر ميلادي، أدعى بركلي أنه لا يوجد شيء اسمه مادة على الإطلاق.

الرؤية التي تقول أن المادة غير موجودة، كل ما هو موجود في العالم هو أفكارنا وعقولنا المدركة يبدوا ذلك سخيفا لكن فكرته أكثر دقة مما فهمه منها (دكتور سامويل جونسون) عندما رد على ما فهمه من بركلي بأن ضرب حجرا وقال: ها قد دحضت فكرته بهذا! فبركلي من جانبهِ توقع أن يؤدي جونسون إلهام قدمه بهذه الضربة، لكن ما قصده أن ما نسميه بالمادة هو في الحقيقة مجرد تجربة حسية فعلية ومحتملة ومن ضمنها تجربة ارتطام إبهام قدمك بالحجر، هناك طرق كثيرة لاختيار الاحساس بالحجر، برؤيته، أو شمه أو لمسه، أو ركله، لكن بركلي لم يكن يظن أن هناك شيء مادي كامن وراء الخصائص الحسية التي تسببه الحجر هو التجربة الحسية نفسها، "أن تكون: هو أن تكون محسوسا أو ماذا عن تلك الشجرة التي تسقط في الغابة فلا أحد يراها أو يسمعها تلك الشجرة غير محسوسة، هل هي إذن موجودة؟ بركلي كان يعتقد أنها موجودة فعلا، ليس لأنه ربما هناك حشرات أو طيور لتحس بها، لهذا كان بركلي رجلا شديدا التدين ويعتقد بأن الله يدرك كل شيء لذا فإن كل شيء يستمر بالوجود حتى إن لم ينظر إليه أحد لأن عين الله دائما عليه.

لهذا ينكر بركلي وجود المادة والعلية الطبيعية ويجعل الأفكار أشياء سلبية منفصلة لا تقوم بمعزل عن العقل لأن المحافظة على الألوهية والحياة الروحية تقتضي بالضرورة أن لا يكون ثمة وجود لعلة فعالة ثابتة تسير وجود الكون أو تحكم عدا إرادة الله.

لقد استطاعت الكنسية أن تمارس دورها الفكري والسياسي والاجتماعي، ولكن أن بدأ يشرق عصر النهضة حتى بدأت سلطة الكنسية بأبعادها الفكرية والسياسية والاجتماعية في الانزواء جانبا حيث انتشر الصراع الديني وتفتتت الوحدة العقائدية وانتقل البحث في المعرفة الطبيعية الى مرحلة جديدة وحيوية على يد كويويكوس (1473-1543) وجاليليو (1564-1644) حيث أصبحت الظواهر الطبيعية تشرح وتفسر على أساس أو بواسطة قوانين الطبيعة، ويعبر عنها في صيغ كمية وبذلك تزعزعت الثقة بل انحصرت التصورات والمفاهيم الأرسطية عن الطبيعة والكون وظهر قصورها.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - فريال حسن خليفة، فكرة الألوهية في فلسفة بركلي، مكتبة الجندي، جامعة عين الشمس، الطبعة الأولى، 1997، ص 24.

ومن ثم اتسع المجال للعلم والفكر العلماني الذي لم يصبح ذا نفوذ إلا في القرن السابع عشر وهو القرن المسمى بعصر العقل وتسميته بعصر العقل لا تدل على التجانس بقدر ما تدل على الاختلاف وإن كان التجانس لا يتجاوز فقط الالتقاء على قيمة العقل، والالتقاء على قيمة العقل مردود إلى الالتقاء على قيمة الذات وهي تعتبر من بديهيات النظام الاجتماعي الجديد، ولكن التطور لا يستند إلى الذات فقط، بل إلى الموضوع الذي ينحصر في أمرين وهما: سيادة الاتجاه العلمي، وانتشار الفلسفة المادية.<sup>1</sup>

ولهذا فإن العصر الحديث يسعى وراء هدفين أساسيين:

أ- النهوض بالعلم باعتباره الوسيلة الفعالة لمعرفة حقيقة العالم والأشياء .

ب- وضع أصول فلسفية جديدة تحل محل فلسفة العصور الوسطى التي كانت في خدمة الدين .

ولهذا تعددت المذاهب الفلسفية بل المواقف الفلسفية وأصبح الفكرة الأساسية هي فكرة الله، ورغم تعدد مواقف واختلاف منطلقاتها بين الحس والعقل والتجربة إلا أنه إذا كان هناك ثمة تسليم بما هو مطلق فهو لا يعدو أن يكون مطلق طبيعي.

واللاهوت الطبيعي أي معرفة الله من خلال الطبيعة، فالطبيعة تعلن عن وجود الله فأفلاطون آمن بوجود الله للكون<sup>2</sup>. بل وقدم براهين عليه<sup>3</sup>، رغم أنه لم يعرف الوحي، أي أن أفلاطون توصل لكل ذلك من تأمله في الطبيعة "السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه" ولهذا اللاهوت جذوره في الكتاب المقدس، فأيوب يقول: "فأسأل البهائم، فتعلمك وطيور السماء فتخبرك، أو كلم الأرض فتعلمك، ويحدثك سمك البحر من لا يعلم من كل هؤلاء، أن يد الرب صنعت هذا" (أيوب 8: 112-9)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - فريال حسن خليفة، المرجع السابق، ص 25

<sup>2</sup> - آمن أفلاطون بألهة عدة لكنه آمن في ذاته الوقت باله متساوي، صانع الكل إله الآلهة.

<sup>3</sup> - الحجة الكونية والحجة الغائية (الحجة المستمدة من النظام) والتي لا تزال حتى الآن يستخدمها المؤمنون لإثبات وجود الله، قد أسسها أفلاطون

<sup>4</sup> - صوبيل طلعت، العلم اللامعقول، إشكالية العلاقة بين الدين والعلم، دار الداعي، الصالح للطباعة والتوريدات، إسكندرية، الطبعة الأولى، يناير

2015، ص 45.

وقد تطور هذا العلم في القرون الوسطى، في الغرب على أيدي أنسلم الكاتريري، وتوما الإكويني ودانز سكوت، وفي الشرق على أيدي الفلاسفة المسلمين كإبن سينا والغزالي، وقد لعب اللاهوت الطبيعي دورا بارزا في المرحلة المبكرة للفلسفة الحديثة، فقد طوره واستخدمه كل من: ديكارت، جون لوك، جوج باركلي، لينتر، ديفيد هيوم، إيمانويل كانط.

وقد أصبحت المشكلة الأساسية في فلسفة باركلي هي إنكار وجود المادة واستقلالية العالم عن العقل حتى تسترد الألوهية دورها ومكانتها في الطبيعة والمجتمع بل والإنسان، ولا يكون ثمة وجود أو فاعلية لجوهر آخر عدا الروح، وعلى هذا فالمذهب اللامادي يتأسس على إنكار وجود المادة والعلية الطبيعية، فاللامادية في المنهج الوحيد الذي يبرزه بركلي حيث يقول: "إنني لست مندهشا لقدرتي على اكتشاف هذه الحقيقة المدهشة بل أن ما يدهشني هو غبائي وتقصيري في اكتشافها من قبل".<sup>1</sup> وإنما لا نستطيع أن نعرف وجود الروح إلا عن طريق الأفكار المثيرة فينا بما فيها من ثبات وتناسق وترابط بديع يؤكد وجود علة عاقلة مبدعة هي أساس كل ما هو موجود، ولكنها علة غير مرئية، ذلك لأن الله ليس موضوعا للإدراك المباشر ويستحيل أن يكون كذلك وليس لدينا أية فكرة عن الله أو أي روح أخرى ولذلك ثمة منهج آخر وهو (التأمل والتفكير) وهو المنهج الذي يقترحه بركلي لمعالجة موضوع الأرواح المتناهية والله...

وبهذا نقول: إن فلسفة بركلي تؤدي إلى التسليم بوجود الله دون القدرة على معرفة الله أو الاتصال به، ولم تكن تلك النتيجة عند بركلي محض بل هي عن قصد وغاية، لهذا فهو ليس لاهوتيا فقط ولكنه رجل دين في المقام الأول يريد حماية العقيدة وأن يكون لها دور في المجتمع وحياة الإنسان بكل أبعادها.

وبهذا يهدم بركلي الأساس المادي للوجود أو الطبيعة ليكون الله هو أساس ودعامة كل ما هو موجود ولا وجود لشيء بمعزل عن أساسه أي بمعزل عن العقل، حيث يقول بركلي: "أنا لا أجادل ضد وجود أي شيء إذا كنا نستطيع إدراكه أما عن طريق الحس أو عن طريق التأمل... ولا

<sup>1</sup> - فريال حسن خليفة، المرجع السابق، ص 09.

أضعه موضع تساؤل، ولكن الشيء الوحيد الذي أنكر وجوده هو ما يدعوه الفلاسفة المادة matter أو الجوهر الجسمي<sup>1</sup> corporeal substance

## 1- الواقعية: Realism

وهي حركة نشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في فرنسا وتعني الواقعية بتصوير الأشياء والعلاقات بصورة واضحة كما هي عليه في العالم الحقيقي الواقعي..، وإذا كانت المثالية بالصور العقلية المحضة أو التصوف أو الروحانية، فهي تعني بالجانب النفسي والجمالي من الأشياء، وهي كرد فعل للفلسفة المثالية، ويعد أرسطو **Aristo** أبو الفلسفة الواقعية، كما توزعت الواقعية الى عدد من المدارس ( الكلاسيكية - الدينية - العلمية) ولكن الواقعية تستند الى مبادئ هامة هي:

-الأشياء موجودة وجودا مستقلا عن الفكر اي أن الواقعية تأمن بالمادة، والمثالية تؤمن بالعقل، كذلك الثقة في الحواس والتغير و النسبية، أو يقول: كل ما غاب ومن غاب عن علمي وعلم الآخرين فلا علمين له ولا أثر...أما إدراكنا وإحساسنا بوجود شيء من الأشياء فهو مجرد صورة له وانعكاس عنه تماما كصور الوجه التي تراه العين في المرآة<sup>2</sup>.

وهذا هو معنى الواقعية، معناها بكل وضوح وببساطة أن في الواقع والخارج أشياء لا يناط وجودها ويرتبط بأي علم وتصور إلا بعلم خالقها وإرادته<sup>3</sup>.

## 2- المثالية: Idealism

للمثالية معان شتى، منها المثالية الذاتية أو اللامادية، وعنهما نتحدث في هذه الفقرة، وخلاصتها أنه لا وجود لأي شيء في الخارج إلا إذا أدركه عقل من العقول، وما لا يدركه عقل يستحيل أن يكون موجودا، مثلا السمك موجود في البحر لأننا نعلم بذلك ولو لم نعلم به لم يوجد، ومن

<sup>1</sup> -Engle and taylor, Berkeley's, principles of human knowledge wadsworthc pupliching company, inc belmontn California, 1968, 35 p 55

<sup>2</sup> - محمد جواد نفنية: مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار مكتبة الهلال دار الجواد بيروت، لبنان، ص 113.

<sup>3</sup> - قسم بعضهم المثالية إلى ذاتية تنكر وجود المادة، وتأتي الإشارة إليها، وإلى موضوعية تعترف بوجود المادة ولكن تستمدّها إلى مبدأ لا مادي، وهو الله كما يقول المؤمنون، أو إلى العقل المطلق كما يقول آخرون، وتركنا الإشارة إلى هذه لأنها تندرج تحت الواقعية، وتندرج بها.



أخص خصائص هذه المثالية القول بأن الروح أصل والمادة فرع على العكس من الفلسفة المادية القائلة بأن المادة أصل والروح فرع<sup>1</sup>.

ويتلخص دليل المثاليين بأن ما من أحد يستطيع إدراك أي شيء منفصل عن إدراكه وإحساسه، فكيف يؤمن بوجوده؟ وهل يستلهم العلم من الجهل أو من مقدور الإنسان أن ينفصل عن إحساسه وانفعاله

### 3-اللامادية: Immatrialism

في الفرنسية *immatérialisme* في الانكليزية *immatrialism* اللامادية لفظ وضعه بركلي لإطلاقه على مذهبه الفلسفي من جهة ما هو مذهب مثالي ينكر وجود المادة، ويثبت وجود الأفكار قال: لا وجود إلا للأفكار، أما المادة فإنه لا وجود لها إلا من جهة ما هي مدركة لنا، فالوجود عنده هو الإدراك، وإذا لم يكن الشيء مدركا لم يكن موجودا، وإذا كانت أذهاننا تنطوي على معان متعلقة بالعالم المادي، فتزد ذلك إلى أن إرادة الله هي التي تخلق هذه المعاني في نفوسنا<sup>2</sup>.

إن من أهم المشاكل التي تتكون منها نظرية الوجود فهي:

1- مشكلة طبيعة الوجود: أي هل الوجود ذو طبيعة مادية أم مثالية (روحية أو عقلية).

2- مشكلة الوحدة والتعدد: أي هل الوجود واحد أم متعدد.

3- المشكلة الميتافيزيقية: أي هل الوجود مقصور على الوجود المحدود بالزمان والمكان والمحسوس أم أن هناك وجود مطلق عن قيود الزمان و المكان وما هي العلاقة بينهما وأهم الحلول التي قدمت لهذه المشاكل هي<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> - محمد جواد تقنية، المرجع نفسه، ص 115.

<sup>2</sup> - جميل صليبا : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 267، 268.

<sup>3</sup> - صبري محمد خليل، مقدمة في الفلسفة وقضاياها، الناشر: الجمعية الفلسفية للطلاب جامعة الخرطوم، 2005، ص 13.

**أولاً: مذهب الوحدة:** يرى أن هناك وجود حقيقي واحد أما التنوع الذي يبدو للخبرة الأساسية العادية فهو مجرد تحليلات مختلفة لهذا الوجود الواحد ليس له أي وجود حقيقي، أما طبيعة هذا الوجود فقد انقسم المذهب إلى قسمين:

**أ- الوحدة المادة:** يرى أن المادة وحدها ذات الوجود الحقيقي أما لها سواها مثل "الفكر أو الروح" فما هو إلا انعكاس للمادة ليس له وجود حقيقي. أهم ممثلي هذا المذهب المدرسة الأيونية في الفلسفة اليونانية حيث تجد **Thales** طاليس يرجع الأشياء إلى مبدأ واحد ظهر عنه يقوم به كل شيء هو الماء، والفلسفة الحديثة نجد (دي لامتري) يرى أنه لا يوجد سوى المادة وأن التفكير ليس إلا مرحلة معقدة من التنظيم المادي.

**ب- الوحدة الروحية:** يرى أن الفكر والعقل أو الروح وحدة الوجود الحقيقي أما ما سواه (مثل الظواهر والأشياء المادة) فما هي إلا تجلي لهذا التيار أو العقل ليس لها وجود حقيقي، وفي الفلسفة اليونانية نجد **أفلاطون Plato** يرى أن وراء العالم المحسوس المتضمن للظواهر الحسية المتغيرة المتعددة يوجد عالم المثل المتضمن المعاني المعقولة الثابتة الواحدة، وهذا ما وضعه في أسطورة الكهف. أما في الفلسفة الحديثة نرى أن الفكر المطلق (المفارق لفكر الإنسان) هو الوجود الحقيقي أو أنه محكوم بقانون الجدل، أما المادة فليست إلا تعبير عن الفكر المطلق المحكوم بالجدل، أما في الفكر الإسلامي فإننا نجد مذهب وحدة الوجود كمقابل لمذهب الوحدة الروحية فأبي عربي يرى أن ثمة وجوداً واحداً فقط هو وجود الله تعالى أما الكثرة المشاهدة في العالم فهو على التحقيق تحكم به العقول القاصرة.

**ثانياً: مذهب التعدد:** يرى أن هناك تعدد في الوجود الحقيقي:

**أ- التعدد المادي:** في الفلسفة اليونانية نجد أن المدرسة الذرية حيث يقول **ديموقريطس Democritus** أن الحقيقة تنقسم إلى وجود (ذرات) ولا وجود (فراغ) وقد أخذ **أبيقور Epicurus** بالمذهب الذري بعد أن أضاف بعض التغيرات عليه.<sup>1</sup>

**ب- التعدد الروحي:** يعتبر **ليبنيز Leibniz** المؤسس الحقيقي للمذهب ويرى أن الكون مركب من أجزاء لا تقبل القسمة، وهو عبارة عن جواهر روحية أطلق عليها اسم الموانادات

<sup>1</sup> - صبري محمد خليل، المرجع السابق، ص 15.

(ومعناها الأجزاء التي لا تتجزأ) والله هو الموناد الأعظم وينفرد كل موناد عن غيره من المونادات ولكن حاصل ترتيبها هو نتيجة للتناسق الأزلي الذي أقامه الله من قبل.

## 1/ النهضة: the Renaissance

تعتبر النهضة حركة ثقافية استمرت تقريبا من القرن الرابع عشر الميلادي إلى القرن السابع عشر، وكانت بدايتها في أواخر العصور الوسطى من إيطاليا ثم أخذت من الانتشار إلى بقية أرجاء أوروبا... هناك اجمع على أن عصر النهضة بدأ في فلورنسا بإيطاليا في القرن الرابع عشر أما المعنى الحقيقي المعاصر لتحديد النهضة هو في استعادة جذورها و حركة التنوير العربي التي بدأت في القرن التاسع عشر.

أ/ هيجان أوروبا:

- قايا gaia الإلهة الأرض<sup>1</sup>: يتحدث عن نشأة الأرض لأول مرة منذ الأزل وانطوائها على نفسها على شكل كرة وعلى ظهرها شكلت جبال، ورطوبتها شكلت أمطار، وتشكلت بعد ذلك من فروعها أصل النباتات، وعلى سطحها ظهرت أول الحيوانات، ثم ظهرت النساء والرجال، ثم جاء بعد ذلك في الأسطورة اليونانية، بدأ في التاريخ اليوناني اعتبار الأرض كالإلهة أم الآلهة وبنو لها أكبر معبد سمي بمعبد كل الآلهة وكتب الشاعر اليوناني هوميروس Homer في ملحمة متحدثا عن "الأرض كآلهة وأم الجميع أصل كل ما وجد عليها وكأقدم شيء" ثم جاء بعد ذلك كتاب وشعراء كتب عن الأرض كآلهة في أساطيرهم، واستمرت الخرافات عن الأرض بآلهة.

ب/ أوروبا : القديمة<sup>2</sup>:

(قيمبوتاس Gimbutas) و هو عبارة عن كتاب أراد أن يوضح من خلاله جوردي بيخيم Jordi pigem أن ظهور ثقافة مبنية أساسا على الاحتفال بالحياة من خلال ما تركه اليونان من آثار ومعالم في حضارتهم (من معابد أو قصور...) ولا يذكر وجود حضارات أخرى أعلنت عن ثقافات متشابهة في نفس الحقيقة، متواجدة في الشرق القريب والهند، كل هذه الثقافات وجدت قبل الإمبراطوريات السومارية والمصرية، التي تعتبر لحد الآن (مهد الحضارات) ومن خلالها ظهرت

<sup>1</sup> - pigem Jordi la odisece de occide nie modernidadyecos ofia éditorial kairos, numancia, 1993, p 15.

<sup>2</sup> - ibid,p 18,20.

لأول مرة مفاهيم مختلفة، كالزراعة، الحرب، العبودية، الدولة، تجارة النساء، الفقر، وهذا يختلف عن أوروبا القديمة التي لم تحتوي لا على قبائل ولا دولة، لكن كمدن أو قرى مستقلة تتكون عدة آلاف من السكان، وعرفت بعلم استخراج الحديد والمعادن من الأرض، لكن لم يستخدم في صنع السلاح، ولم يتم بناء حصون ولم يوجد إشارة عن وجود العنف، ولم يعتقد في حضارتهم بمفهوم السلطة ولا الطبقة، ولم يعتقد بآلهة ما بعد الموت إلا بآلهة الأرض كرمز لهذه الطبيعة، والقُدوسية ومنشأ أو أساس كل شيء حي، وعبودية هذه الآلهة كانت مقتصرة على النساء، ولم يكن تفرقة بين الرجل والمرأة بل مساواة بين الجنسين، أما الفن كان مقتصرًا على حسب الكاتب "Gimbutas" على النساء في حضارة أوروبا القديمة، ولم يتم إنكار فكرة الموت في الفن القديم، لكن اعتبر كوحدة من الطبيعة، ويدخل في موجة الدوارة الطبيعة (في حمل المرأة وإيجائها... ثم موتها، ومراحل نشأة ومولد القمر أو الهلال ثم اندثاره وموته، تعاقب الفصول الأربعة...) واعتبرت الموت كحدث حتمي ينتج استمرارية الحياة.

إذا اعتبرنا المذهب اللامادي مذهب ينكر وجود المادة ويثبت وجود أفكار متصلة بالعالم الخارجي أوضعها الله فينا حتى يكون هناك علاقة بين طبيعة الوجود ذو طبيعة مثالية، وطبيعة مادية متعلقة بمفاهيم عديدة ومنها مفهوم التنمية، فالإنسان هو محور هذه التنمية الشاملة بكل مقوماتها فهي تغيير نمط الحياة التقليدية في المجتمعات النامية وتحديث وتطور كافة الإمكانيات المتاحة في الدول.

## 2- التنمية: "المفهوم وخلفياته":

يعد مفهوم التنمية من المفاهيم العالمية في القرن العشرين، حيث أطلق على عملية تأسيس نظم اقتصادية وسياسية متماسكة فيما يسمى بعملية التنمية، وبرز مفهوم التنمية بصفة أساسية بعد الحرب العالمية الثانية، وأول استعمالات هذا المفهوم كانت في المجال الاقتصادي، حيث استخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين، ثم انتقل إلى حقل السياسة، حيث ظهر كحقل منفرد بهم بتطوير البلدان نحو الديمقراطية، لينتقل فيما بعد إلى التنمية الثقافية والاجتماعية، البيئية وصولاً إلى مفهوم التنمية البشرية أو الإنسانية المستدامة.

ويعتبر مفهوم التنمية مفهومًا شاملاً له جوانب عديدة اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية وبيئية وأخلاقية، فقد بدأ الفكر التنموي بالتركيز على المفهوم الاقتصادي للتنمية وحصر هذا المفهوم على مؤشر واحد فقط هو الزيادة في مستوى الدخل، ولكن التجارب التاريخية للدول التي تبنت هذا الفكر أثبتت أن الزيادة في مستوى الدخل لا تضمن بالضرورة تحسن المستوى الصحي أو المستوى التعليمي أو المستوى الثقافي، هذا ما جعل الفكر التنموي يتطور، وخاصة في الأبعاد غير الاقتصادية، الأمر الذي جعل مفهوم التنمية يتطور في مصطلحات جديدة بين النظرية والتطبيق وهو مفهوم التنمية البشرية المستدامة، والذي يقوم على جودة حياة الأجيال والحالية والمستقبلية، وفي الوقت التي أصبحت فيها المعرفة أساساً للتنمية، ومصدراً عالمياً ومستداماً للقيمة والتبادل الاقتصاديين تتنافس على امتلاكها وإنتاجها.

مما أدى إلى إدراك المفكرين التنمويين أن البعد الاجتماعي هام وأساسي في عملية التنمية وظهر مصطلح جديد يعرف بالتنمية البشرية مع التركيز على أبعادها الثلاثة الصحة والتعليم والدخل والاستهلاك، كشرط أساسي لتحقيق التنمية الاقتصادية، والتنمية كما تبدوا في الظاهر العام لا يمكن تناولها بالتفكير المجرد فقط، بل تستنفذه معناها من الواقع المحسوس مع الكثير من الدلالات والأفكار.

### التنمية: لغة واصطلاحاً:

التنمية من الناحية اللغوية مأخوذة من نما نمواً، بمعنى الزيادة في الشيء، فيقال: نما المال نمواً أي زاد وكثر.<sup>1</sup>

وهناك اختلاف بين الناحية اللغوية بين النمو croissant والتنمية développement فالنمو يشير إلى التقدم التلقائي أو الطبيعي دون تدخل معتمد من قبل المجتمع أو الدولة، أما التنمية فهي العمليات المقصودة التي تسعى إلى إحداث النمو بصورة سريعة في إطار خطط مدروسة، كما يوجد اختلاف بين مفهوم التغير changement والتنمية، فالتغير لا يؤدي بالضرورة إلى التقدم والارتقاء، بينما غرض التنمية هو الانطلاق نحو الأفضل مستقيمة صاعدة<sup>2</sup>، فالتنمية "مفهوم يتمحور حول الإنسان والمجتمع وهو نقيض التخلف وذو صلة بكلمة النمو التي تشير بعدها اللغوي

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، المجلد 15، ص 341.

<sup>2</sup> - العسل إبراهيم، التنمية في الإسلام، مفاهيم، مناهج وتطبيقات، بيروت، لبنان، 1996، ص 59.

إلى النماء".<sup>1</sup> أما استخدام مفهوم التنمية في المجال الاجتماعي فإنه يحولها للدلالة على عمليات التغيير الاجتماعي social change التي يعني "البناء الاجتماعي عن طريق التطور الطبيعي والتحول التدريجي وعندما يستخدم مفهوم التنمية في المجال الاجتماعي، فإنه يدل على الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع عن طريق زيادة قدرة أفراد المجتمع على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى حد ممكن لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية للأفراد وبأسرع من معدل النمو الطبيعي".<sup>2</sup>

والتنمية عند حامد القرنشاوي هي: "إحداث مجموعة من المتغيرات الجذرية في مجتمع معين بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر، بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتجددة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع ذلك الحاجات عن طريق الترشيح المستمر لاستغلال الموارد المتاحة وحسن توزيع ذلك الاستغلال".<sup>3</sup>

يعتبر عبد المنعم شوقي بأن التنمية "هي العملية التي تبذل بقصد ووفق سياسة عامة لإحداث تطور وتنظيم اجتماعي واقتصادي للناس وبيئاتهم، سواء كانوا في مجتمعات محلية أو إقليمية أو قومية بالاعتماد على الجهود الحكومية والأهلية المنسقة، على أن يكتسب كل منهما قدرة أكبر على مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات".<sup>4</sup>

ولهذا اختلفت آراء حول مفهوم التنمية، فالبعض يقتصر في تحديد مفهوم التنمية على مجال معين كالمجال الاقتصادي مثلاً، والبعض منهم يرى أنها عملية شاملة لمختلف المجالات. وللتنمية جانبين: الأول تشكيل القدرات البشرية، مثل تحسين مستوى الصحة والمعرفة والمهارات، والثاني هو انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة إما للتمتع بوقت الفراغ، أو في الأغراض الإنتاجية، أو في الشؤون الثقافية

<sup>1</sup> - معلوف، لويس، المنجد في اللغة، دار الشرق، ط35، 1996، ص 813.

<sup>2</sup> - بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1997، ص 384.

<sup>3</sup> - القرنشاوي، حامد، تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي، الكويت، 1978، ص 120.

<sup>4</sup> - شوقي، عبد المنعم، تنمية المجتمع وتنظيمه، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الثانية، 1961، ص 43.

والاجتماعية والسياسية. "وما لم تستطع مناهج التنمية البشرية إيجاد توازن دقيق بين هذين الجانبين فإن الشعور العميق بالإحباط يصبح محصلة طبيعية".<sup>1</sup> إن تحقيق التنمية بالمفاهيم المجردة أمر غير ممكن، وأن إغفال دور الإنسان في انجاز برنامج التنمية، كمشارك في صنعها، فعملية التنمية لا يمكن أن تتم بمعزل عن مشاركة صانعيها والقوى الأساسية. كذلك تعرف التنمية بأنها: "حركة تستهدف تحقيق حياة أحسن للمجتمع المحلي نفسه من خلال المشاركة اللاإيجابية للأهالي، أو هي عملية التغيير والتي تحدث في المجتمع من خلال التوحد والمشاركة بين جهود المواطنين والحكومة بهدف الاستفادة من كافة الموارد المتاحة في المجتمع وتحقيق الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية".<sup>2</sup>

فالتنمية في حقيقتها عملية حضارية، لكونها تشمل مختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحقق رفاهية الإنسان وكرامته، وهي أيضا بناء للإنسان وتحرير له وتطوير لكفاءاته وإطلاق لقدراته كما أنها اكتشاف لموارد المجتمع وتنميتها وحسن تسخيرها. فالتنمية إذ هي: "عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغيرات الهيكلية والوظيفية في المجتمع وتحدث نتيجة للتدخل في توجيه حجم ونوعية الموارد المتاحة للمجتمع، وذلك لرفع مستوى رفاهية الغالبية من أفراد المجتمع عن طريق زيادة فاعلية أفراده في استثمار طاقات المجتمع إلى الحد الأقصى".

<sup>1</sup> - عارف نصر محمد، نظرية التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992، ص 39.

<sup>2</sup> - إحسان حفصى، علم اجتماع التنمية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 2004، ص 33.

## المبحث الثاني: السياق الكرونولوجي التاريخي:

يعتبر هذا التاريخ الفلسفي هو تاريخ أولئك المفكرين الذين بحثوا في العالم واحسنوا الى الانسانية بأبحاثهم الفلسفية وبيان العقائد والنظم التي قرروها، فالتاريخ هو الذي يطلعنا على حياة عظماء الرجال الذين كشفوا لنا هذا الوجود بقوة التأمل الفكري وطرق استدلالهم، ومع اختلاف آراءهم في المسائل التي تناولوها، فظهرت لنا مجموعة من المذاهب الفلسفية المتعددة، منها المذهب التجريبي المذهب التصوري، المذهب اللادرية، المذهب المادي، والمذهب المثالي. وهذا من أجل إثبات الوجود و ظاهره.

### أولاً: كرونولوجيا المذهب اللامادي:

إن العلم هو عطية أخرى كبيرة من عطايا الله للبشرية، فالعلم له شأنه في النظرة الكونية الكتابية بأن الكون هو وحدة عقلانية يمكن فهمه بسبب تناسق قوانينه وآلياته التي تصدر من ذهن الكائن الذي خلقه، لكن مع تطور العلم الغربي الحديث، هناك ميل الآن نحو تعليم مختلف المذاهب مثل المذهب الطبيعي بأن العالم المادي هو كل ما في الوجود والمذهب اللامادي الذي يرى أن الوجود هو الإدراك وإنكار المادة.

وفي عصر التنوير ظهر روينيه ديكارت *Reine Descartes* الذي نادى بأن الميتافيزيقيا علم دقيق يمكن البرهنة على قضاياه بدقة تتجاوز دقة البراهين الرياضية، فقضية وجود الله يمكن البرهنة عليها بدقة رياضية، لكن كانط *Kant* نقد حجج وجود الله وتحدث في كتابه "نقد العقل الخصب" عن عجز العقل عن إثبات الأركان الثلاثة للأديان: وجود الله والاختيار، وخلود النفس عن طريق الاستدلال<sup>1</sup>، ومن ثم فقد كان كانط *Kant* مرحلة فاصلة في الانتقال من اللاهوت الطبيعي إلى اللاهوت الإيماني\*، وأن الإيمان بالغيب من أهم خصائص الإنسان التي تميزه عن المخلوقات الدنيا، فالغيب يصل الإنسان بالوجود كله، ظاهرة وخفية، ما يعلم منه ويبصر وما لا يعلم ولا يبصر،

<sup>1</sup> - رغم نقد كانط للحجج النظرية لإثبات وجود الله كالحجج الأنطولوجية والكونية والغائية إلا أنه قدم البرهان الأخلاقي، ولا يمكن الاستغناء بالقانون الخلقي عن الله لأن الله هو الضامن للأخلاق بمعنى أنه الدال عليها، ومن ثم يكون البرهان الخلقي أقرب إلى الإثبات العالي منه إلى الإثبات النظري.

\* - اللاهوت الإيماني *fideism*: أي الاعتماد على الإيمان وحده بشكل أساسي مع الاستحقاق بدور العقل في الوصول للحقيقة الفلسفية أو الدينية.



فيربطه بالكون بماضيه، وحاضره ومستقبله، في تناغم وتوافق عميقين يقول سيد قطب في هذا المعنى: "الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان، في تجاوز مرتبه الحيوان الذي لا يردك إلا ما تدركه حواس، إلى مرتبه الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس، أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس، وهي نقله بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطوية في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير، كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض، فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديته وبصيرته، ويتلقى أصداؤه إيجاءاته في انطوائه وأعماقه، ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه وفيه في عمره القصير المحدود، وأن وراء الكون ظاهرة وخافية، حقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها، واستمد من وجودها وجوده، حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول".<sup>1</sup>

تختص هنا صعوبة المذهب اللامادي في إنكار المادة وتأكيده وجود الروح، حيث يصرح بركلي **Berkeley**: "أنه لا يجادل ضد وجود أي شيء واحد مفرد إذا كنا نستطيع إدراكه أما عن طريق الحس أو عن طريق التأمل" فمثلا الماديون يسلمون بوجود المادة وبركلي ينكرها، كما يمكن القول بنجحت اللامادية في إنكار وجود المادة وقتنا للتصورات المطروحة عن المادة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولكنها لم تصل إلى أن تجعل وجود المادة موضع اعتقاد فلسفي.

## 1- المذهب اللامادي الكلاسيكي:

ويعرف بالمذهب المثالي المفارق، ويرتبط باسم الفيلسوف اليوناني أفلاطون **Plato**، وتعني المثالية عنده أن هناك مثلاً أو صوراً لوجد للأشياء في عالم الواقع، وأن وجود هذا المثل مفارقة للأشياء، توجد هذه المثل في عقل إلهي عنده صور الصور أو المثل العليا، ولهذا سميت مثالية أفلاطون بالمثالية الإلهية، ويعتقد أفلاطون أن الأشياء جميعها الموجودة في الواقع ما هي إلا نسخ ناقصة لمثل أزلية كاملة، وأن الطبيعة الحقبة للشيء لا توجد في الظواهر التي تقدمها الحواس بل توجد في المثل، وبذلك لا يمكن معرفتها إلا عن طريق العقل وحده، ولهذا أثارت نظرية أفلاطون

<sup>1</sup> - قطب سيد: في ظلال القرآن، 40/1/البقرة، دار إحياء التراث، العربي، بيروت، 1967، ص 10.

في المادة كثيرا من النقاش، ما المادة؟ يمكننا أن نقول بحق: إن المادة وجودا، وأن لها حقيقة مختلفة اختلافا تاما عن المعاني بحيث لا يمكن أن تردّها إليها؟ هل قوام الكون ينحصر فقط في العلاقة القائمة بين المادة وبين هذه المعاني؟

إن المعقول وحده عند أفلاطون هو مقياس الحقيقة، وما لا يكون موضوعا للفكر ولا للإحساس فلا وجود له، وبالإضافة إلى ذلك، إذا كان المحسوس مشاركا للوجود واللاوجود، وإذا كان القدر الذي يحصل عليه من الوجود آتيا إليه من الصور، أو ليس من الضروري أن تفترض وجود مبدأ سالب أي "لا وجود" يستطيع التمييز بين هذا الوجود الحسي ووجود الصور؟<sup>1</sup>

ما دام أفلاطون نظر إلى المادة على أنها مجرد تصور أو تمثل مختلط لعالم الصور في عقل الفرد، لكن إلى جانب الاعتراضات الأخرى التي يمكن أن توجه ضد هذا الحل، فإنه يتعارض على نحو ما تعارضا تاريخيا مع ما قال به أفلاطون، ويضيف إليه أفكارا لم تظهر إلا في العصر الحديث.

## 2- المذهب اللامادي في العصر الحديث:

يرتبط باسم الفيلسوف بركلي **Berkeley**، ويعتقد أن وجود الشيء هو إدراكه، وأن الشيء ليس له وجود مادي مستقل عن إدراك الإنسان له، ويقرر أن الإدراكات الحسية مستقلة من العقل الذي يدركها ولذلك حاول تفسيرها بقوله "إنها موجودة في العقل الإلهي" ولا تعترف مثالية بركلي بالمادة غير موجودة، وليست إلا وهم باطل، وعلينا أن نتخلص منها ونلقي وجودها، وتبدأ فلسفته بالروح والعقل، فالعلم الخارجي موجود في العقل الإلهي.

## المذهب المثالي النقدي:

يرتبط باسم الفيلسوف كانط **Kan** فقد قدم فلسفة تدور في حدود (التجربة الممكنة) والمثالية عنده لها صفتين رئيسيتين وهما:

أ- مثالية نقدية: فقد وضع حدودا للعقل وطالب ألا يتعداها، وأن العقل يخوض في موضوعات ميتافيزيقية بالغة الصعوبة تفوق قدرته البشرية.

<sup>1</sup> - بول جانية، جبريل سباني، مشكلات ما بعد الطبيعة، ترجمة حجي هويدي، القاهرة، المركز القومي للترجمة، الطبعة 01، 2015، ص 102.

ب- مثالية شارطة: فقد وضع شرطا تجعل التجربة ممكنة وهي شروط عقلية تنظم المعرفة التي تأتي عن طريق الحواس، وهو بذلك يجمع ما بين العقل والحس في إدراك الحقيقة.

ولكن هذا لا يعني أن كانط يشك في وجود المادة والعالم الخارجي، ولكنه يقول بأننا لا نعرف شيئا يقينا عنهما خلا وجودهما، وأن معرفتنا المفصلة عنهما تتعلق بمظهرهما وظاهريتهما، بما لدينا عنهما من إحساسات فجزء كبير من كل شيء قد خلقتة صور الإدراك الحسي والعقلي، فنحن نعلم الشيء بعد تحويله إلى فكرة أما ما كان الشيء قبل هذا التحول فلا نستطيع أن نعرف، وإذا ظن العلم أنه يتناول الأشياء في حد ذاتها، وقال شوبنهاور **Schopenhauer**: "أن فضل كانط يمكن في تمييزه مظهر الشيء عن الشيء في نفسه"<sup>1</sup>.

#### \*المذهب المثالي الموضوعي المطلق:

يرتبط باسم الفيلسوف هيجل Hegel فقد جاء رد فعل للمثالية الذاتية التي قيدت وجود الشيء في الطبيعة بإدراك الذات له، ويعتقد هيجل بوجود عقل مطلق أو إلهي موجود في الطبيعة، بمعنى أن الوجود الواقعي كله هو المطلق وأن الفكر ما هو إلا مظهر لهذا المطلق، يقول هيجل "الطبيعة هي في ذاتها، في الفكرة إلهية، لكنها كما توجد فإن وجودها لا يتطابق مع فكرتها الشاملة"<sup>2</sup>. وبلغت الدين فكرة الطبيعة في العقل الإلهي هي إلهية، إلا أن تموضع هذه الفكرة في الطبيعة الموجودة، لا يمكن أن يكون إلهيا لأن الواقعة التي نقول أن الفكرة يعبر عنها في العالم المادي الذي يختلف كثيرا عن الله تعني أنه لا يعبر عنها إلا بطريقة ناقصة فحسب، ولا يمكن لله أن يتجلى بطريقة تامة في العالم المادي، ويعرف المطلق بلغة الفلسفة بأنه الروح، ومن ثم ففي استطاعته أن يتجلى بطريقة تامة في مجال الروح فحسب، والطبيعة هي شرط سابق لوجود هذا المجال لكنها ليست هي نفسها روحا، رغم أنها في بنيتها العقلية تحمل طابع الروح، وفي استطاعة المرء أن يقول مع شلنج Shilling إنها الروح في حالة نعاس أو الروح التي ترى، لكنها ليست الروح على الأصالة على نحو ما تستيقظ للوعي في ذاته. كما يعتبر هيجل في قوله: "ليس الكثير، والواحد

<sup>1</sup> - بول ديورات، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وآراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة 6، 1988، ص 345.

<sup>2</sup> - فريديك كوبلستوي، تاريخ الفلسفة، المجلد السابع (من فشته الى نيتشه) ترجمة أمام عبد الفتاح أمام محمود سيد أحمد، للمركز القومي للترجمة القاهرة، الطبعة 1، 2016، ص 254.

طرفين متناقضين كما يرى، بل هما وجهات لحقيقة واحدة يلتقيان في نهاية الأمر، لو أنك تسمو بتفكيرك إلى مرتبه، فوق المستوى الضيق المعهود، فالكمية في معناها الصحيح هي كثير في واحد وواحد في كثير، ومن الخطأ أن تحاول التفريق بين هذين الوجهين، فلن نجد واحد لا يتكون من وحدات كثيرة، ولن نجد وحدات لا تأتلق في واحد، ولو حاولت ذلك، لكنت كمن يريد أن يظفر بعصا لها طرف واحد...<sup>1</sup>.

أما بالنسبة قال ابن سينا: "لا وجود للجوهر الفرد" وقال أيضا: "الجوهر النفيس (أي الجوهر الحقيقي) مكون من هيولي وصورة" ومعنى ذلك أن كل جوهر حقيقي قائم بكثرة، بأي وجه من الوجوه".

تقوم أقدم صورة للزرعة المثالية على شرح الظواهر الطبيعية بواسطة فعل قوى غير مادية، واعتبار الطبيعة مزودة "بأرواح" تسيرها. لقد أزال نيتوتن **Knutton** من أرجاء الفضاء الملاك الحارس الذي كانت العناية الألهية قد أقامته على كل كوكب ليسيره في فلكه، كما قضى الفلاسفة الديكاريتون، من جانبهم على الزعم القائل بأن للحيوانات "نفسا" فتساءل ديرون ساخرا عما إذا كان العضو المبتور من الحيوان لا يزال مركز الحركات العضلية، لأنه يجب أن تتصور وجود "قطعة من النفس" في ذلك العضو لتغيير حركته، ويعترف التوحيد المسيحي مثلا بوجود الواقع المادي في العالم، ولكن هذا الواقع المادي حقيقة ثانوية مخلوقة، أما الكون الحقيقي والواقع النهائي العميق فهو الروح، والله روح صرف شامل، وهناك مثالا لما يسمى، بالمثالية الموضوعية، كما اتخذت هذه النظرة الفلسفية في عدة صور وأشكال، إذ ليس الواقع المادي في نظرة أفلاطون **Plato** سوى انعكاس للعالم المثالي، عالم الإنكار حيث يخلق الفكر الصرف الذي لا يحتاج للعالم المادي في وجوده<sup>2</sup>. أما هيغل **Hegel** فهو يعتقد أن الطبيعة وتطور المجتمعات الإنسانية ليس سوى الغلاف الخارجي والمظهر المرئي، وتجسد الفكر المطلق الشامل الذي يوجد نفسه.

<sup>1</sup> - عوض سمعان الله، بين الفلسفة والمسيحية، دار النشر المدينة، الطبعة الأولى، 1919، ص 4.

<sup>2</sup> - جورد بوليتزر، جي بيس موريس كافين: أصول الفلسفة الماركسية، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الجزء الأول، بدون سنة، ص 149.

وذلك أن التزعة المثالية تعتقد أن الحركة والنشاط والقدرة الخلاقة إنما هي من مميزات الروح فقط، وهي ترى أن المادة عبارة عن كتلة جامدة سلبية لا صورة لها، وهكذا ترى التزعة المثالية أن المادة لا يمكن أن تنتج أي شيء بنفسها، فإذا ما أخذت تتحرك فإن ذلك بفضل الله أو الروح، كما تعتمد التزعة المثالية في هجماتها في الواقع على "أن التزعة المادية الآلية التي تتيح لها فرصة نادرة لمثل هذه الهجمات فتلح في القول على جوانب الواقع التي تشوهها التزعة المادية الآلية".<sup>1</sup>

### 3-تطور مفهوم المذهب اللامادي في تاريخ الفكر والفلسفة:

يرجع تاريخ الفكر الفلسفي للمذهب اللامادي إلى بركلي **Berkeley** ، الذي أنكر وجود الجوهر المادي أو المادة واستقلالية العالم عن العقل، ذلك أن مفهوم المادة وكما هو مطروح في القرن السابع عشر هو تصور مثالي أجوف شأنه شأن الهيولي عند ارسطو تتساوى بالعدم، وبهذا يقدم لنا بركلي نسقا محوره الأساسي هو الله والهدف منه هو وضع الأساس الديني للمجتمع وخدمة العقيدة المسيحية والحفاظة عليها في عصر ساد فيه الدين الطبيعي والفلسفات المادية ونظريات العقد الاجتماعي، وهيمنت التزعة الميكانيكية أو الآلية في تفسير حركة الكون ونظامه ووجوده.

إن العصر الحديث الذي سمي بعصر العقل والتنوير، وهو امتداد طبيعي لعصر النهضة، وبذلك استطاعت الكنسية أن تمارس دورها الفكري والسياسي والاجتماعي.

#### أ- بركلي وتصورية ديكارت ومالبران:

تعتبر اللامادية أو تصورية لكلي امتداد تصورات ديكارت وروحانية مالبران **Malbranche**، ولكن بركلي هو الذي أبرز التصورية في شكلها المطلق حيث ينكر وجود المادة، ووجود العقل هو عند ديكارت يتوقف على كونه يفكر، حيث يقول ديكارت **Descartes**: "أنا أفكر إذن أنا موجود" أي أنني اعرف نفسي الآن موجودا ولا أعرف نفسي إلا كذلك ووجود الفكر عندي أشد ثبوتا من وجود الجسم وطبيعة نفسي وماهيتها هي الفكر، والنفس مستقلة عن الجسم ومعرفتي لها أيسر من معرفتي له، واستخلص ديكارت **Descartes** أيضا أن جوهر النفس هو الفكر وأن جوهر الله هو الكمال، وأن جوهر الجسم هو الامتداد أما

<sup>1</sup> - جورد بوليتزر، جي بيس موريس كافين، المرجع السابق، ص 153.

بركلي يقول : "إن وجود الموجود هو إما مدرك أو مدرك والمدرّك هو العقل فوجوده يتعدد في التفكير والإرادة"<sup>1</sup>.

ولكن يختلف موضوع التفكير بين بركلي وديكارت لأن موضوع التفكير عند ديكارت هو الأفكار الفطرية، بينما عند بركلي هي حسية أو متخيلة، والهدف عنده هو الله لأنه وحده هو الذي يتسم بالفاعلية أما العقول المتناهية فالخلق الإبداعي بالنسبة لها مستحيل.

### ب- بركلي ومالبراناش:

إن اللجوء إلى الله، لدى جميع المثاليين من مالبراناش **Malbranche** الذي يقول أن تطبيق الفكر على الرياضيات هو التطبيق الأكمل للفكرة على الله<sup>2</sup>، ويختلف بركلي مع مالبراناش حول الأفكار، فالأفكار عند بركلي هي الإحساسات هي الأشياء المحسوسة التي تراها وتشعر بها وهي لا تقوم بمعزل عن الروح أو العقل، أما الإحساس عند مالبراناش فموجود فينا، ولكن الله هو عنها الحقيقية إن الفكرة هي التي تمثل ماهية الشيء أما الإحساس فيوحي فقط بأن هذا الشيء موجود<sup>3</sup>، وهذا راجع إلى أنه يسلم بثلاثة أنواع من الجوهر الإلهي وهو الذي يحتوي على قوة وكل الماهيات، الجوهر العقلي وهو قادر عن طريق الاتحاد مع الله أن يدرك هذه الماهيات، الجوهر المادي وجوده غير معروف ولا يمكن البرهنة عليه، ولذلك فالأفكار ليست فطرية كما يرى ديكارت وليست حسية كما يرى بركلي بل هي ماهيات قائمة في العقل الإلهي، ويرفض بركلي رأي مالبراناش لعدة أمور: الأول: إن مالبراناش يسلم بوجود واستقلالية العالم عن العقل، والتسليم بوجود المادة هو السبيل الآمن للكفر والإلحاد، لأن التسليم بها يقتضي التسليم بالعلية الطبيعية ومن ثم يصبح الكون في غير حاجة إلى إله، لذلك يقول بركلي : "أنه لا وجود للمادة ولا وجود لشيء بمعزل عن العقل"<sup>4</sup> كما يشك مالبراناش في قيمة الحواس، لذلك يرفض بركلي أن يكون لمضمون فلسفته ثمة التقاء مع ما يقول به مالبراناش من أننا "لا نرى الأشياء في الله" ويرى أن ذلك مخالف تماماً لمبدأ الوجود إدراك.

<sup>1</sup> - فريال حسن خليفة، المرجع السابق، ص 28.

<sup>2</sup> - روجي غاروري، النظرية المادية في المعرفة، تعريب إبراهيم قريط، دار دمشق، دون سنة، ص 11.

<sup>3</sup> - اندريه كريسون، تيارات الفكر الفلسفي، ترجم نهاد رضا، منشورات عديدات بيروت، 1962، ص 115.

<sup>4</sup> - فريال حسن خليفة، المرجع نفسه، ص 30.

### ج- بركلي وهيوم ينكران وجود المادة:

"إذا كنت تقول : إن الجوهر الجسماني أساس أو دعامة الامتداد، فيجب أن يكون هو نفسه ذا امتداد يجعله قابلاً لأن يكون أساساً أو دعامة، وهكذا إلى غير نهاية، (المحاور الأولى بين هيلاس وفيلونوس) فيجب إذن أن نعدل عن القول بالوجود الخارجي لجوهر مادي، أعني يجب ألا نعترف بوجوده، متميزاً عن كونه مدركاً"<sup>1</sup>. وافق دافيد هيوم David Hume على النتائج السلبية التي وصل إليها بركلي في الفكرة القائلة بوجود جوهر قائم في الخارج فكرة واهمة، لأننا في الحقيقة لا تخرج عن ذواتنا أبداً، أو عن ادراكاتنا الحسية الذاتية، ولا وجود إذن لمادة مستقلة عن العقل لكن هناك مجرد اعتقاد راسخ له أصوله الثابتة بوجود المادة وجوداً واقعياً، واعتقاد "بوجود متصل متميز" ففي كل صباح تكون على يقين بأننا سنرى نفس الشمس التي رأيناها بالأمس، ولكن هذا خطأ كبير، إذ من الخطأ أن نفترض أن ادراكاتنا الحسية المتشابهة تظل هي هي، مهما تكررت رؤيتنا لها، وهذا الخطأ هو الذي يؤدي إلى القول بأن هذه الادراكات متصلة وأنها تظل موجودة على الرغم من غيابها عن الحواس.

<sup>1</sup> - جول جانبيه، جبريل سباني، مشكلات ما بعد الطبيعة، ترجمة يحيى هويدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015، ص128.

## المبحث الثاني: السياق الكرونولوجي التاريخي:

### ثانيا: كرونولوجيا مفهوم التنمية:

يمكن البحث في الجور الأول لمفهوم التنمية التي ارتبطت بالمشاهدة والتأمل في التغيرات التي تحدث في الموجودات حيث نجد لدى فلاسفة اليونان وخصوصا ارسطو عند ما قال: "من واضح أن الثروة لا تمثل الخير الذي تسعى إلى تحقيقه، فهي مجرد شيء مفيد للوصول إلى شيء آخر"<sup>1</sup>

#### أ- في الفكر الفلسفي عند اليونان:

قاموا مجموعة من المفكرين اليونان العصور الزمنية بوضع وصياغة مجموعة من الأفكار التي مثلت مدارس مختلفة، كانت جميعها تسعى إلى دراسة وتحليل الظاهرة الاقتصادية، ألا وهي ظاهرة النمو والتنمية الاقتصادية، وقد كان اليونان الفضل الكبير في إثارة هذا الجدل ومن بين هؤلاء **هيرقليس Hercules** الذي اهتم في جانب كبير من فلسفته بقضايا التغيير وأن الكون في حركة وتغير دائمين، وقد عرفت مقولته الشهيرة: "لا أستطيع أن أتزل في نفس النهر مرتين"<sup>2</sup> ومع ذلك يرفض الفيلسوف بارمنيدس Barmandes أطروحته القائلة أن كل شيء ثابت، ولا مجال للتغيير أما أرسطو Aristotle في كتابه "طبيعة الدولة" فقد ناقش من جهة أخرى أن بوجود نظام في الكائن العضوي يمكن انتقاله من مرحلة إلى أخرى أي كل مرحلة من مراحل النمو هذه تحتزن في باطنها حافز نشوء المرحلة التي تليها.

#### ب- في الفكر الفلسفي عند المسلمين:

لقد أشار العديد من الكتب إلى أن النظرة الإسلامية للتنمية التي تتمثل في العمران، فهي فطرة شاملة تتضمن جميع النواحي الحياة المادية والروحية والخلقية في العمران، فهي فطرة شاملة تتضمن جميع النواحي ولهذا نجد أن التنمية في الفكر الإسلامي ليست مجرد العمل على زيادة الإنتاج وتحقيق الرفاهية المادية، بل يشمل تحسين ظروف الانسان من مختلف النواحي الاقتصادية

<sup>1</sup> - الطاهر ليب، الياس بيضون، الموسوعة العربية، المعرفة من أجل التنمية المستدامة، المجلد الثالث البعد الاجتماعي، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 2007، ص 60.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 27.



الأخلاقية والاجتماعية والبيئية والسياسية "فالإنسان في الإسلام هو محور العملية التنموية والبنية الأساسية لها".<sup>1</sup>

لهذا فحدد الباحثون الاقتصاديون عددا من الخصائص التي يتميز بها الاقتصاد الإسلامي عن الاقتصاد الوضعي، هادفين من ذلك الكشف عن الأسس الصحيحة من الكتاب والسنة أصلا وما يتبع هذه الأسس من التطبيقات العلمية ورعاية أهدافها ومقاصدها في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المسلم وتحقيق مستوى معيشي كريم .

### 1/مراحل تطور الفكر الاقتصادي الإسلامي: يتمثل الدور الرائد للفكر الاقتصادي

الإسلامي في مجرى تطور الأفكار الاقتصادية ضمن مسار المجتمع الإنساني نحو التقدم الاقتصادي والنضج الحضاري.

### 1- السياق الزمني للملامح الحضارية في الاقتصاد الإسلامي: ظهر في أواخر القرن

السادس الميلادي الاقتصاد الاسلامي على مدارس الفكر الاجتماعي الاقتصادي التي عرفت بعد هذا التاريخ حتى بداية نشأة علم الاقتصاد كعلم مستقل في منتصف القرن السابع عشر الميلادي وما بعده ويرى الباحث أن هذا التحفظ ضروري عندما يتناول آراء المفكر الإسلاميين أمثال ابن خلدون<sup>2</sup> فقد خصص هذا الأخير فصلا كاملا في مقدمة لبيان حقيقة الرزق والكسب وشرحها وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية، وربط التقدم الحضاري بالعمل الإنساني<sup>3</sup>، فالتنمية في المنظور الإسلامي فرض وعبادة، فهي ليست مجرد سلوك اقتصادي فقط فالمسلم إذا لم ينتج قوته وما يكفي حاجيته فلن يستطيع القيام بالعبادات الأخرى، والهدف الأساسي في التنمية في الإسلام هو تحقيق التوازن بين المصلحة الجماعية ومصلحة الفرد، يقصد تحقيق السعادة .

<sup>1</sup> -بن بني مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة شاهين عبد الصبور، دار الفكر، دمشق ط1، 1988، ص 58.

<sup>2</sup> - بن بني مالك، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 59.

<sup>3</sup> - زهية قريوع، واقع وافاق التنمية البشرية في ظل العولمة دراسة حالة الوطن العربي رسالة ماجستير في العلوم السياسية، فتح العلوم السياسية، جامعة باتنة 2009، ص 62.

ولذا ففي نظرا الماوردي التنمية تتطلب جملة " من المستديرات السلطان السبعة، عمارة البلدان باعتماد مصالحها وتهذيب سبلها ومسالكها، غير أنه يلزمها بالعدل حيث ينعدم نجاح المشروع الإنمائي إذا لم يصطلح بالعدل الشامل الذي يعمر البلاد وينتمي الأموال" <sup>1</sup>.

يهتم الإسلام بالمصلحة الاقتصادية لسائر المجموعات الإنسانية دون حين على طرق منها أو الحجة لطرق، فلا مصلحة للفرد تندر باسم مصلحة الجماعة كما في النظام الاشتراكي ولا مصلحة للجماعة تندر باسم مصلحة الفرد وحرية كما في النظام الرأسمالي، والسبب في ذلك أن شرعية الاقتصاد الإسلامي كانت من فيض الخالق الذي يرى مصالح الكل رعاية موضوعية وحقيقة مترهة عن الهوى والغرض، إلا أن حركة محاولة تطوير الفكر الاقتصادي وتصعيده كي يشرف بالاقتراب من الإسلام لم تتوقف عند هؤلاء المفكرين، بل امتدت كعادة إنسان دائما عندما يسلك الطريق غير الصحيح -على مدى العصور التالية - لتشمل دراسات وبحوثا متعددة ومتنوعة في شتى مجالات المعرفة والعلوم (سياسية، اقتصادية، إدارية، اجتماعية، طبيعية، طبية ...) حاول كل منها وضع نظرية لتفسير الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية على ضوء الشريعة الإسلامية الثابتة الصحة في كل زمان ومكان، حتى قد أصبحنا نرى الآن جامعات ومعاهد تحمل المسمى الإسلامي للبحث والدراسات وتلقين العلم في شتى مجالات العلوم و المعرفة على أمل ومحاولة التوصل إلى استقرار مادي و روحي أفضل للإنسان بوصفه الهدف الأسمى الذي يجب أن تسعى إليه أي تنمية اقتصادية في أي مكان أو زمان <sup>2</sup>.

في البداية كان ثمة ميل خاص لحصر التنمية في الإطار الاقتصادي، وبالتالي اعتبار النمو الاقتصادي بمثابة المؤشر الوحيد لقياس مستوى التنمية بل ووجدوها الفعلي، لكن فيما بعد تطورات النظرة الى التنمية فأصبح مفهومها اشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع (الغذاء السكن، الصحة، التعليم، العمل ...) إلى جانب الحاجات الثانوية أو المعنوية التي تلخص في تحقيق ذات لإنتاج، والمشاركة في تقرير المصير وحرية التعبير والتفكير وغيرها.

<sup>1</sup> احمد عبد العظيم محمد، أسس التنمية الشاملة في المنهج الإسلامي، سلسلة وبحوث اقتصادية، مركز مصالح كامل، جامعة الازهر، 1997، ص 146.

<sup>2</sup> دكتور فهاد، محمد على التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور الإسلامي مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر الطبعة الأولى -1994 م ص 83.

2- التنمية في القرآن وفي الاحكام الشرعية : حظيت التنمية باهتمام كثير من المفكرين والفقهاء المسلمين، الذين اظهروا أنها ليست عملية إنتاج فحسب، وإنما هي عملية كفاية في الإنتاج مصحوبة بعدالة في التوزيع، وأنها ليست عملية مادية فقط، وإنما هي عملية إنسانية تهدف الى تنمية الفرد وتقدمه في المجالين المادي والروحي، وتذكر بعض النصوص الشرعية التي تقرر هذه الحقائق

" هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا " <sup>1</sup>

" وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ " <sup>2</sup>

" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا " <sup>3</sup>.

وإذا كان مفهوم التنمية الاقتصادية يعني توفير الفائض واستخدامه في زيادة قدرات المجتمع الإنتاجية، بعيدا عن الترف والتبذير، فإن الشريعة الإسلامية قادر على المجتمع الإنتاجية، ودعت إلى صرف الفضل وما زاد من الحاجة أو الكفاية في مصالح المجتمع وتنميته، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له " <sup>4</sup>.

إن النظرية الإسلامية للتنمية، وإن كانت لم تكتب بعد، كما هو شأن النظرية أو الماركسية لأسباب تاريخية معاصرة تلخص في مختلف المجتمعات الإسلامية وتبعيتها للحضارة الأجنبية بشقيها الليبرالي أو الاشتراكي. فالإسلام في منهجه لتحقيق التنمية الاقتصادية، يدعو الى إقامة عدالة اجتماعية شاملة، تتساوى فيها الناحيتان المادية والروحية، والإسلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روحي ولا يفرق بين ما دنيوي وما أخروي، فكانت نشأة الفكر التنموي الإسلامي في أحضان علوم القرآن والفقه، استجابة لضرورة لفهم الإسلام، والوقوف على هدية في كل مجالات الحياة والتي منها المجال التنموي .

<sup>1</sup> - سورة هود، الآية 61.

<sup>2</sup> - سورة الأعراف، الآية 10.

<sup>3</sup> - سورة الاسراء، الآية 70.

<sup>4</sup> - رواه المسلم وأبو داود واحمد بن حنبل

ولقد ثبت أن الإسلام هو النظام الأمثل الذي يمكنه انقاذ المجتمعات عن ضياعها وتخليقها وأن المنهج الإسلامي هو المنهج الأفضل الذي يستطيع تحريك قدرات الشعوب وتجنيد طاقاتها ودفع مسيرة التنمية نحو التطور والتقدم، ويقول محمد النبهان : " إن الإسلام نظام متكامل متميز المعالم، انساني الخصائص، ولا يجوز إلحاقه بأي نظام وضعي سابق له أولاً حتى يتفوق على غيره في قيمة الإنسانية وتنظيماته الاجتماعية، فهو النظام الأمثل لمجتمعاتنا الإسلامية، لأنه قادر على أن يجند كل مواطن في مجتمعنا لكي يكون جزءاً من هذا النظام بينهم يجتهدون في نجاحه، أو يدفع به لكي يقود مسيرة هذه الأمة في طريق البناء والتقدم"<sup>1</sup>.

\*مدارس الفكر الإنمائي : توجد من مدرستان الفكر الإنمائي تشمل الأولى على سبيل التقديم فكر الاقتصاديين من آدم سميث وحتى ثلاثي : هارود، و دومار و هاتش، بينما تكون الثانية من مناهج التنمية التي قدمها الاقتصاديون الإنمائيون أو الاقتصاديون المشتغلون مباشرة بقضايا التنمية الاقتصادية .

أ/ المدرسة الأولى : وهي تقوم على مساعدة مشكلة التخلف، فكان يشغلهم في المقام الأول مسألة (النمو) GROWTH<sup>2</sup> ، وفقاً لهيكل انتاجي قائم، ومن ثم كان اهتمامهم مركزاً على جانب الطلب الكلي الفعال، ومن أبرز هؤلاء الاقتصاديين كثيراً من المتغيرات الهامة المتحركة في عملية التنمية، فمن الاقتصاديين الكلاسيك :

1/ آدم سميث Adam smith (1723-1790) والذي نادى بالحرية والاقتصادية وعارض أي شكل من أشكال التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي، كونه طبيعياً وقادراً على خلق التوازن لوحده، بحيث شكل الموضوع المركزي لكتابه " ثروة الأمم" عام 1776 م وكما يسميها الفرد سوفين 1952 Le Sufin individuel بالمجتمعات النامية .

<sup>1</sup> النبهان، محمد فاروق، الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988، ص 07.

<sup>2</sup> عبد الحمدي الغزالين، حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، دار الوفاء، 1989، ص 50.

\* وكذلك بصفة خاصة مalthus حيث طوراً على يده مفهوم التنمية في مجال علم الاجتماع وفق نظرية الحلقة المتنوعة للفقر والتي ربطها فيما بعد بعملية الاستثمار أي بمعنى الإنتاج وإعادة الإنتاج<sup>1</sup>. وأثر النمو السكاني على مسار التنمية.

## 2/ دايفيد ريكارد David Ricardo

ويرى أن الأجور عامل إبطاء وأن النمو الاقتصادي مسؤولية ملقاة على عواتق الرأسماليين الذين يوظفون المال في خلق مصانع ومنشآت اقتصادية جديدة<sup>2</sup>، و منهم:

3/ كارل ماكس Carl Max (1823-1772): نأخذ أهمية متغير التكنولوجيا وضرورية إدخال فرع من التغيير على رقابة - إن لم يكن ملكية - الموارد الإنتاجية، فإنه يعتبر النمو الاقتصادي من باب التغيير المادي للتاريخ، الذي يتلخص في أن النظام الاقتصادي هو أساس النظام الاجتماعي الذي تعاقب عبر الزمن في حقب تميزت بخصائص منفردة<sup>3</sup>.

ومن الاقتصاديين الكلاسيك - المحدثين وعلى رأسهم مارشال Marshall يمكن أن تستفيد الدول المتخلفة من فكرة إعادة توزيع الموارد من أجل إنتاج أكبر. ويعرفها كذلك كونيا Konya 1975: على أنها تعني تنمية المجتمع من خلال كافة الجهود المبذولة لإيجاد التفاعل بين الناس والعمل على استمرار هذه التفاعل في ذات الوقت الذي يتم فيه الارتقاء بالظروف الطبيعية وتحسينها من أجل حدوث هذا التفاعل، ونجد كونيا هنا يهتم أكثر بعملية التفاعل وديناميكية هيئات هذه العملية<sup>4</sup>.

4/ كيتز Keynes: وفقاً لثورته في الاقتصاديين الكلية، يتأكد الدور الأساسي الذي يمكن أن تلعبه السياسات المالية بصفة عامة، والتدخل الإيجابي للدولة في النشاط الاقتصادي من أجل ترشيد الأداء، ودفع عجلة التنمية بصفة خاصة.

<sup>1</sup> ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، 2011، ص 21.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 51.

<sup>3</sup> محمد عبد العزيز عجمية، محمود العقاد وآخرون مقدمة في التنمية والتخطيط، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 57.

<sup>4</sup> سوسن عثمان عبد اللطيف، دراسات في التنمية المحلية، لمعهد العالي، القاهرة، 1979، ص 41.

ب/المدرسة الثانية :

تناولت هذه المدرسة مشكلة التخلف، وبدأ مكفريها أمثال نبركس، ميردال ، هيرشمان روسو، سنجر، شولتز وآخرون يرفض لأخذ بمنهج (العالم المتقدم) لاختلاف طبيعية المشكلة ومن ثم تركز اهتمامهم على مسألة (التنمية )، أي لإحداث تغييرات هيكلية في النشاط الاقتصادي، لضمان معدلات نمو متصاعدة، ولعل هذا راجع إلى أن هؤلاء الاقتصاديين، يمثلون في الواقع، امتدادا طبيعيا لفكر هذا العالم، ونظريته (المادية)، ولهذا وجه الاقتصاديون الانمائيون جهودهم لمسألة (البداية) لعملية التنمية the problem of starting off ومن بين المناهج التنمية الى قدموها أهمها: منهج (النمو المتوازن)، ومنهج (النمو غير المتوازن) unbalanced growth، ومنهج (الثورة الزراعية) Balanced Growth ومنهج (الثورة الصناعية) industrial ومنهج (تنمية الصادرات) promotion export وغيرها من المناهج<sup>1</sup>.

ولتحقيق هذه البداية، ولاستمرار عملية التنمية في النهاية، اتفقت هذه المناهج جميعا على ضرورة الإجابة على سؤال جوهري، وهو: ما هو العنصر المادي الفاعل لإحداث عملية التنمية؟ وكانت الإجابة واحدة وهي: عن طريق التغلب على ندرة رأس المال أي عن طريق القيام بإضافات جديدة لهذا العنصر أي باستثمار.

إن الإستراتيجية التنموية لا بد وأن تنطلق من الإنسان، احتياجاته، خطوطه، مشاركته الإيجابية في عملية التغيير، بالإضافة الى تحقيق المساواة الإنسانية<sup>2</sup>.

وتبقى الاسهامات التي جاء بها ماكس Max جادة الى حد كبير في هذا المجال حيث اعتبر أن هذه التنمية عملية فورية، تتضمن تحولات شاملة في البناءات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والقانونية، فضلا عن أساليب الحياة والقيم وقد ذكر ماركس أن البلد الأكثر تقدما من الناحية الصناعية يمثل المستقبل الخاص للبلد الأقل تقدما أو حتى عند الماركسيين المحدثين<sup>3</sup> فقد كان لهم دور بارز في ازدهار التراث السوسيولوجي، الذي عمل أكثر على فهم عملية التغيير ولكن يبقى مفهوم التنمية كغيره، من بعض المفاهيم غير كاف متكامل .

<sup>1</sup> عبد الحميد الغزالين،، حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، ص 53.

<sup>2</sup> مريم أحمد مصطفى، التنمية بين النظرية وواقع العالم الثالث، دار المعرفة، الجامعية، القاهرة، 1966، ص 150.

<sup>3</sup> ماركس كبير، المرجع السابق، ص 23.

فبالرغم من كل الاضطراب الذي يتسم به النموذج الذي خلفه ماركس للعالم الرأسمالي، بدا أن هذا النموذج حقق الغرض منه وأظهر أن له نوعاً من حياة خاصة به، فعلى أساس الفروض التي أوردها، مثل اخراج الشخصيات ودوافعها والوسط الذي تعيش فيه، فإن الموقف الذي عرضه هذا النموذج تغير وتغير بطريقة كان يمكن التنبؤ بها، ولقد رأينا هذه التغيرات وهي كيف هبطت الأرباح، وكيف سعى الرأسماليون الى استخدام آلات جديدة، وكيف أن كل رواج انتهى بانهايار، وكيف أسفر كل تدهور عن ابتلاع مشروعات الاعمال الصغيرة بواسطة ما هو أكبر منها، ولكن هذا كله ظل داخل اطار عالم تجريدي<sup>1</sup>.

إن ماركس Marx لم يخطئ في تنبؤاته الاقتصادية بقدر ما أخطأ "حين افترض أن تصورات السيكولوجية والاجتماعية ثابتة لا تتغير، وأن قوانين الحركة التي أظهرها النموذج الذي صنعه للرأسمالية ربما لا يزال في الإمكان أن نراها في الرأسمالية الأمريكية - وهي موجودة حقا - ولكن تواجهها طائفة من ضروب العلاج تتبع من اتجاهات سياسية واجتماعية لم يكن في وسعه أن يتصورها"<sup>2</sup>.

إن الاقتصاديون الكلاسيكيون يرون العالم على هيئة أفراد بطريقة تتفق مع العقل الى تحسين مصالحهم الذاتية، قد يحدث أحيانا أن تكون الغلبة للطبيعة البشرية البهيمية كما هو الحال بالنسبة الى الطبقات العاملة التي يتضاعف عدد أفرادها بشكل لإرجاء فيه على ما يرى مالتس **Malts** ولكن الغالب أن هؤلاء الاقتصاديين يصورون العلم كمجموعة من مخلوقات عاقلة تفكر، ففي الصراع التنافس يرتفع البعض الى القمة ويبقى البعض عن أسفل السلم، والذين هم من حسن الحظ أو رجاحة العقل بحيث يجمعون ثروة يستغلون ثروتهم بطبيعة الحال كي يقللوا من الجهد الذي يبذلونه فالمسألة إذن بسيطة جدا ومعقولة تماما<sup>3</sup>.

وعند استعراض التاريخ نجد أن بحوث المفكرين والفلاسفة لم تهمل ما يخص تنمية الإنسان، وتنمية موارده، ولقد أخذت مسألة التنمية كل ما أخذ في علم الأخلاق، و من أبرز فلاسفته

<sup>1</sup> روبوت هيليزوز، قادة الفكر الاقتصادي، ترجمة راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، 2002، ص 184.

<sup>2</sup> المرجع نفس، ص 188.

<sup>3</sup> المرجع نفس، ص 262.

الألماني كانط Kant الذي يعتبر الإنسان غاية في ذاته وليس وسيلة وعليه لتصرف في تعاملنا مع البشر، سواء في أنفسهم أو في غيرهم، كغاية وليس كوسيلة فقد.

ومع بدايات القرن العشرين وسيطرة التزعة الفردانية على منطق التفكير، وجدنا أن الفكر المعاصر بدأ في بلورة مفاهيم جديدة، عكست ما توصل إليه الإنسان من اكتشافات علمية ساهمت في رقيه وتطوره .

**ب/ التنمية في الفلسفة المعاصرة :** يعد مفهوم التنمية من أهم المفاهيم العالمية في القرن العشرين، ولقد تباينت وتعددت مفاهيم التنمية وتنوعت اتجاهات دراستها وتحليلها وفقاً للمواقف المعرفية للمفكرين والمختصين في هذا المجال، وعلى هذا الأساس ظهرت أفكار واتجاهات متعددة كانت تهدف أصلاً إلى بناء نظرية في التنمية، وبالرغم من صعوبة الاتجاهات النظرية المختلفة في دراسة واقع المجتمعات النامية، إلا أن هذا لم يمنع من التفكير بلورة اتجاهات أساسية حاول أصحابها دراسة ومعالجة الواقع الاجتماعي الثقافي والاقتصادي والسياسي لهذه المجتمعات وفق منظور وتصور معين.

**1/ التنمية الاقتصادية في المدرسة النيوكلاسيكية:** بدأ ظهور هذه المدرسة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى البدايات الأولى من القرن العشرين، ومن بواورها أنها حاولت الدفاع عن المدرسة الكلاسيكية دون أن يهدم كل فروضها وإنما أضافت إليها فروضاً أخرى جديدة أو لنقل معاصرة هذا الفكر الذي يسمى نفسه بالمدرسة النيوكلاسيكية school classical Neo أي بالكلاسيكية الجديدة، والتي كان من أهم روادها بافراك، وبيجو، ومنجر، وجيفونز وفالراس، وباريتو، وجوزيفن شومبيتر، والفريد مارشال، وغيرهم كثيرون حيث ترى المدرسة النيوكلاسيكية أن النمو الاقتصادي عملية تلقائية أو طبيعية تمر بفترات من الازدهار ثم الركود أي أنها عملية اختلال في القوى الإنتاجية نتيجة تغيرات ملموسة في حالة التوازن التي يصل إليها الاقتصاد القومي، وأن هذه العملية تعتمد على ثلاثة عوامل هامة هي:

أ- الاعتبارات والمحددات الإنتاجية التي يتحكم فيها المجتمع، مثل رأس المال والطبقة والسكان

ب- المستوى التقني أو التكنولوجي وما يطرأ عليه من تغيرات في الأجل القصير تعطى أثارا يعيده المدى، أو فتح أسواق جديدة، أو إجراء تعديلات في الهياكل التنظيمية والإدارية .. الخ



ج- البيئة الثقافية والاجتماعية السائدة وما تستلزمه من إجراء تغييرات هيكلية فيها أو عليها بحيث تصبح معدة ومجهزة للعملية الشريعة أو المفاجئة الخاصة بالتنمية الاقتصادية<sup>1</sup>.

**2 - التنمية الاقتصادية في المدرسة الكيترية:** لم يتحقق التوازن الاقتصادي العام في المدرسة الكلاسيكية والمدرسة النيوكلاسيكية بل بالعكس استمرت في فترات الركود وتوالت حتى وصلت ذروتها في الأزمة (الكساد) الاقتصادية الشهيرة اعتباراً من السنة 1929 وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، مما أدى الى ظهور فكر اقتصادي جديد يستخدم أدوات تحليلية جديدة أو شبه جديدة فكان هذا الفكر هو المدرسة الكيترية أو الثورة الكيترية بظهور المؤلف الكبير جون مايترد كيتر<sup>2</sup>.

وتقوم هذه النظرية على عدة فروض هامة وهي:

أ- عدم سيادة حالة التشغيل الكامل (أي عدم وجود حالة التوظيف الكامل لكل عناصر الإنتاج ومن بينها عنصر العمل).

ب- من الضروري تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية لضمان تحقيق عدالة توزيع الدخول بين الأفراد، من أجل القضاء على احتكار عموماً واحتكار استخدام المخترعات الجديدة.

ج- أن يكون العرض (الإنتاج) تابعا للطلب (الاستهلاك) وليس العكس كما كانت المدرسة الكلاسيكية تعتقد بسبب ولائها المطلق لقانون ساي<sup>3</sup>.

قد عرض كيتر **Keynes** لنظرية العامة بشكل منهجي وجعل من الطلب الكلي الذي سماه بالطلب الفعال متغيراً أساسياً ومستقلاً يتبعه حجم الإنتاج والتشغيل والدخل، وكذلك يعود الفضل له في لفت الأنظار الى السياسة النقدية وأدواتها بالإضافة الى جذب الاستثمار من العالم الخارجي، كذلك فإن كيتر تبني نظرية الإنتاجية النيوكلاسيكية للتوزيع، بحيث إذا وجدت كمية من رأس المال فإن الطلب على العمل يتحدد بقيمة الإنتاجية الحدية لنتائج العمل، وهكذا فإن الرأسماليين يزايدون عن الأرباح الى أقصى ما يمكن عندما يشغلون عمالاً إضافيين حتى نقطة تساوي

<sup>1</sup> فهران محمد على الأهداف، التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور إسلامي، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، الطبعة الأولى، 1994، ص 41.

<sup>2</sup> جون مايترد كيتر، ولد في 5 يونيو 1883م في كامبريدج، في 21 أبريل 1946م، اقتصادي وكاتب بريطاني، فهو مؤسس الاقتصاد الكلي الكيترية، ومن أهم مؤلفاته كتابه "التوابع الاقتصادية للسلام" نشره عام 1919 وكتاب "النظرية العامة حول العمالة، والفائدة والمال" 1936م وانتقد هذا الكتاب بعد كتب أخرى، قانون مساي أحد أسس اقتصاد عدم التدخل.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 43.

معدل الأجر مع قيمة الإنتاجية الحدية للعمل، وإن النموذج الكيتر<sup>1</sup>. في النمو الاقتصادي كان المعنى الأول به هو المجتمعات الرأسمالية النامية، أما الاقتصاديات الرأسمالية المتخلفة undeveloped، فيلاحظ أنها تعاني من مشكلات أخرى وتتسم بسمات وخصائص تختلف تماماً عنها اشتراطها أو اعتقدها وكيتر في نموذج الأمر الذي يصبح من غير المستساغ تطبيق نموذج كيتر في النمو الاقتصادي على مثل هذه الدول ..

ب/ التنمية الاقتصادية في المدارس المعاصرة: في بداية النصف الثاني من القرن العشرين بدأت الجهود العلمية في التركيز على الظاهرة الاقتصادية، تبدأ ظهور مدارس مختلفة ومتتالية تعالج مشكلة التخلف بصورة مباشرة ومن بين هذه النظريات (مدرستين أساسين)

1- المدرسة النيوكيزنية : keynesian neo والتي تندرج تحت لوائها نظريات النمو التلقائي لهوفمان، والدفعة القوية أو النمو المتوازن، والنمو غير المتوازن .

أ - نظرية الدفعة القوية: big push بالنمو المتوازن balanced gronth

وتنتهي هذه النظرية أصلاً إلى المدرسة الكيترية مع بعض التعديلات المعاصرة وترجع إلى الاقتصاديات روى هارود الإنجليزي وأفاء دومار الفرنسي نموذجاً في النمو الاقتصادي، وتقوم هذه النظرية على ما يلي :

1- معاناة الدول المتخلفة من انخفاض كبير في الميل المتوسط والمد للادخار بسبب ارتفاع الميل المدى للاستهلاك.

2- الإيمان بقانون ساي القائل بأن كل عرض ( إنتاج ) يخلق طالبه، لكن هذا الإيمان لا يرجع لنفس السبب السابق ذكره عند المدرسة الكلاسيكية، وإنما يرجع لسبب حدوث التكامل أي بين جانبيين العرض والطلب بسبب زيادة حجم التوظيف.

<sup>1</sup> جون ما يترد كيتر ، المرجع السابق، ص 48.

## ب - نظرية الدفعة القوية بالنمو غير المتوازن : unbalanced growth

وتسمى هذه النظرية أيضا بنظرية أقطاب النمو أو جزر التنمية ويرجع أصل نشأة هذه النظرية إلى البرت هيرشمان وفرانسوا برو . والبعض سماها أقطاب التنمية<sup>1</sup> . وتقوم على مجموعة من الفروض منها :

1-إن عملية التنمية نشاط شامل أو عام يحتوي من داخله على جزئيات أو عمليات صغيرة متراكمة بعضها على الآخر.

2-إن هدف النمو (التنمية) الاقتصادية ليس خلق حالة التوازن الاقتصادي كما كان سابقا، وإنما هو خلق حالة عدم توازن أو اختلال اقتصادي، فيؤدي ذلك إلى خلق جو من التحدي<sup>2</sup> يدفع إلى تدرج الاهتمام ببقية هذه القطاعات الأخرى .

3-توافر قدر نسبي مناسب من حرية النشاط الاقتصادي ( قوة السوق ) ومن حرية الرأي العام إلى قوة المجتمع أو قوة الرأي العام بكل تناقضاته التي بلغت درجات تعارضها فهي من جهة نظر النظرية حميدة .

إن الهدف مما ذكر هو أن يظهر للمهتمين بقضايا التنمية في المجتمعات النامية، أن الإطار النظري للتصنيع يحتوي على جملة من النظريات المتعددة والمتباينة، ولكل نظرية موقف خاص يتعلق بأسس وآليات وأبعاد السياسة التنموية، فنظريات النمو ركزت على معدلات الاستثمار كمتغير أساسي في تحقيق التنمية، أما نظرية أقطاب النمو، فتعتمد هي الأخرى على فكرة الصناعة الرائدة التي باستطاعتها أن تحقيق صناعات أخرى، أي نظرية الصناعة المصنعة فهي تقترب من نظرية أقطاب النمو، وتختلف عنها في عملية التشكيل، وعلى هذا اهتمت بما معظم البلدان النامية بنظرية الصناعة المصنعة باعتبارها عملية شاملة .

<sup>1</sup> رفعت المحجوب، دراسات اقتصادية إسلامية، معهد الدراسات الإسلامية دار الشباب للطباعة، القاهرة 1986، ص 55 .

<sup>2</sup> Al berto .hisschman the strategy .df 5 comomic development c yale university ,u s a 1958 p 66.

## المبحث الثالث : السياق الاشكالي للبحث

### " العلاقة بين المذهب اللامادي والتنمية ؟"

يخبرنا تاريخ الفكر البشري أن المفكرين قد عبروا منذ أقدم العصور الفلسفية عن الجدل حول طبيعة المعرفة وأشواطها، كما يخبرنا أن بعضاً منهم قد اشتط فأنكر امكانياتها من حيث المبدأ فحسبوا أن البشر -بطبيعتهم - غير قادرين عليها، وأن البعض الآخر منهم : قد ارتأى أنها نور يقذفه الله في صدور من يصطفاهم من عبادة وبجبهه عن المارقين عن طاعته، فضلاً عن ذلك ثمة من اعتد بالعقل بوصفه سبيلاً أو حد للحصول على أي نمط من المعارف : في حين أن هناك من ذهب الى أن معرفة لا تكون معرفة ما لم ترد بشكل أو بآخر، إلى أصول حسية خالصة، وأخيراً هناك من اعتد بكون المعرفة عملية توليفية تشترك في القيام بها ملكتنا : الحساسة والفهم ويكون العقل ذو الحس الغائب، كالحسن الذي لا يسترشد بهدى العقل - غير قادر على القيام بما يناط به من مهام أولئك على التوالي - هم الفلاسفة اللاأرديون والحدسيون والعقلانيون والحسيون والنقديون .

ويعتبر العقل في خطاب الفلسفي خصوصاً العربي كلمة غامضة للغاية بها معان كثيرة متناقضة، أحيانا وعادة ما يوضع العقل في مقابل الخيال والتجربة والايمان و العاطفة، ولكن هناك أيضاً من يرى ضرورة ارتباط العقل بكل هذه المقولات، كما يرى أن بدونها يصبح أداة مدمرة فهناك من يرى أن العقل ما هو إلا جزء لا يتجزأ من الطبيعة/ المادة، وهذا العقل المادي. ولكن هناك أيضاً من يرى أن العقل يتمتع باستقلالية عنها، فعلى سبيل المثال، عرف الفلاسفة الماديون العقل بأنه صفحة بيضاء تتراكم عليها المعطيات الحسية لتصبح أفكار بسيطة، وتتجمع الأفكار البسيطة من تلقاء نفسها، ومن خلال القوانين الترابط لتصبح أفكاراً مركبة وتستمر عملية التركيب الى أن تصل الى ما تتصور أنه الأفكار الكلية والثوابت والمطلقات مع أنها في الواقع الأمر مجرد أحسيس مادية، فكأنه لا يوجد في العقل شيء لا يوجد أصلاً في الواقع المادي، هذه هي الصورة المبدئية للعقل المادي، ولكنها يمكن أن تأخذ أشكالاً أكثر صقلاً، فالنظرية الدروانية ترى أن العقل قد ظهر من خلال عملية تطور كامنة في المادة ذاتها، وترى الماركسية أن العقل ظهر من خلال علاقة الإنسان بالطبيعة ويبقيه البشر أثناء العملية الإنتاجية، أما الفلسفات التي يقال لها

مثالية<sup>1</sup>، فترى أن العقل قوة في الانسان تدرك المبادئ العامة التي تتحكم في الواقع، كما تترك المعاني العامة غير المادية مثل ماهية الظواهر، أي كنها لا ظاهرها، والوجود والعدم، والجوهر في مقابل الغرض والعلة والمعلولية، والغاية والوسيلة والخير والشر... الخ ويعرف العقل بأنه الملكة التي يحصل بها للتنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة، وعرف كذلك بأنه مجموع المبادئ الصلبة المنظمة للمعرفة، ويشير كانط إلى ما يسميه العقل المجرد أو العقل الخالص، أو العقل المحض، والعقل ما يسمو على عالم الحس والتجربة، فهو ضرب من العقل النظري وهو ما ينصب على الادراك والمعرفة كما يشير الى العقل العملي، وما ينصب على الاخلاق والسلوك. وإذا أردنا أن نفهم الفكر الذي يقود الحضارة الغربية الآن، فلا بد أن نعود الى مرحلة المخاض التي تنتج عنها، أي إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر فالحضارة الغربية منذ عصر النهضة تشكل في اطار الفكر العلماني الذي ينطلق من الأسس المعرفية الإغريقية التي تقتصر على العقل وخيراته في ادراك الحقائق وتعريف شؤون الحياة وفي هذا الربع الأخير من القرن التاسع عشر بلغ الصراع مداه بين الفلسفات المادية والمثالية والتي تشترك في أسسها العلمانية دون الوصول إلى أي يقين معرفي مما يسبب حالة من القلق الإنساني، وبعد أن حاول الماديون طرد الدين من العالم بينها أراد المثاليون ان يحددوا له مكان إقامته جاء نيتشه Nietzsche وأعلن عن موت الإله بل طالب بالقضاء على ظلال الإله الكامنة في المشروعات الفكرية المادية والمتمثلة في المنظومات العقلانية والأخلاقية لتلك المشروعات المادية وكذلك في الوعود الإنسانية التي تشير بها تلك المشروعات، وجاءت المشروعات الحديثة ضد الرؤى الدينية والمشروعات التأملية الهيجلية متى توج القرن التاسع عشر بأفكار وليم جيمس William James البرجماعنة التي أسقطت الحقيقة وعملت على اختزلها في مفهوم المصلحة أما شلر Sheller الذي ينتمي الى نفس المدرسة البرجمانية، فكان أكثر صراحة حيث أعلن استناد فكره إلى مقولة بروتاغوراس Protagoras السقسطائي: الإنسان مقياس كل شيء.

أ- نهاية المنفى الداخلي : (El final del exilio interior)<sup>2</sup> منذ حوالي 25 قرناً أبو قراط تشخيص الأزمات بين الإيجابية والسلبية عندما كان يدرس مرضاه فأب قراط Father earrings (أب الطب الطبيعي) كان واعياً تماماً بالبعد الإيكولوجي للصحة، ففي الفصول التي تتناول فيها

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، دار الفكر دمشق، سوريا، ط4، 2010، ص 82.

<sup>2</sup> Jordi pigem .buena crisis hacia un mundo postnaterialista , prologa de les rovira ,numancia. Barchona.Espana ;2009.p129.

الهواء، الماء، والمكان يفسر أنه عند دراسة شخص معين لا يجب إقفال محيطه الحيوي المتكون من المناخ، الرطوبة، الرياح، نوعية الماء، وأعماله اليومية، النباتات المجاورة له، والمنظر العام حوله، ففي الثقافات ما قبل المعاصرة كانت تنظر للبشرية على أنها جزء لا يتجزأ من محيطها الحيوي، ولكي تحاول فهم المزيد تستند هنا بعلم النفس لتحديد مشكلاتنا بشكل أدق خاصة المشكلات المتعلقة بالمحيط وأيضاً بالمجتمع، حيث أن **جيمس هيلمان James Hellman** في أحد مؤلفاته المهمة جداً يوجد مقوله : خذنا 100 عام من السيكتوبرايا والعالم لا يزال في حالة كارثية حيث بين مسائل لعلم النفس الاعتيادية حول: "أين هو الأنا؟ متى يبدأ الأنا؟ وأين ينتهي؟ وكانت إجابته هي: أن هناك مستويات متعددة للنفس داخل الجسد البيولوجي فرويدا Freudia وجسدية العالم كارل جونغ فهذا الأخير أشار أن أسفل وعي البشرية وفي عمق نفسيتنا يوجد تعبير مهم يسمى اللاوعي لأننا لا يمكن لنا التحكم فيه إطلاقاً، واللاوعي الجماعي هو عبارة عن منطقة غابية كثيفة يمكن ربطها مع عناصر الحياة أو مصادر الحياة مما سبق فإن النفس بالنسبة **كارل جونغ Carl Jungtung** ليست فردانية وحيدة بل هي عالمية تشتمل المجتمع البشري كاملاً .

ولعلاج هذا الانفصال بين عالمنا الداخلي وعالمنا الخارجي، ولد عالم جديد يسمى علم النفس البيئي ايكويسيكولوجيا وهذا العلم ينتج عن دراسات علماء النفس مع علماء البيئة حيث توصلوا في الأخير أن الصحة العقلية وسلامة كوكبنا ما هما وجهان لعملة واحدة، أن علم النفس البيئي ليس هو علم النفس الذي يدرس المحيط، بل يدرس السلوكيات وعواطفها المتعددة في المحيط وعلاقة ذلك بالصحة الفردية وأن تيو دور روسزاكي roszak Redore الذي أوجد مصطلح علم النفس البيئي في كتابة موت الأرض 1992 يقول: "علم النفس البيئي هو سلوك يبدأ منذ الطفولة ويتطور مع الاكتشافات، وبدون جسد ثابت من القواعد والممارسات لا يمكن الحصول على تعريف واضح إلا إذا وضحنا أن الصحة الفردية وصحة كوكبنا هما متلازمان"<sup>1</sup>. ولهذا يضيف أيضاً أن منذ ربع قرن أصبحت احتياجات الإنسان هي نفسها احتياجات الكوكب وحقوق الإنسان هي حقوق الكوكب "

وإن علم النفس البيئي يقوم في الأساس على فصلنا عن عالمنا الطبيعي من جهة ومن جهة أخرى إعادة دمجنا في الطبيعة المحصنة وانقاذنا من المنفى الداخلي وإعادةنا إلى مكاننا الحقيقي: الذي

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 130.

هو عالم من جهة أخرى، علم النفس البيئي يساعدنا على مواجهة قلقنا من تدمير الطبيعة واتساع مجالاتها.

## ب- ضد الطبيعة البشرية:

### 1- الحقوق من الحياة :

يعد الفيلسوف فرويد **Freud** الذي أشار بأن العيب الوحيد للحضارة الحالية هو الموت الذي يخاف من الحياة، يخاف أكثر من الموت، لكن الكلمة أو المفهوم الاحتجاج هو مفهوم شبابي أكثر منه متعلق بالغير ومتأقلم مع الحياة الحالية، بدل من الاحتجاج ضد الطبيعة من الأحسن القول أزمة ايكولوجيا أو بكل بساطة النهضة الثورة ضد الحياة الهندسة الجنبية أو البيوتكنولوجيا وبدل من الاحتجاج على الطبيعة البشرية المشروع الجيني أو الاستنساخ أو مثالا الواقع الافتراضي وكل ما ثار الإنسان ضد الطبيعة البشرية، كل ما زاد اللاإنسانية أو اللابشرية اللاإنسانية والدليل على ذلك مأساة أو مآسي القرن العشرين. وكل ما اتصل أو أبتعد على إنسانيته، كل ما زادت معانته في المستقبل ليس من المعقول أن نكون بشر أو إنسان بعد قنبلة هيروشيما في اليابان وضحاياها<sup>1</sup>.

ومن هنا دخلنا في دائرة مفرغة مليئة بالشرب البشري، وفي متاهة لم تستطيع الخروج منها في حين تستمر الثورة والاحتجاج عن الوضع القائم للكائن البشري أعلن عن احتجاج أو ثورة ضد جسمه أو جسده، وضد الطبيعة محاولا القرار من العالم الواقع الى عالم الميتافيزيقا واتجاهات أخرى أو بالأحرى نحو المستقبل أي كل ما هو تكنولوجي تخذ مكان طبيعي في انتحار شامل إضافتا بذلك أن هذا السلوك الجماعي من اعتماد كلي على التكنولوجيا والابتعاد<sup>2</sup>. أو الثورة على كل ما هو طبيعي فتح بابا نحو عالم من المعاناة والآلام وبالرغم من العراقيل والاستفهامات التي لم تحققها التكنولوجيا استمرت الثورة ضد الحياة في شقين أساسيين هما : الثورة على الطبيعة، والثورة على الطبيعة الإنسانية فهذا الثورة تغيرت بعد ذلك احتلال او استعمار في خدمة العلم والتكنولوجيا مستقبلا، الاستعمار، الإمبريالية، الدولة، والسوق، اكتشافات جديدة، أعلنت عن نقاط ضعف خاصة بالطبيعة العدو فالثورة الصناعية والكيميائية أهدت لنا سلاح جديد أو

1-Pigem Jordi, la odisea de occidente, modernidad y, ecosofia, p p67-68.

أسلحة جديدة لهذه المعركة (معركة الإنسان ضد الطبيعة)، ونحن كلنا كبشر نعتبر كحلفاء لهذه القرارات الخاصة بهذه الحرب ضد الطبيعة كطبيعة ضد الطبيعة البشرية، فمثلا : مثلما أدت القنبلة الذرية الى استسلام اليابان فالآن جاء جيل ثاني من الأسلحة وهو الهندسة الجينية التي تعتبر كمرحلة حاسمة في هذه المعركة.

### \*المبدأ الأساسي المادي التاريخية:

تعتبر مقولة الوجود الاجتماعي عند جون جاك روسو John Jack Rousseau هي عبارة عن نتيجة لتعميم لمقولة المادة الفلسفة العامة على الظواهر الاجتماعية، كذلك الحال بالنسبة لمقولة الوعي الاجتماعي فهي نتيجة لتعميم مقولة الوعي الفلسفية الأكثر عمومية على الظواهر الحياة الاجتماعية ومن خلال حل المسألة الأساسية للفلسفة تؤكد المادية الجدلية، بالاستفادة التام إلى العلم المعاصر، أن المادة هي الأولية والوعي هو الثانوي، وهذا يعني في المقام الأول أن المادة تنسيق الوعي في عملية التطور وبإمكانها أن توجد قبله وخارج نطاقه وبصورة مستقلة عنه، وبالعكس، فالوعي لا يمكن ان يوجد بصورة مستقلة عن المادة، ولكن من الخطأ أن تظن أن الوجود الاجتماعي يمكن أن يوجد قبل الوعي الاجتماعي وبصورة مستقلة عنه تماما، فعلى الرغم من أن العلاقات الاجتماعية والظواهر المادية التي تدخل في تركيبة الوجود الاجتماعي موجودة موضوعيا فهي تقام على يد البشر في مجرى نشاطهم الهادف ولا يمكن تصور مجتمع بشري تنشأ فيه وجود اجتماعي، ولكن لا وجود فيه البتة لوعي اجتماعي، إن مجتمعا كهذا لا يمكن أن يكون له وجود، فكيف يمكن في مثل هذه الحالة أن يجري تعميم الحل المادي للمسألة الأساسية في الفلسفة على الحياة الاجتماعية<sup>1</sup>.

### \*الوعي الاجتماعي وتطور المجتمع:

الوعي الاجتماعي لا يتحدد بالوجود الاجتماعي فحسب، بل يؤثر هو نفسه تأثيرا فعالا في حياة مجتمع، وتختلف فاعلية الوعي الاجتماعي باختلاف العصور التاريخية، وتتنامى هذه الفاعلية مع تطور المجتمع، فما هو سبب ذلك ؟ القضية هي أن التغيرات في الوجود الاجتماعي وظروف الحياة تتبعها تغيرات في الوعي الاجتماعي : يزداد حجم المعارف وتتعدد النظرة الى العالم، ويتراكم

<sup>1</sup> ام بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة كتب شهيرة، عالم المعرفة، الكويت، في يناير 1978، ص153.



حجم هائل من المعلومات ومن مراس المعارف لحل مختلف المشاكل الاجتماعية، وتعمق تجربة البشر التاريخية ومع نشوء المجتمع الاشتراكي يتنامى دور الوعي الاجتماعي أكثر فأكثر، ويتطلب تنفيذ التحويل المبرمج للمجتمع وتحقيق التوافق التام بين العلاقات الإنتاجية وطبيعة القوى المنتجة وانماء البناء القومي الاشتراكي للعمل باستمرار على اعلاء مستوى وعي فرد ومستوى وعي المجتمع الاشتراكي عموماً، بيد أن تغيير الوعي عملية معقدة جداً، فالوعي الفردي والاجتماعي بניתان معقدتان تتسمان ببعض الاستقرار والمشروع المحافظ لها.

## 2- المصالحة مع العالم:

يُمكننا أن نعدّ الإنسان جزءاً من الطبيعة الموجودة على سطح الأرض، فهو يُعتبر جزءاً صغيراً من مجموع الكائنات الحيّة الكلّي الموجود على سطحها، إلّا أنّه وبسبب الاختراعات المختلفة والثورة الصناعية التي قام بها الإنسان وازدياد الطلب على الطاقة التي يتمّ إنتاجها بحرق الوقود الأحفوري أصبح تأثيره أو ضرره إن صح التعبير كبيراً جداً على الأرض، بحيث أصبح هو العامل الرئيسي في فساد الطبيعة على سطح الأرض. تستطيع الطبيعة في الوضع الطبيعي تحديد نفسها بنفسها، والحفاظ على حالها ونسب العناصر المختلفة والتوازن فيها، إلّا أنّ التدخل الكبير من البشر فاق قدرة الطبيعة في الحفاظ على هذا التوازن، بحيث أصبحت تعاني الطبيعة من حولنا من عددٍ من المشاكل التي قد تؤدّي في نهاية المطاف إلى جعلها غير صالحة للحياة.

\*نحو مجتمع متماسك: كيف سيكون العالم إذا ما تصالحنا مع أنفسنا ومع الطبيعة (العالم)؟ لا يمكننا التنبؤ بنتيجة ذلك، ولا أحد يضمن هذه المصالحة، لكن يمكن استنتاجها من ملايين النظرات الحائرة لهذه الشعوب الفارقة في التكنولوجيا ومضراتها وفي خيبة أملها، وفي أصواتها بإرادتها أو بغير إرادتها، ربما سيكون ذلك إذا فتحنا أو استطعنا فتح حوار هذه (المصالحة) وسنحيد بأننا لسنا الوحيدين المحتاجين لهذه المصالحة مع العالم، أيضاً نسمع نداء الأرض، الطبيعة والحياة لهذه المصالحة، تحتاج الى أفق يوجهنا أو على الأقل تحتاج لبعض من النور ليحتاج هذا الظل المظلم التي أتت من الحرب مع الطبيعة والطبيعة البشرية، وفي سنة 1990 worldwatch معهد في واشنطن، تنشر دراسة حول كيف يمكن أن نكون مجتمعاً بيئياً متماسكاً قادراً على إرضاء أو تلبية حاجياته

دون أن يسبب ضرراً بالأجيال المستقبل<sup>1</sup>. وبذلك ينشأ مجتمع سيعيش في سلام وتعايش مع الطبيعة ومعه نفسه مجتمع مختلف الحالي الذي غرق في النتائج اعتدائه على الطبيعة ويخترع أقنعه تافهة وحواجز لتجذب تفاهته وأخطائه المضرة بالعالم (يقصد التكنولوجيا وسلباتها) وفي نفس الدراسة<sup>2</sup>. يتنبأ بأنه إذا لم تتصالح مع الطبيعة والطبيعة البشرية، قبل تاريخ 2030 م، وتوجه نحو إيجاد مجتمعات سليمة وبيئية فتستغرق في دوامة لا مفر منها.

ولكسب هذا الرهان (المصالحة مع الطبيعة البشرية) يجب العودة أو الرجوع إلى دائرة الحياة الطبيعية (كما خلقها الله)، (أو خلقت لأول مرة) مثلاً: تشجيع الطاقات المتجددة (الشمسية، المائية..).

وفي الاقتصاد نتيجة نحو اللامركزية ونحو نظام اقتصادي مرّن ديمقراطي، وفي المدن الكبرى تشجع استعمال الطاقة الشمسية والاكتفاء بذلك دون الحاجة الى ما إتسمت به الثورة الصناعية من طاقات غير طبيعية مضرة بالطبيعة والإنسان، ونحو استهلاك الطاقة واستعمالها بطريقة اقتصادية وتشجيع المواد الأولية للأجيال المستقبل فمفهوم العمل أو الشغل يفقد مفهوم كشيء متعب وللإنسان ويقضى عليه مع الوقت والتفكير في التوازن بين العمل والراحة لزيادة وإنتاج الشخص ومردود ذلك على العامل والأمة في نفس الوقت نحو عالم يكون فيه النظرة إلى المال كوسيلة فقط للمبادلات التجارية، وليس كغاية لاضطهاد الآخر.

- الكف عن هدر وتضييع الوقت واستهلاك أو التبعية للمواد (الأزياء) وكل ما هو جديد.
- السيارات ستكون أكثر بيئية ونستغل استعمالها في تنقلاتنا وتستبدل بالنقل العمومي والدرجات لتقليل من التلوث (القضاء على الطبيعة).
- من المشروع أو المسموح تخيل هذا المجتمع المستقبلي بهذه الطريقة لكن نتساءل هل يمكننا الوصول إلى هذا المجتمع؟

<sup>1</sup>Joroid pigon , la odisea de occidente, modernidad y, ecosofia, 116.

<sup>2</sup> ام بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، المرجع السابق، ص 115.

ومن المؤكد أننا بإمكاننا الوصول إلى هذا العالم الذي سيحافظ على الطبيعة والطبيعة البشرية كما خلقت لأول مرة، إلا إذا حاولنا التغيير الجذري لحياتنا الحالية وأن تقوم "بثورة بيئية" ليست قليلة عن قوة الثورة الصناعية والزراعية، أو على نفس قوتها .

إن الحديث عن النظام الاقتصادي الدولي المعاصر يتوقف على فهمنا للتطورات الاقتصادية والمؤسسة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فعلى رغم من أن التاريخ مستمر لانقطاع فيه، كانت الحرب العالمية الثانية فاصلا رئيسيا بين مرحلة زائلة وبداية مرحلة جديدة لم تلبث هي الأخرى أن تعرضت لتغيرات عميقة إثر إنهاء الحرب الباردة، فالفترة بين الحربين الأولى والثانية، كانت فترة انتقالية مضطربة لم تسمح بإرساء نظام اقتصادي دولي مستقر المعالم، ولقد عرف العالم خلال ربع القرن الذي أعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ( 1945-1970 ) فترة بالغة الحيوية والإثارة، فإذا كانت هذه الفترة هي الفترة المواجهة والقلق من الحرب الباردة بين معسكرين، أحدهما من الغرب يأخذ بالرأسمالية واقتصاد السوق، والآخر من الشرق يدين بالاشتراكية والتخطيط المركزي.

ولقد أصبح العالم قرية اتصالية مترابطة أشد الترابط، وإن عالمنا المعاصر هو عالم مترابط سياسيا واقتصاديا وثقافيا بحيث لم يعد هناك جزء بمنأى عن التفاعل والتأثر بالأجزاء الأخرى، رأي خلل أو تطور في أي جزء من العالم ينشر في جميع أنحاء النظام السياسي والاقتصادي والإعلامي العالمي، إن تصور العالم المعاصر كنظام عالمي مترابط ومتداخل الأجزاء، فإننا جميعا جزء من هذا العالم، ومن تاريخه و حضارته، و جزء لا يتجزأ من همومه وإنجازاته، ويقول الباحث **معن زيادة** : " إن معايير العصرية والحداثة أن يدرك الإنسان أن عالمنا هو عالم واحد، وأن ما يجري في أحد أجزائه يهم الجزء الآخر ويعنيه وأن البشرية تشكل كلا موحدًا رغم الصراعات السياسية والمطامع الاقتصادية، والاختلافات الثقافية أو الخلافات الإيديولوجية إن شأن وعي من هذا النوع أن يجعل الإنسان معنيا بكل ما يدر في هذا العالم. ومن شأنه أيضا أن يدفع بصاحبه إلى النظر في إرث البشرية جمعاء على أنه إرث له، وأن تجارب الآخرين، وأنماط حياتهم قد يكون فيها ما هو جدير بالاعتباس"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، سلسلة عالم المعرفة، رقم 115. الكويت، 1987، ص 77.

وتتعارض المادية التاريخية تعارضا جذريا مع المثالية التاريخية، ولا يمكن تتهادن معها و لأجل تبيان ماهي الاختلافات الجذرية بين النظريتين المادية والمثالية إلى المجتمع، من المناسب أن تستمع إلى حديث يجره بثلاثة أشخاص سبق أن اصطللحنا عليهم وهم مادي جدلي ومثالي موضوعي ومثالي ذاتي .

1- إذا كانت النظريات المادية إلى الطبيعة والوعي تتفق مع العلم، فإن ذلك لا يعني أنها تصلح لفهم الحياة الاجتماعية والتطور التاريخي.

2- هكذا كان يظن الماديون الميتافيزيقيون السالفون، وهكذا يظن كل المثاليين، بيد أن موقفهم يفتقر إلى التعليل.

إن الأشياء المادية متشابهة أما البشر فإن أنفس ما لديهم هو نقودهم الذي لا يتكرر والذي يميز بعضهم عن بعض ويستدل من ذلك، أولا، أن ليست هناك أي قوانين موضوعية لنشاط البشر فهم يسترشدون بأهدافهم الشخصية الفريدة، وإن كل العمليات الجارية في الطبيعة لا ترقن بإرادة وعي الإنسان، وإنما هي موضوعية أو طبيعية، لذا فالقوانين التي تتحكم بظواهر الطبيعة موضوعية هي الأخرى فهل يمكن أن تكون هناك قوانين موضوعية لتطور المجتمع، أي قوانين لا ترقن بإرادة ووعي البشر؟ إلى أن لنشاط البشر بحد ذاته جانبيين مترابطين، أحدهما مادي والآخر روعي، ولقد رد مؤسسو الماركسية اللينينية على هذا السؤال بالإيجاب، فعن طريق تعميم تجربة التاريخ إلى استنتاج مفاده أن قوانين التطور الاجتماعي تسرى بصورة موضوعية ومحتومة كقوانين الطبيعة بفارقة مبدأ واحد هو أنها تشق طريقها عبر نشاط البشر، لهذا السبب بالذات وصفوا تطور المجتمع بأنه عملية طبيعية تاريخية، وقد لا يفهم البشر ولا يدركون خلال ذلك أن نشاطهم يخضع في التحصيل الأخير لقوانين اجتماعية موضوعية بمعدل عن ارادتهم ونواياهم، ويقال في مثل هذه الحالات "أن تطور المجتمع يجري بصورة عفوية ويقوم فهم تاريخ المجتمع كمحلية تاريخية طبيعية على الإقرار بالدور الحاسم للجانب المادي من النشاط البشري، إلى الجانب روعي ذلك يؤخذ بعين الاعتبار أن الجانب روعي لهذا النشاط يلعب دورا فعلا مهما، فقد يؤثر تأثيرا ملحوظا في الجانب المادي"<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> راكيتوف، أسس الفلسفة، ترجمة موفق الدليمي، دار التقدم، طبع في الإتحاد السوفيتي، 1989 ص 128.

\*وجهة المادية: حاول المؤلف جوردي بينيم Jordi pigem<sup>1</sup>، من خلال هذا المبحث إعطاء تفسيرات لغوية لفظ المادية حيث قال أن القاموس اللغوي الإسباني يرى أن المادية هي نوعان مادية بمعنى مالية تتعلق بالمنافع واتباع الرغبات عن طريق المال والنقود، وهناك تفسير آخر للمادية بمعنى الواقعي أو الحقيقي عكس ما يكون معنوي أو غير ملموس .

\*العالم مرآة للذات: إن العالم ما هو إلا انعكاس لما نراه نحن فنظرة النفساني وايكولوجي والمهندس تختلف من شخص لآخر، لكن تشخيص النفساني والإيكولوجي تتشابه لدرجة كبيرة فالنفساني بشخص المرض عندما تكون الروح مربطة داخل الجسد، و الإيكولوجي ويعالج الطبيعة وبتشخيص الأمراض التي تصيبها، وحاليا يعتبر الإنسان روح الكون والطبيعة هي الجسد .

ويرى المؤلف أن البشرية أصبحت مرتبطة حاليا، حيث تطمح لغزو الفضاء و اكتشاف الفضاء وعوالم أخرى خارج نطاق عيشنا، وذلك بتدمير محيطنا ومجال حياتنا .

\*أزمة الذات : إن أبعد من الذات يحاول المؤلف في هذا المبحث أن يعطي تفسير أن للذات الإنسانية من خلال المادية المعاصرة، ويقول أن التفكير المادي الذي صارت البشرية غارقة فيه، جعلها تعيش حالة من الفصام حيث أنهما من داخلها تعيش خوف كبير وفي ظاهرها بين الرفاهية والأمان<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> Jordi pigem, Buena crisis,hacia un mun do postmaterialista prilogo de a les rovir, 2009.p.27.

<sup>2</sup> - راكيتوف، المرجع السابق، ص 31 .

# الفصل الثاني

المذهب اللامادي بين البعد النظري والبعد العملي  
"التنمية"

البحث الاول: المذهب اللامادي عند جورج بركلي

"المبادئ و المنطلقات المعرفية و الوجودية"

البحث الثاني: قضايا و مشكلات التنمية

البحث الثالث: الخلفيات اللامادية لقضايا و مشكلات التنمية

### المبحث الأول: المذهب اللامادي عند جورج بركلي

ليست الفلسفة محصورة في شاب دون غيره أو فئة من الناس دون أخرى، بل كل إنسان فيلسوف في وقته إذ تلفت نظرة في بعض الأحيان تغيرات هذا الكون وظواهره المختلفة المتعددة فيقولاه "الدهشة" الذي كان أول باعث لأفلاطون وأرسطو على التفلسف فيتساءل ما حقيقة الأشياء وما مصدرها وكيف وجدت وما هو مصيرها؟ وأخص ما يشغل فكره ماهيته هو وغايته من الحياة؟.

يشعر في أعماق قلبه أن هذه المسائل الغامضة لا بد من أن تحل حلا صحيحا فيعمل فيها فكره. ولهذا فإن من فوائد التاريخ الفلسفي هو الاطلاع على تاريخ حياة عظماء الرجال الذين كشفوا لنا هذا الوجود بقوة التأمل الفكري، وطرق استدلالهم، ويعتبر المذهب الفلسفي بأنه مجموع عقائد وآراء خاصة بمبدأ أو ببعض المبادئ في تفسير ظواهر الوجود، لذلك تعدد المذاهب الفلسفية أن المعرفة في أساس لأشياء كما يأتي(المذهب التجريبي، المذهب التصوري أو المثالي، المذهب اللأدرية<sup>1</sup>، المذهب الصوفي... وغيرها من المذاهب.

فالفلسفة بصفة عامة تتخذ العقل أداها لفحص الوجود بصفة عامة وتحديد خصائص الموجود، فلو أمعنا النظر مليا لوجدنا أن الاتجاه التجريبي يستخدم العقل في تفسير العالم من خلال مقولات محددة من شأنها تصنيف ووصف الفيلسوف بصفة تجريبي، ولذلك فثمة التقاء بين الفيلسوف المثالي والفيلسوف التجريبي يتمثل في الاتفاق على تفسير الوجود والموجود، وعلى استخدام العقل في هذا التفسير، بل في أحيان كثيرة نجد اتفاقا في استخدام نفس المقولات، وإن اختلفت توظيفها مثل مقولتي المكان والزمان، أو مقولة الجوهر أو العلية، وهكذا نجد الفلاسفة يتناولون المقولات من خلال رؤيتهم الخاصة كل على حدة، ولذلك تختلف الرؤى الفلسفية سواء في المذهب الواحد أو المذاهب المختلفة، ولكن الذي يوحد الجميع تحت لواء واحد هو العقل بوصفه أداة البحث في الفلسفة مثل المادة في أداة البحث العلمي.

<sup>1</sup> - اللأدرية: وهو المذهب الذي يشك في كل شيء ولا يسلم بأي حقيقة وشعاره (لا أدري)، جورج طرايبيشي، من معجم الفلاسفة، الطبعة 03، دار الطبعة، بيروت، سنة 2006.

### – المبادئ والمنطلقات المعرفية و الوجودية:

تعتبر فلسفة انكلترا واسكتلندا في الجيل الثامن عشر مناظرة لفلسفة لوك وللتائج المادية التي استخلصها منها فلاسفة فرنسا، فالمقاومة كانت بالغة أشدها تارة، ونتج عنها في الفرع النظري المذهبان: التصوري والارتيابي ولقد اهتم الفلاسفة بمشكلة الظاهر والحقيقة وخاصة الفيلسوف المثالي والفيلسوف التجريبي، كما اهتم بها أيضا نفر من العلماء الذين لهم رؤى فلسفية ولقد ظهر كل منهم من وجهات نظر مختلفة، حيث يرى الفيلسوف المثالي أن الحقيقة ليست من طبيعة مادية بما هي من طبيعة عقلية، ونجد أن التجريبيين والعلماء يرون أن الحقيقة تساوي الظاهر في الأصل المادي وإن لم تظهر ماديتها بطريقة مباشرة، حيث كانت نظرة المثاليين بمشكلة الظاهر والحقيقة لسبيين: أولهما سبب منطقي يقرر فيه أن الكون بناء متكامل من الأفكار أو القضايا وأن الترابط أو الوحدة مبدأ جوهرى يجمع بين هذه الأفكار، لذلك لا بد أن يسعى الفيلسوف لإيجاد ثمة توحيد بين مجموع القضايا والأجزاء ومن ثم فإذا كان الحديث في جزء ما فإن هذا الجزء يقودنا إلى بقية الأجزاء الأخرى، ومن ثم تصل إلى الحقيقة، أما الثاني:

فهو سبب نفسي يقرر أن طبيعة الروح المثالية تسعى للبحث عن مثال أو نموذج تحقق من خلالها نوعا من التوازن بين العقل ونظام الحياة المادية اليومية، فالحياة تجمع في طياتها بين التقدم والتدهور والانتصار والهزيمة، اللذة والألم ولذا يسعى المثالي لكي يواجه مشكلة إثبات أن الكون معقول ومتسق.

وبناء على هذا يتضح أن معظم الفلاسفة المثاليين لا يذكرون الظاهر ولا يرفضون رفضا قاطعا، وهو أمر يختلف عما هو شائع عندهم، من خلالها تبدو لنا الأشياء المادية غير مفهومة<sup>1</sup>، فلا تتبين الطبيعة الحقيقية التي تمتلكها بالفعل وإنما تبدو ظواهرها غير متسقة ولا يقبلها العقل فأفلاطون لم يرفض العالم المحسوس وأقر ليبنتز Leibniz بحقائق الواقع التي تتغير واعترف بركلي بضرورة وجود معطيات حسية بوصفها نوعا من المعرفة، أما كانط Kant فقد جعل للظاهر أهمية عن الأشياء في ذاتها، وطبق هيجل منطقته على التاريخ.

<sup>1</sup> – محمد توفيق الضوي، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر و الحقيقة دراسة في ميتافيزيقا، برادلي، النشار، منشأة المعارف بالاسكندرية، 2002 ص 95.



إن تأثير العقل المباشر في المادة عقيدة قديمة قال بها بعض فلاسفة الإغريق كأمر ملازم للاعتقاد بوجود الروح وبخلودها في عالم تخضع فيه المادة خضوعاً مباشراً للعقل<sup>1</sup>، وبعض المعجزات الواردة في الكتب السماوية لا يمكن تفسيره إلا بأنه يتضمن تطبيقات صريحة ومحددة لتأثير مباشر من عقل النبي أو الرسول في المادة بل إن هذا التأثير هو الذي يوضح كيف يمكن خلق هذا الكون كله والمحافظة عليه بتأثير مباشر من العقل الأعظم، هو الذي خلق المادة بمجرد الإرادة وهذا التأثير الذي كان فيما مضى عبارة عن عقيدة فلسفية أصبح الآن حقيقة علمية بفضل دراسات تمت في نطاق علم الروح الحديث، وخارج نطاقه أي في نطاق المادة الصرفة، إذ تبين أن طبيعة المادة الأصلية في النهاية ليست سوى أثر في رتبة اهتزاز معينة، وهذا الاهتزاز بحاجة إلى مصدر دائم له هو العقل، لذا قال الشاعر فيرجيل منذ القدم إن العقل هو باعث المادة *mens agitat molena* أي أن العقل ينبغي أن يعد مصدراً للمادة ولا تعد المادة مصدراً للعقل وهذا ما كان قد ذهب إليه من قبل الفيلسوف بركلي

ولقد وضع بركلي مصادر تبين أساسيتين لنفسه الفلسفي

الأول: ان الله تعالى موجود وينبث سلطاته في كل شيء محسوس

الثانية: أن المادة وجود انفعالي لا فاعلية له ومن ثم لا تكون المادة علة لأي شيء

يقصد بركلي من نفسه الفلسفي مهاجمة النزعة الشككية *scepticism* والدفاع عن الحس المشترك الذي عرف في إنجلترا وبالذات في إيرلندا على يد توماس ريدن ومهاجمة نزعة الإلحادية *atheise* والدفاع عن الدين، وقد ساهم بركلي في إرساء دعائم الدين الطبيعي، ويختص بدراسة تصور الألوهية مستقلاً عن الوحي *revelation* أو النزعة الدوغمائية (الاعتقادية).

وبهذا يقدم لنا بركلي *Berkeley* نسقاً فلسفياً محوره الأساسي هو الله فهو أساس الوجود وأساس المعرفة والهدف الأساسي من هذا النسق هو وضع الأساس الديني للمجتمع وخدمة العقيدة المسيحية والمحافظة عليها في عصر ساد فيه الدين الطبيعي والفلسفات المادية ونظريات العقد الاجتماعي، وهيمنت النزعة الميكانيكية أو الآلية في تفسير حركة الكون ونظامه ووجوده، حتى

<sup>1</sup> - رؤوف عبيد: الإنسان روح لا جسد بحث في العلم الروحي الحديث، دار الفكر العربي، الجزء الأول، الطبعة 2، 2001، ص 465.

أصبحت فكرة الله لا ضرورة لها في إطار حركة الكون فقد تحدد دورها وانتهى بلحظة البداية تمارس العلية، ولذا ناقش بركلي نظرية المعرفة وبدأت نظريته في الهجوم على الأفكار المجردة وعلى معرفتنا بالكماليات وقد ذكر في مقدمة كتابه بعنوان "بحث يتعلق بمبادئ المعرفة البشرية 1710م" إلى أن المعرفة وإدراك الحقيقة قد أغلق تماما بسبب إفراط الفلاسفة في التجريد ونثر الألفاظ الجوفاء "فقد رسخ في عقول الفلاسفة أن العقل قادر على التجريد وأن ثمة أفكارا مجردة يستعين بها هذا العقل على التفكير في المسائل الفلسفية العويصة التي تتناولها علوم كالميتافيزيقيا والمنطق، هذه الأفكار المجردة ليست إلا مجرد أوهام وقرت في عقول الفلاسفة على أنها حقائق، مع أنها مصدر الظلام الذي يحيط بالحقيقة ومن واجبنا أن نبعتها عن طريقنا لنرى النور: نور الحقيقة"<sup>1</sup>

الوجود عند بركلي Berkeley على نحوين: نحو مدرك وهو الوجود المحسوس أي الأشياء أو الأفكار المحسوسة التي نراها ونشعر بها، وهي لا وجود لها إلا من حيث كونها مدركة أو قائمة في الإدراك، والنمو الآخر هو العقل وهو المدرك ولا وجود لشيء بمعزل عن ذلك أن وجود الأشياء يتوقف على كونها مدركة بالعقل، وهذا هو المعنى الذي تلخصه عبارة بركلي "الوجود هو اما مدرك أو مدرك".

وينكر بركلي الأفكار المجردة بنوعيتها تلك التي توجد في الذهن وتلك التي تتعلق بالأشياء ذاتها، أو تلك التي تشير إلى صفات الأشياء أو تلك التي تشير إلى الأشياء ذاتها موضوع الصفات.

ولكن على الرغم من إنكار بركلي للأفكار والألفاظ المجردة، وإنكاره كذلك قيام الأفكار الكلية المجردة في الواقع إلا أنه يقبل ويسلم بقدرة الذهن على تكوين رموز لغوية، وعلى قدرة العقل جعل أفكار كلية معينة تشير إلى أفكار جزئية تندرج تحتها ويقول في ذلك "إن الكلية ليست قائمة في الطبيعة ولا في الفكرة المطلقة الوضعية (أو الواقعية) لشيء ما، بل في العلاقة أو الرابطة القائمة بين الكلي وبين أجزائه التي يرمز إليها ويمثلها"<sup>2</sup>، ويتضح لنا أن وجود الأشياء مهما كانت تعتمد في وجودها على العقل كما تعتمد الصفات في وجودها على إدراك العقل لها "فالوجود هو

<sup>1</sup> - Berkley garge, a treatise concerning the principlis of human knewlege, the open courtseries, oxford, 1710, p.4.

وأنظر أيضا، يحي هويدي، بركلي، توابع الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة 1960، ص 23.

<sup>2</sup> - يحي هريدي، بركلي، المرجع السابق، ص 26.

المدرک *esse est percipi* ومعنى هذا أن الأشياء المحسوسة ليست إذن إلا مجتمعة من الأفكار الجزئية المحسوسة أو الكيفيات المحسوسة، ذلك أننا نلاحظ مثلاً لنرى ورائحة معينة، وشكلاً معيناً مجتمعين معاً ويكونون شيئاً واحداً متميزاً نطلق عليه كلمة تفاحة، وتؤلف مجموعات أخرى من الأفكار ما تسميه حجراً، شجرة، كتاباً، وكذلك سائر الأشياء الحسية المماثلة، ما هي إلا مجموعات من الكيفيات المحسوسة ذلك أنه لا وجود لشيء في الطبيعة إلا بوصفه مدركاً هو الشيء المحسوس أي الفكرة التي نراها ونحس بها وهي كل مضمون الشيء أو حقيقته، ويوفق بركلي بين الظاهر والباطن من خلال العلاقة القائمة بين الأنا (كباطن) والعالم الخارجي (كظاهر) فيقرر أن معرفتنا تأتي لما من عالم التجربة الحسية، وهذا يعني أن لدينا أفكاراً عن هذا العالم لكن نشترط المعرفة الصحيحة أن تتفق أفكارها من المدركات الحسية فإن اختلفت لنا نعرف شيئاً، أن العالم عند بركلي يمثل تتابع الأفكار في عقلي في اتساق وتتطابق وتنظيم، أما تسلسل الموجودات الواقعية فهو ناتج من طبيعتنا الفكرية التي يصبغها العقل على العالم الخارجي، فنحن في حقيقة الأمر لا ندرك إلا أفكارنا وأحاساستنا، فهل يمكن أن توجد الأفكار والأحاسيس في مكان غير عقولنا إن كل ما ندركه بحواسنا، فهل يمكن أن توجد الأفكار والأحاسيس في مكان غير عقولنا أن كل ما ندركه بحواسنا هو مجرد أفكاره في العقل، فالمتزل والجبال والأشياء هي في الأصل داخل عقولنا وبناء على هذا لا يقر بركلي إلا بوجود العقول أو النفوس التي هي سبب وجود كافة الموضوعات وبذلك يتوقف وجود الأشياء على الذوات التي تدركها حيث يقول عبارته المشهورة (الوجود هو المدرک) وهذا الموقف يقر به من الفلسفة التجريبية، لكن الإدراك الحاصل هنا ليس إدراك المحسوسات، إنما هو فعل باطني يتم من خلال العقل، فالتعقل كفعل داخلي هو الذي يمنح الوجود المعنى والصدق، ولذلك فالأشياء التي لا يدركها عقل ما هي في رأي بركلي غير موجودة وعدم الوجود ليس هو العدم، فقد لا أدرك الموضوع المادي في هذه اللحظة لأسباب محددة أدت إلى ذلك وبناء على هذا يصير المقصود من عبارته "الوجود هو المدرک" أن المادة ليست مستقلة عن العقل الذي يدركها، وينسجم نفس الأمر على العالم الخارجي، فالمادة لا بد أن تكون موضوعاً لفكرها، وأن الأشياء التي أدركها والتي توجد أمام عقلي لا بد أن تكون موجودة أما ما لا أدركه فهو غير موجود على الأقل بالنسبة لي، لكن قد يدركه شخص آخر، أي عقل غيري، أما ما لا يدركه غيري فهو موجود في عقل الله.

ولقد اعترض بعض الفلاسفة والنقاد على رأي بركلي هذا قائلين بأننا نرى في الواقع الفراغ الخارجي كما نرى الأجسام الموجودة فيه وبالتالي فبعضها أقرب أو أبعد من البعض الآخر، ولكن بركلي أنكر ويرد عليهم قائلا: "...لا وجود للفراغ المطلق متميزا عن الأجسام التي تدركها الحواس... ولا يمكن أن يوجد بدون العقل كالأجسام الأخرى"<sup>1</sup>، وعليه فحيث توجد الأجسام والحركة يوجد الفراغ: أي في العقل، ويقول أيضا: "أن العالم المادي ليس سوى عالم مظهري phenomenal وليس لمادته صفة الدوام، كما أنه ليس له طاقة خاصة به، وأنه ليس من شيء حقيقي سوى الروح، وأنه ليس للكائن الجسدي من مزية سوى أنه خاضع للحواس"، كما قرر أن كل ما يلحق بنا من تغيرات محسوسة لا يأتي منا، بل ينبعث من الروح الأعظم<sup>2</sup>، وأن ظواهر الطبيعة ليست سوى أسلوب يخاطبنا به الاله تعالى ويهيمن به على إرادتنا فالتنتاج هي موضوع العلوم الطبيعية، أما الأسباب فهي موضوع الثيوصوفية، وأن العالم المادي لن يكون له وجودا بعيدا عن عقل يسجل وجوده، ويقول بركلي في ملاحظاته في كتاب تعليقات فلسفية: إذ اعتبرنا الموضوع المباشر أي الفكرة على أنه فكرة للشيء فإن افتراض المادة أمر لا بد منه، إن أفكار الحس عند بركلي هي الأشياء الحسية، وخلاف ذلك مبعث للخطأ لأن الذي يجعل الفكرة المحسوسة مجرد تخيل للشيء يجعل افتراض وجود المادة لازم.

### \*التصورات المختلفة في وجود المادة:

وفي هذا التصور يناقش بركلي التصورات المختلفة التي قال بها الفلاسفة في وجود المادة ومعيار المناقشة بالطبع هو مبدأ الوجود إدراك، ومن إطار هذا المبدأ تحدت عناصر الوجوديين شيئين هما: العقل والأفكار، حيث أنكر بركلي كل حقيقة للمادة خارج العقل وكيفيتها الأولى وكيفيتها الثانية ليست إلا تغيرات تلحق الذات الشاعرة، وليس لها خارج هذه الذات إلى نوع من الوجود، لكن إذا كنا قد جردنا المادة من كفياتها الأولى والثانية فماذا عسى أن يبقى لها بعد ذلك؟ لا شيء مطلقا، وأية فائدة علينا من افتراض جوهر غير مرئي وليس قابلا لمعرفة؟ إننا لن نستطيع أن نعرف عنه أية حقيقة موضوعية، ولن يتيسر لنا أن نرجع إليه علة أثارنا الحسة ما دمنا قد افترضناه منفعلا لا فاعلية له على الإطلاق، هل نقول: إن هذا الجوهر موجود باعتبار أنه يمثل

<sup>1</sup> - كريم متى، الفلسفة الحديثة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2011، ص 196.

<sup>2</sup> - رؤوف عبيد، الإنسان روح لا جسد بحث في العلم الروحي الحديث، المرجع السابق، ص 465.

حقيقة تنتشر تحت الصفات؟ لكن هذا يتطلب منا أن نعرفه بأنه الامتداد وسيستمر هذا في سلسلة قهقرية إلى لا نهاية" "إذا كنت تقول : إن الجوهر الجسماني أساس أو دعامة الامتداد، فيجب أن يكون هو نفسه ذا امتداد يجعله قابلا لأن يكون أساسا أو دعامة، وهكذا إلى غير نهاية (المحاورة الأولى بين هيلاس وفيلونوس) فيجب إذن أن نعدل عن القول بالوجود الخارجي لجوهر مادي أعني يجب ألا تعترف بوجوده متميزا عن كونه مدركا<sup>1</sup>.

ولكن اعتقاد الفلاسفة الشائع هو أن الكيفيات المحسوسة قائمة في جوهر ساكن ممتد غير محسوس يسمونه المادة ويعززون إليه وجودا طبيعيا مستقلا عن كل الموجودات المنكرة، والمادة بهذا المعنى شيء مستحيل لأن الأفكار أو الكيفيات المحسوسة إذا كانت قائمة في شيء غير مدرك فذلك تناقص لأن الأشياء هي أفكار أو كيفيات أو إحساسات "وليس هناك إحساس يقوم في شيء غير حاس وليس هناك فكر يقوم في شيء غير مفكر، وطالما أن أفكارنا هي إحساسات فإننا نقول : انه ليس هناك أفكار تقوم في شيء غير مفكر أو غير حاس"<sup>2</sup> وبهذا ينفي بركلي امكانية تصور المادة أو تصور أية مصنوعات مادية مستقلة عن العقل لأن كل تصور في العقل يجب بالضرورة أن يكون تصورا أو تخيلا لفكرة محسوسة، ومن ثم يستحيل تكوين أي تصور عن المادة أو أي موضوع مادي مستقل عن العقل، وبهذا أصبح العالم أفكارا محسوسة لا يقوم بم عزل عن العقل.

وقد تساءل بركلي هل هناك حقا عليه في الطبيعة بالمعنى الحقيقي لها أي بمعنى وجود قوة فعالة مؤثرة في المادة؟ وأجاب بركلي بعدم وجود تبرير لوجود مثل هذه القوة الفعالة المؤثرة في المادة وأرجع سبب رفضه إلى ثلاثة أسباب هي:

أ- يرى بركلي أن العلة الحقيقية في الطبيعة هي الله تعالى، ولا توجد قوة فعالة أخرى غيره

ب- ويرى بركلي كذلك أن المادة لا تحتوي في طبيعتها على شيء مستمر بل إنها لا تشمل إلا على ما تدركه منها، مما يتنافى معه وجود "قوة" أو "علة" مؤثرة.

<sup>1</sup> - بول جانيه، جبريل سباني، مشكلات ما بعد الطبيعة، المرجع السابق، ص 72.

<sup>2</sup> - Brrekeley, philosophical commentries, s, 378, p 45

3- يحي هويدي، بركلي، توابع الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، 1960، ص 34.

ج- وأخيرا يرى بركلي أن فاقد الشيء لا يعطيه، بمعنى أن جميع صفات المادة سلبية عديمة منفعة لا فاعلة وبالتالي ليست هي "علة" الحركة، أي أن "العدم" لا ينتج إلا العدم، على حد تعبير سبينوزا في موضوع العلية<sup>3</sup>.

وهنا يبدو لنا أن بركلي لا ينكر وجود المادة إنما يقرر أن وجود المادة له سبب مباشر يحدده وهو وجود عقل يدرك هذه المادة، وبعبارة أخرى طالما وجد العقل الذي يدرك المادة تصير المادة موجودة في هيئة معطيات حسية و أشياء، وبالتالي لا يقرر بركلي بالوجود المادي إنما الجوهر الحقيقي لديه هو الجوهر الروحي أو النفوس، وبناء على هذا نجد موقفين متميزين في فلسفة بركلي:

الأولى: يقرر فيه أن الموضوعات المادية المحسوسة لا وجود لها مستقلة عن العقل الذي يدركها،

والثاني: أن هذه العقول وما تشمله من أفكار هي وحدها الحقيقية التي لا تقبل الشك<sup>1</sup>

**\*المثالية الذاتية عند بركلي:** يرى بركلي أن الوجود يرجع إلى الإدراك، فوجود الأشياء معناه أننا ندركها فلا وجود لغير المدرك، ويقول بركلي في نص مشهور في كتابه "المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوسن المحاورة الثالثة"

"سئل البستاني لم يعتقد بوجود شجرة الكرز في الحديقة، سيخبرك أنه يعتقد بوجودها لأنه يراها ويلمسها وفي كلمة واحدة لأنه يدركها بجواسه، ثم سأله بعد ذلك لم يعتقد أن شجرة البرتقال غير موجودة، وسينبؤك أنه يعتقد بعدم وجودها لأنه لا يدركها، وعلى ذلك فإن الشيء الواقعي أو ماله وجود عنده هو ما يدركه بجواسه، أما ما لا يدركه فيقول عنه أنه غير موجود"<sup>2</sup> ومن ثم وصل بركلي إلى مبدئه الأشهر وهو أن وجود الشيء هو إدراكه أو أن وجوده قائم في كونه مدركا، أو أنه قائم في فعل الإدراك الذي يقوم به الشخص المدرك وعلى ذلك فوجود الأشياء الواقعية تنحل في رأي بركلي إلى وجود الادراكات ووجود الادراكات ووجود الأشخاص المدركين ومن الواضح إذن أن الوجود هو الإدراك أي أن وجود الأشياء معناه أننا ندركها

<sup>1</sup> - محمد توفيق الضوي، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهرة الحقيقية، المرجع السابق، ص 110.

<sup>2</sup> - حسين علي، ما هي الفلسفة، جميع الحقوق محفوظة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011، ص 144.

والمدرک هو فكرة، وغير المدرک لا وجود له، والمادة لا تدرك في ذاتها إذ هي معنى مجرد لا يمكن تصويره بعيدا عن كیفیاته، ومن ثم يذهب برکلي إلى أن الشيء ليس له وجود مادي مستقل عن إدراكي له، ولكنه يقطن إلى أن المدرکات الحسية مستقلة عن العقل الذي يدركها ولهذا حاول تفسيرها بقوله إنها موجودة في العقل الإلهي.

### – قانون العلية ووجود الله والإعلاء من شأن اليقين الحسي:

يوجد العديد من الحجج التي تستخدم لإثبات وجود الله مثل: الحجة الكونية والغائية والأنطولوجية والأخلاقية وغيرها، إلا نظرا للحجة الكونية هي الوحيدة التي تجمع بين الفلسفة والعلم وأنها أكثر الحجج قوة وإقناعا ويمكن تعريف قانون العلية أو السببية بأنه العلاقة الثابتة بين السبب والنتيجة أو الأثر effect، وهذا يعني أن لكل ظاهرة سببا يقف وراءها ويفسرها، وبالتالي ما من أثر إلا وكان لوجوده سبب أي مبدأ يفسر وجوده.

إن الله هو الموجود ذو الفاعلية الخالصة ولكنه ليس فكرة وليس هناك فكرة ما تشبه الله أو تمثل طبيعة، لهذا يرى برکلي أن "كل موضوع للتأمل لا يدرك عن طريق قدراتنا أو ملكاتنا الناقصة، فهي لا تمدنا بفكرة الروح أو الجوهر الفعال وإذا كنا سنوجه اللوم لقدراتنا فإنها غير قادرة على إدراك مربعا لذلك نحن لا نستطيع بعقلنا القاصر أن نتصور أي فعل من أفعال الله إلا إذا كان قد بدأ وتم في الزمان، ولكن الله موجود متعال وصفاته وكمالاته لا تقف عند حد ومن أجل ذلك فإن طبيعته لا يمكن للعقول المتناهية أن تفهمها أو تحيط بها ولا وجود لإنسان ماديا كان أو لا ماديا يستطيع أن يحيط بالدقة بالألوهية وصفاتها وأفعالها"<sup>1</sup>

وهنا نتساءل ما المقصود بالإعلاء<sup>2</sup>، هل هو كما يرى أفلوطين حيث يقول: "إني ربما خلوت بنفسي، وخلعت بدني جانبا وصرت كأني جوهر مجرد بلا بدن فأكون داخلا في ذاتي راجعا إليها خارجا من سائر الأشياء، فأكون العلم والعالم والمعلوم جميعا، فأرى في ذاتي من الحسن واليها

<sup>1</sup> – برکلي، المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلوفوس، ترجمة د. يحيى هودي، ص 178.

<sup>2</sup> – relever.

والضياء ما أبقى له متعجبا بهتا فأعلم أي جزء من أجزاء العالم الشريف الفاضل الإلهي ذو حياة فعالة"<sup>1</sup>.

ونجد معنى الإعلاء الذي يخالف أفلوطين عند بركلي يقوم على خلاص النفس من الجسد ولهذا لم يستخدم بركلي مصطلح transcendence بل استخدم كلمة بل يتضمن صعودا تدريجيا من الملكات الأدنى للنفس إلى الأعلى كما يقول هذا الأخير: "من خلال التجارب الحسية تعرف أدنى ملكات النفس وتنتقل بواسطتها تدريجيا أو صعودا فترتقي إلى أن تصل الملكات الأعلى للنفس فالحواس تزود الذاكرة بالصور التي تصبح موضوعا لعمل المخيلة ومن ثم يتأمل العقل ويحكم في هذه التخيلات وأفعال العقل هذه تصبح موضوعات جديدة للذهن"<sup>2</sup>

أراد بركلي Berkeley من فلسفته أن يجتنب الشك، وحرصه على هذا ادعاه إلى القول باللامادية: "إذا نبهني شخص إلى وجود ذرة من الغموض الذي مبعثه الشك في الفكرة التي لدى عن شيء ما، فسأكون محقا كل الحق إذا أنا تخلّيت عن هذه الفكرة فيما بعد، حتى إني أعتقد أن من حقي الآن أن أطرح الفكرة المضادة لها أيضا" (المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس المحاورة الأولى) وطريقة بركلي كلها قائمة في إنكار الجوهر المادي كي يحتفظ لليقين الحسي بكل قوته "عندما ندرك الأشياء المحسوسة فإننا لا نستطيع أن نشك في وجودها (المحاورة الثالثة من المحاورات هيلاس وفيلونوس) ولم تكون تفاهة فيلسوف ينظر إلى وجود الأشياء المحسوسة باعتبار أنها أشياء محتملة، وبينما هي في ذلك إلى النهاية حتى يزعم أننا لنا بترهن عليها إلا إذا استمعنا بالصدق الإلهي... أما أنا فأقول: أنني إذ شككت في وجود هذه الأشياء التي أراها وأمسها في هذه اللحظة فسأشك كذلك في وجودي الخاص...إني أعلق على الملاء أن يقيني بوجود أجسام (وأقصد بذلك الأشياء التي أدركها مباشرة بحواسي) يعادل يقيني بوجودي الخاص"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أفلوطين: اثولوجيا ارسطاطا ليسن تحقيق، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، 1966، ص 22.

<sup>2</sup> - فريال حسين خليفة، فكرة الأولوية في فلسفة بركلي، المرجع السابق، ص 170.

<sup>3</sup> - بول جانين، جبريل سيبي، مشكلات ما بعد الطبيعة، المرجع السابق، ص 70.



### المبحث الثاني: قضايا ومشكلات التنمية

مع تطور مفهوم التنمية إلى مفهوم جمع بين النظرية والتطبيق، وهو مفهوم التنمية البشرية المستدامة، والذي يقوم على جودة حياة الأجيال الحالية والمستقبلية، وفي الوقت التي أصبحت فيه المعرفة أساساً للتنمية، ومصدراً عالمياً ومستداماً للقيمة والتبادل الاقتصادي تنافس على امتلاكها وإنتاجها، ولذلك اتسع مفهوم التنمية وتعدده أبعادها وعناصرها، وما يترتب على ذلك من تعدد في الأهداف التنموية وتعدد في السياسات التنموية يعني أن المتابعة الجيدة لجهود التنمية وأهدافها يجب أن تستند إلى عدد كبير نسبياً، من المؤشرات التنموية، فلم يعد يكفي النظر إلى مؤشر واحد حتى ولو كان مؤشراً مركباً، بل أن هناك حاجة للنظر في مجموعة مؤشرات تتضافر سوياً لرسم صورة جيدة عن مدى التقدم في تحقيق أهداف التنمية أو حتى مدى التقدم في تطبيق بعض الوسائل التي تؤدي إلى هذه الأهداف ولو بعد حين.

ولقد اهتم علماء الاجتماع والاقتصاد بقضية التنمية دفعهم إلى تقسيم دول العالم من حيث بنائها الاقتصادي وما وصل إليه من تقدم ورفاهية، ومن حيث مستوى الحياة الاجتماعية والمعيشية فيها إلى دول مختلفة أو تحت النامية، ودول في سبيلها إلى التطور أو التنمية، وفي هيئة الأمم المتحدة كانت التنمية الشغل الشاغل للاقتصاديين والاجتماعيين الذين قسموها إلى قسمين:

1- تنمية اقتصادية تتجه إلى تنمية إنتاج وزيادة الدخل والتوسع في توظيف رؤوس الأموال.

2- تنمية اجتماعية تهدف إلى تحقيق مستوى معاشي وحياتي من حيث التعليم والسكن والصحة وغيرها للسكان.

والمهم من منظور تحديد مفهوم التنمية هو أن خبرة التنمية في الخمسينات والستينات قد جعلت الاهتمام يتحول من النمو الاقتصادي إلى قضايا التفاوت والعدالة في توزيع الدخل وإزالة الفقر والقضاء على التعطل وبعدها كان النمو الاقتصادي هو الملك المتوج الذي ينفرده وحده بعرش التنمية، اشتد الهجوم عليه وتصاعدت موجات المطالبة بإخلاء العرش، أو على الأقل بإسناخ مكان على عرش التنمية لإلغاء الفقر وتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتوسيع فرص العمل وإشباع الحاجات الأساسية، وذلك إلى جانب النمو الاقتصادي وهنالك من يذهب إلى أن عدم

تحقيق تحسن يذكر في توزيع الدخل وأوضاع الفقراء برغم ما قد يحدث من نمو اقتصادي سريع يرجع إلى أسباب عميقة يجب البحث عنها في الإطار المؤسسي الذي تجري فيه التنمية.<sup>1</sup>

وفي الإطار الدولي الذي وجدت دول العالم الثالث نفسها فيه دون اختيار أو استثماره بعبارة أخرى أخذت تتبلور رؤية جديدة للتخلف مغايرة لتلك التي ارتبطت بالمفهوم الاقتصادي للتنمية، وكان جوهر تلك الرؤية الجديدة للتنمية أن التخلف ليس مرده قلة الأموال المطلوبة للاستثمار فقد توفرت الأموال لكثير من البلدان النامية ولم تحدث فيها تنمية أو نمو، وإنما يرجع التخلف إلى:

1- طبيعة الهياكل الداخلية السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في الدول النامية، وما تتسم به من تفاوتات في توزيع التفرد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

2- طبيعة العلاقات الدولية التي تربط بلدان العالم الثالث بالبلدان المتقدمة.

3- علاقات القوى التي تنشأ من وجود وتفاعل هذه الهياكل والأطر المحلية والدولية وتحديد توزيعها معيناً للسلطة.

وهكذا ساعدت خبرة الخمسينات والستينات على إبراز الجوانب غير الاقتصادية للتنمية، أي الجوانب المتصلة بالنظام الاجتماعي والسياسي وعلاقات القوى فيه والجوانب المتصلة بثقافة المجتمع.<sup>2</sup>

وإذا تتبعنا تطور مفاهيم التخلف والتنمية فسوف نجد أنها قد مالت في أول الأمر إلى التركيز على جانب النمو الاقتصادي وما يتحقق فيه من انجاز فقد كان التعريف الشائع للبلدان النامية منذ أواخر الأربعينات حتى أواخر الستينات أنها البلدان التي ينخفض فيها مستوى الدخل القومي<sup>3</sup> كثيراً بالقياس إلى مستوى المتحقق في البلدان المتقدمة، وعرفت التنمية بأنها الزيادة السريعة والمستمدة في مستوى الدخل الفردي عبر الزمن، بل إن البعض قد ذهب إلى إعطاء تحديد كمي للزيادة السنوية المطلوبة في الناتج القومي الإجمالي، استناداً إلى خبرة الدول المتقدمة في مراحل تطورها المبكرة وإلى معدلات التزايد السكاني في الدول النامية، فعرفت التنمية بأنها الحالة التي

<sup>1</sup> - ابراهيمة العيسوي، التنمية في عالم متغير دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص 16.

<sup>2</sup> - ابراهيمة العيسوي، المرجع نفسه، ص 17.

<sup>3</sup> - أي متوسط دخل الفرد أو متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي أو من الناتج القومي الإجمالي.

يصبح فيها الاقتصاد القومي الذي ظل في وضع سقيم بالركود لفترة طويلة، قادرا على توليد متواصلة في الناتج القومي غير أنه مع عقد السبعينات والثمانينات أدرك المختصون بأنه من الممكن لدولة ما أن تشهد نموا سريعا في الجانب الاقتصادي لكنها تظل مختلفة مما عزز القناعة أن التنمية الاقتصادية لوحدها غير كافية للنهوض بالتنمية الشاملة، ومن هنا أتت ضرورة اجراء مقاربات متعددة الاختصاصات تأخذ في الحسبان الأبعاد الثقافية والاجتماعية والإنسانية للخروج من اختزال التنمية في نمو الثروة المادية، وكان مفهوم التنمية من الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية عهد الثمانينات مقتصرًا على كمية ما يحصل عليه الفرد من السلع والخدمات المادية، ولكن مع بداية التسعينات برز مصطلح التنمية البشرية والذي جاء بديلا وموسعا لمصطلحات متعددة أطلقت على عملية جعل البشر هدفا للتنمية<sup>1</sup>. مثل (تنمية الموارد البشرية، تنمية العنصر البشري، تنمية رأس المال البشري... الخ)

أم ما يميز القرن العشرين في نظرنا هو تنامي الحاجة البشرية إلى حقوق تختلف طبيعتها عن تلك التي سادت في المجتمعات القديمة، لم تعد التنمية تركز على إشباع الحاجات من الغذاء ووسائل العيش الكريم مرتبطة بالإنتاج المادي للسلع بقدر ما أصبحت مرتبطة بنوع جديد من الحقوق كتلك المتعلقة بضمان الحقوق السياسية والمدنية للمواطنين، والتي تعتبر مانعا دون السقوط في أشكال الجور والتسلط والتشدد للرأي التي من نتائجها المباشرة الحروب والأخطاء الاقتصادية التي تتجر عنها كل أشكال الفقر والحرمان كالفاشية النازية والحروب العالمية وما خلفته من آثار المجتمع الدولي، وهذه الحقوق جاءت في أوجه جديدة أصبحت تتحدث عن التنمية البشرية وعن التنمية السياسية وفي الأخير أصبحنا نفكر في مفهوم التنمية المستدامة، والتي باختصار تحاول الوقوف على الأساليب الاقتصادية الحالية، وكيف يمكن التخفيف من حدتها حتى تكفل للأجيال القادمة حقها من الطاقة المستخرجة من المناجم من الموارد الطبيعية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أنظر: أرحال جعيلة، بوخالفه رفيقة، التنمية من مفهوم تنمية الاقتصاد إلى مفهوم تنمية البشر، علم الاجتماع المركز الجامعي تيبازة، 2004، ص 12.

<sup>2</sup> - أمارتيامن، خبير اقتصادي ولد في الهند في 03 نوفمبر 1933، تحصل على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1998، ينظر إلى [www.wikipedia.com/amartyasen](http://www.wikipedia.com/amartyasen)

وإن التنمية بالعالم النامي فرضت أنماطا جديدة في عملية تسيير هذه الحركية التي كانت تهدف إلى تحقيق مستوى معين من الحداثة، والعصرية، وذلك بأقل قدر ممكن من التأثير على البناء الاجتماعي الكلي للمجتمع من جهة وعلى الإنسان وعلاقته بهذه العملية التنموية الشاملة من جهة ثانية<sup>1</sup>، باعتبار أن حل قضايا التنمية أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا بمدى قدرة المجتمعات والبرامج في تخفيف حدة هذه المعوقات، وهذا ما نجده يتجسد أكثر ضمن نظريات التنمية التي انطوت على غموض نسبي وتباين واضح فيما يتعلق بتصوراتها وأهدافها والآليات التي تقترحها.

ولذلك نجد بأن دراسة مشكلة التنمية والواقع الإنسان لمجتمعات العالم النامي يستلزم أن يتم في إطار تكاملي مع عدم إغفال أي بعد اجتماعي وسياسي أو ثقافي.

وذلك أننا نعتقد بأن الفكر التنموي المعاصر بدأ يأخذ مكانته من خلال الاستفادة من التجارب السابقة، ومحاولة إدراك الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية المشتركة وفق منظور واقعي يتأكد أكثر بإدخال ميكانيزمات جديدة منها التصنيع الذي لم يعد حلا لمشكلة الفقر (كما حدث في بريطانيا) وإنما أصبح محورا أساسيا في تبني القضية التنموية بدول العالم النامي انطلاقا من كونها تراثا اجتماعيا يسمح بتفسير البناءات الاجتماعية في الوقت الراهن.

وغن التطور العالمي أكد أن قضية التنمية ما زالت إحدى القضايا التي تحضي باهتمام واسع سواء على المستوى القومي أو العالمي، وأنها ليست تغييرات اقتصادية ومادية محضة، وإنما التنمية الحقيقية هي التغييرات الحضارية والتحوليات الواقعية التي تحدث في شبكة العلاقات الاجتماعية والإطار الثقافي والاجتماعي للنسق القيمي والمعايير وأنماط السلوك في المجتمع وواقع التنمية ومشكلات المجتمعات المعينة بها متعددة ومختلفة تبعا لظروف كل مجتمع وخصائص مكوناته، وليس المقصود بهذا أن التنمية متباينة وإنما الذي نقصده أن البرامج والسياسات المتبعة في إحداث تغييرات بنيوية اقتصادية واجتماعية تكون متباينة ومتعددة، وبوجه عام تعتبر عملية التنمية قضية معقدة ومتشابكة الجوانب، تختلف معوقاتهما في عديد من الأبعاد المتداخلة تعمل بعضها من خلال بعض ويؤثر بعضها في البعض، مما يسمح بالتأكيد على أن معوقات التنمية أو تحديات التقدم ومظاهر

<sup>1</sup> - محمد شفيق، التنمية الاجتماعية دراسات في قضايا التنمية و مشكلات المجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص10.

التخلف متعددة ومتباينة تبعاً لظروف كل مجتمع وخصائصه وإمكانياته<sup>1</sup>، ويمكن أن نذكر أهم قضايا ومشكلات التنمية التي واجهتها فمن كافة الأبعاد والجوانب المعرفية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ولقد أدت كثرة الكتابات والحوارات حول التنمية، بما صاحب ذلك في اختلافات وتناقضات إلى مزيد من الغموض والارتباك حيال هذه الظاهرة ولعل السبب في ذلك مزدوج، تشعب الظاهرة وشمولها لمختلف جوانب الحياة (المعرفية، النفسية، الاجتماعية والسياسية، ثقافية) من جهة، وهو ما نتج عنه تفسيرات هامشية ومنحرفة من جهة أخرى، ونحن هنا سنحاول أن نفرض أهم القضايا ومشكلات التنمية، التي يملحها عليها الواقع.

ما هي أهم جوانب التنمية؟ وما هي تجلياتها وآثارها؟ وما هي آراء وتحليل كبار الاقتصاديين لهذا الظاهرة؟.

#### أ- الجانِب المعرفي: "البعد المعرفي للتنمية"

إن تطوير أي جانب من الجوانب المتصلة بشخصية الإنسان يعد بالغ الأهمية، لأن تكلفة ليست كبيرة، ولأن ذلك قد يكون الخيار الوحيد في بعض الأحيان، ولأن النجاح فيه قد يكون بعيد الأثر

فالفكر هو الذي يقود التقدم، فلا يمكن لمجتمع أن ينهض ما لم يتقدم الفكر لديه، ويمكن في وسعه توفير الأسس المنهجية والإصلاحية لذلك، ويمكن تعريف النظام المعرفي بأنه: "جملة من المفاهيم والمبادئ والإجراءات التي تعطي للمعرفة في فترة تاريخية ما بينهما اللاشعورية، أو هو في ثقافة ما بينهما اللاشعورية"<sup>2</sup>.

فتنمية الفكر تقوم على ثلاثة أسس رئيسية هي: التعرف على المبادئ والمنطلقات الصحيحة التي تستخدم في التفكير إلى جانب معرفة بعض التقنيات التي تساعدنا على استخدام إمكانياتها العقلية على نحو صحيح، بالإضافة إلى تسليط الضوء على بعض الانحرافات على سبيل التفكير

<sup>1</sup> - محمد شفيق، المرجع السابق، ص 48.

<sup>2</sup> - محمد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط10، 2009، ص37.

المنهجي، ونحن نعتقد أن تنمية التفكير تستحق الاهتمام الخاص، حيث يشتد الطلب اليوم على الإنسان الفذ الذي يستطيع استخدام إمكانياته الذهنية بصورة جيدة، وحيث يتطلب تزايد المشكلات على الصعيد الإسلامي عقولاً من نوع خاص ولم يعد لدى الإنسان من ذكاء واستعدادات فطرية كافية للعيش في هذا الزمان المعقد المدخول، وقد كان في إمكان الأمي فيما مضى أن يعيش بكرامته، وضمن الحد المقبول من الفاعلية والسيطرة على شؤون الحياة المختلفة لأن الوسط الذي يعيش فيه كان كذلك، أما اليوم فإن طفولة الإنسان صارت هي الأصل وبالإمكان أن يصبح المرء هو ما، دون أن يكتسب النضج الكافي للعيش الجيد في هذا الزمان المنقطع النظير.

### \* تنمية الإبداع:

التفكير الإبداعي تفكير يؤدي إلى إنجاب شيء جديد لم يكن معروفاً على مستوى ما، من قبل وتطلق صفة الإبداع على الخيال متى تلقائياً في إنشاء مجموعة جديدة من الأفكار والصور، إن الإبداع يعني تأليفاً بين الأفكار وتركيبها تركيباً فذاً، وذلك حين تكون الثمرة العقلية أكثر من مجرد خلاصة جمعية للأجزاء أنه الإتيان بقاعدة جديدة، أو اكتشاف لقانون جديد أو استخراج لشكل جديد غير مألوف، وإن مجتمعاتنا بحاجة ماسة إلى نوع من التوسع المعرفي الرأسي والأفقي حيث أن لدينا أعداد كبيرة من الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، ولا يعني كل هذا أن المعرفة لدينا في فوضى تامة، فالرقي المعرفي شيء نسبي، والمعرفة نفسها تتأثر تأثراً بالغاً بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في أي مجتمع، لكن علينا في كل الأحوال أن نسعى إلى ترسيخ مفاهيم ثقافية ومعرفية ترقى بالفرد والمجتمع وتساعد على تلبية الشروط الموضوعية للعيش في عصر يشهد انفجاراً معرفياً هائلاً<sup>1</sup> فالتراكم المعرفي المتسارع سوف يوسع دائرة الاجتهاد، ويثري الساحة المعرفية بالكثير من الأفكار والآراء والمذاهب وكلما كثرت الاجتهادات كان إمكان الانتقاد والحذف والتعارض والتجاهل والاختلاف أكبر، فالتنمية الفكرية التي نشدها ستظل مرهونة بالنجاح الذي لحقه على صعيد التخلص من أولي التفكير القاصر والمنحرف والخطأ إذ لا بد قبل زرع النبات الفكرية الجديدة من تطهير الأرض من الأشواك وتعريض التربة لأشعة الشمس

<sup>1</sup> - عبد الكريم بكار، مدخل في التنمية المستدامة رؤية إسلامية، دار القلم دمشق، ط4، 2011، ص 120.

الساطعة، لا يعني هذا بالطبع التوقف عن بث المنهجيات الصحيحة والجيدة والأفكار العظيمة إلى أن نتخلص من أنماط التفكير المعوج، لكنه يعني ضرورة محاصرة الأخطاء الفكرية التي تظهر في مظاهر شتى.

إن تنمية أي جانب من جوانب الحياة هو في الحقيقة عمل جزئي، لا يتم في فراغ ولا من غير اعتبارات وشروط متعددة، فالناس إذا لم يروا ثمار العالم تتجسد في المزيد من الرقي الفكري والشعوري، ورشاد السلوك وتصحيح الأخطاء وفتح آفاق جديدة للعمل، فإنهم لن يقبلوا عليه ولن يضحوا بشيء من أجله، ولذا فلا بد من إعطاء انطباع جديد، عن مهمة العلم في الحياة<sup>1</sup>، إذ ما أردنا له أن يستبعد حيويته في الحياة وهذا من مسؤوليات المثقفين، والمخططين للحياة العامة، إن المشكلات التي تفوق تنمية المعرفة عديدة، لكننا لا نريد الاستقصاء، وإنما تنمية الأذهان إلى المحاور الأساسية في كل قضية.

العقل البشري الذي يقوم بالتفكير والنظر والبحث والدراسة فهو أيضا يشهد تغيرا دائما، بل اختلافا وتنوعا بحيث لا يكون فيه تطابق كامل بين عقليين، وذلك لاختلاف التنشئة والتعليم واختلاف الثقافة والعقائد، واختلاف البيئات واختلاف التكوين البيولوجي، أما وسائل البحث التي هي واسطة بين العقل الباحث وموضوع البحث فهي دائما في توسع وتقدم بصورة تقوى أو تضعف قدرات الإنسان المفكر، تعكس بصدق أو تشوه موضوع البحث، وإن أعمال العقل والفكر في جميع ظواهر الكون أمر ملازم لوجود الإنسان، لذلك فإن هذه الدراسة وإن كانت قد ركزت بصورة أساسية على أسس والمفاهيم والغايات والمحددات العامة من خلال ترشيد الاستهلاك دفعا للإسراف و الإقبال على فهم معنى العالم المدني من خلال عملية التنمية، لنظريات التنمية السياسية وهي الأبعاد الأكثر دواما ورسوخا في هذه النظريات، والأقل قابلية للتغيير أو التعديل، ولقد شهد الواقع الفكري العالمي فيها تغييرات عدة من المؤكد أنها سوف تلقى بآثارها على أي عملية تحليل لظاهرة التنمية أو الظواهر ذات العلاقة بها نظريا وعمليا، ومع بروز مفاهيم أخرى زاحمت مفهوم التنمية وشغلت حيزا من أرضية بل قد تكون بديلا له في أطروحات قادمة

<sup>1</sup> - عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص 154.

من هذه المفاهيم مفهوم (المجتمع المدني) الذي أصبح يسوق له الآن على نطاق واسع وباستخدامات متعددة فأحيانا يطلق في مقابل مؤسسات الدولة الرسمية.

### \*عقبات في طريق تنمية المعرفة:

إن النهوض بأي جانب من جوانب الحياة يتطلب أمورا عديدة، من أهمها تسليط الضوء على المشكلات والأزمات والمعوقات التي تكشف عمليات التحسين لذلك الجانب، وسوف نسلط الضوء هنا على بعض المشكلات التي تظن أنها تفوق النمو المعرفي وذلك فيما يلي:

ولو فتشنا عن الأعمال الجليلة التي نراها في ميادين المعرفة المختلفة لوجدنا وراءها رجالا تملكهم حب المعرفة، واستولى عليهم الشوق إلى التعرف على الحقيقة، فمن ثم بذلوا عظيم التضحيات بقول أينشتاين: "إن أولئك الأفراد الذين ندين لهم بأعظم الأعمال العلمية كانوا جميعا تواقين عقليا إلى المعرفة، ولو لم يكن لهم هذا الاقتناع الجياش بالمعرفة لما استطاعوا الانقطاع الدائب الذي يستطيع وحده أن يدفع المرء إلى القيام بجلائل الأعمال"<sup>1</sup>. وإن الملاحظات المنقولة عن أينشتاين Einstein قوله: "لا يمكن حل المشكلات المهمة التي تواجهها بنفس مستوى التفكير الذي كنا عليه عندما أوجدناها"، فالمشكلات تتراكم في كثير من الأحيان بطريقة غير مرئية، ونتيجة عوامل عديدة ومعقدة، والخلاص منها يحتاج إلى تفكير بتطور، ويتعقد باستمرار وهذا كله يجعل تنمية التفكير وتطويره أمرا ضروريا للغاية"<sup>2</sup>.

وإن جعل التنمية في خدمة السواء الأعظم من الناس تستلزم منا أن نعرف النظر، نهائيا عن فكرة "النمو" التلقائي، مركزين كلية، على فترة "التنمية" الهادفة، وجاعلين الهدف الأول هو القضاء على الفقر، وأن الفلسفة التي نتحدث عنها بدأت تطل برأسها، على استحياء في السبعينات وبدأ أنصارها يتزايدون في الثمانينات، إلا أن معظم الخطط التنموية في العالم الثالث لا تزال تدور في محور النمو القديم، تتطلب الفلسفة الجديدة فمن ما تتطلبه ثلاثة توجهات رئيسية تتطلب بادئ ذي بدء، أن يكون إنتاج البضائع واستهلاكها محكوما بمعيار الصالح العام، وأن يكون لمعيار عدالة التوزيع دوره بجانب معيار كفاءة الإنتاج، وتطلب في الدرجة الثانية، وضع إستراتيجية واضحة

<sup>1</sup> - عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المستدامة رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق، ط4، 2011، ص 126.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المستدامة، نفس المرجع، ص 48.



لمقاومة الفقر تتفرع منها سياسات محددة للقضاء على التفاوت البالغ بين الدخول وبين مستويات المعيشة سواء كانت بين الأفراد أو بين الجماعات أو بين المناطق وتتطلب أخيراً وليس آخراً تطور عملية منع القرار السياسي بحيث تسمح بالمزيد من المشاركة الشعبية، وذلك لكي تعكس القرارات الاقتصادية حاجات مختلف القوى الاجتماعية وأولوياتها.<sup>1</sup>

كما تعد مشكلة "التخلف" في ألمانيا السبب الأصلي لأفكار ماركس المبكرة عن المادية التاريخية، كان ماركس بوصفه شاباً هيجلياً، يشارك في البداية الرأي بأن الانتقاد المنطقي للمؤسسات القائمة يكفي لإحداث التغييرات الراديكالية اللازمة للسماح لألمانيا بأن تنافس البلدين الآخرين السابقين في أوروبا الغربية وتسبقها لكن، كما أدرك ماركس حالاً، لم يفعل هذا الموقف الانتقادي الراديكالي سوى المحافظة على الاهتمام الألماني النموذجي "النظرية" على حساب إهمال "التطبيق" كتب ماركس Marx "كان الألمان في السياسة، يفكرون بالذين كان الآخرون يفعلونه"<sup>2</sup>، وكان نظام كذلك هيجل Hegel يمثل أكمل مثال فلسفي على هذا كان يحول تاريخ البشرية برمته إلى تاريخ للعقل أو الروح ولخص ماكس إلى أنه إذا كان لألمانيا أن تحرر تقدماً أعظم فلا بد من إتمام النقد الفلسفي بمعرفة القوى المادية التي تؤثر دائماً في التغيير الذي لا يبقى على مستوى الأفكار فقط، ولقد وضع ماركس مركباً قوياً من التيارات الفكرية التي تمت مع الفروق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين البلدان الأوروبية الغربية الثلاثة الرائدة، بقي الاقتصاد السياسي المتداخل بقوة مع فلسفة مذهب المنفعة utilitarianism بصورة فعالة، الشكل المهم الوحيد للنظرية الاجتماعية في بريطانيا خلال معظم القرن التاسع عشر، وقد قال ماركس بعدة فرضيات مفتاحية نماها آدم سميث وريكارد ولكنه دمجها مع بعض المنظورات عن الطابع المنتهي للمجتمع البرجوازي الواردة في تيارات مذهب الاشتراكية الفرنسية المختلفة وكانت هذه الأخيرة المصدر القريب من مجتمع المستقبل الذي كان أول ما تصوره ماركس Marx في المخططات الاقتصادية والفلسفية 1844م التي كتبها في باريس وقدم الديكالكتيك الهيجلي البعد التاريخي الذي يدمج الاقتصاد السياسي بالمذهب الاشتراكي، وبهذه الصورة أعادت أعمال ماركس بصورة منسجمة توحيد الوعي الفكري للخبرة المتنوعة لبريطانيا وفرنسا وألمانيا، وقدمت مع ذلك في

<sup>1</sup> - غازي القصبي: التنمية الأسئلة الكبرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الطبعة الأولى، 1996، ص 57.

<sup>2</sup> - كارل ماركس: رأس المال، ترجمة راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، الجزء الثاني، القاهرة، مصر، 1948، ص 45.

الوقت ذاته، أساسا التفسير النظري لهذه الفروق في البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية<sup>1</sup>، ولعله من المفارقات المضحكة المبكية أن الفكر المكرس لتنمية العالم الثالث كان من يومه الأول، غريبا عن العالم الثالث، وإذا استعرضنا الأسماء اللامعة في أدبيات التنمية، وعددها يتجاوز المئات، لم نجد بينها من الأسماء غير الغربية إلا ما يقارب عدد أصابع اليد الواحدة، لن نعثر على مفكر واحد من العالم الثالث حصل على جائزة نوبل في اقتصاديات التنمية، ولن نعثر على مفكر أفريقي أو آسيوي واحد نجح في تطوير نظرية متكاملة، أو شبه متكاملة عن التنمية كان معظم منظري التنمية في العالم الثالث طلابا نجباء لأساتذة من العالمين الأول والثاني، وهكذا وقعت التنمية منذ نعومة أظافرها ضحية الغزو الثقافي، أمن المخططون للتنمية أن أول ما يجب تنميته هو الفكر المستورد، سواء استورد من الغرب الرأسمالي أو الشرق<sup>2</sup>. الاشتراكي بعارة أخرى أصبح استيراد الفكر غاية كبرى بدلا من أن يكون وسيلة صغرى، وقد رأى المفكرون والماركسيون أن التنمية لا يمكن أن تتم إلا بإزاحة الطبقة القديمة بأفكارها القديمة لتحل محلها طبقة جديدة بأفكار جديدة (ماركسية، بطبيعة الحال) وأي المفكرون الرأسماليون أن حول العالم الثالث لا يمكن أن تنمو ما لم تزرح التقاليد والعادات القديمة لتحل محلها تقاليد وعادات جديدة (رأسمالية بطبيعة الحال).

وهناك جوهر لموضوع التنمية الذي صار تخصصا مميزا في العلوم الاجتماعية الحديثة من جانب، والذي بات يعبر عن منطلق فكري عصري كاد أن يدخل في عداد المنطلقات العقدية التي توجه مسار الأمم ونظمها الاجتماعية والسياسية الحاكمة، وهذا الجوهر ينصب على إحداث تغيير في البنية الاجتماعية في المجتمع، من خلال إحداث قول في البنية الاقتصادية تارة، وفي البنية الثقافية تارة أخرى، وفي كل الأحوال يكون الاهتمام بالتطوير السياسي مدخلا ومؤشرا إلى التحول الحضاري المنشود باعتبار أن السياسة تشرف على الصالح العام وتكون موجها مرشدا له فتكون بالتالي بؤرة صلاح أو فساد... إذ صلحت أصلحت حولها الكثير، وإذا فسدت صارت أداة لإشاعة الفساد وحالت دون أن تأخذ منافذ الصلاح في الأمة مجراها<sup>3</sup>، ومن خلال إتباع هذا الاقتراب

<sup>1</sup> - أنطوني جيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة: أديب يوسف شيش، الهيئة العامة السورية للكتاب، بدون سنة، ص. 18.

<sup>2</sup> - غازي القصبي، التنمية الأسئلة الكبرى، المرجع السابق، ص. 64.

<sup>3</sup> - نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، 1981، ص. 18.

المنهج يمكن دراسة نظريات التنمية السياسية دراسة نقدية بصورة أكثر شمولاً وعمقا من أي منهج آخر يركز على أحد جزئياتها أو ظواهرها، وذلك من خلال التركيز على الأبعاد التالية:

1- دراسة نظريات التنمية السياسية في إطار الفهم الشامل لمفهوم التنمية والأبعاد المختلفة له، حيث لن تقتصر الدراسة على الأبعاد السياسية بل سوف يتم التعرض لجميع الأبعاد الأخرى ذات الأثر في العملية السياسية، وذلك من خلال ربط مفهوم التنمية السياسية والأبعاد الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لظاهرة أو قضية التنمية.

2- تتبع المصادر الفكرية لنظريات التنمية السياسية وتوضيح موقعها من البنية المعرفية وتطور العلم الأوروبي.<sup>1</sup>

إن التنمية المتكاملة سلسلة من العمليات والموازنات الدقيقة، وإن جعلها حقيقة ماثلة يتطلب أن تسود فينا روح المفاتحة والمناقشة، وأن تكون نظمنا الاجتماعية شفافة بدرجة يمكن معها تلاقي الانحرافات قبل أن تتكلس وتصبح أصولاً وقواعد يصعب تعديلها وتجاوزها، وبالصبر والخيال الخصب ودقة الملاحظة والغيرة يمكن منع أشياء كثيرة لهذه الأمة.<sup>2</sup>

فالفكر هو الذي يقود التقدم، فلا يمكن لمجتمع أن ينهض ما لم يتقدم الفكر لديه، ولكن في وسعه توفير الأسس المنهجية والإصلاحية لذلك.

فلذلك يجب على التنمية أن تتوجه في إشباع الحاجات الأساسية للمواطنين سواء كانت مادية أو معنوية، ولكي تنجح التنمية في تحقيق هدفها فعلياً أن تترجم فلسفتها إلى خطة عملية ذكية مرنة تعترف بقوانين المنظمة وتأخذ الواقع العملي بعين الاعتبار، ولعل خير تصوير لأخطاء التنمية فكراً وتنفيذاً، وإن تنمية قدراتنا العقلية، وتنمية طرق التفكير الجيد صارت ممكنة أكثر من أي وقت، وإن الذي نحتاجه هو التدريب الجيد.

والتطور الحقيقي لأي علم من العلوم ينبغي أن يتم على مستوى الأسس وإن كل المجددين في الماضي والحاضر، في أمتنا وفي غيرها من الأمم ليسوا أولئك الذين يعالجون الفروع، ويوجدون

<sup>1</sup> - نصر محمد عارف، المرجع السابق، ص 47.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بكار، مدخل في التنمية المستدامة رؤية إسلامية، المرجع الأسبق، ص 43.

تقسيمات جزئية جديدة، وإنما أولئك يعالجون المبادئ الكبرى والأطر العامة، بما يتيح إيجاد منطق جديد لنمو المعرفة موضع المعالجة، ومعالجة الأسس لا تتطلب درجة عالية من التخصص وإنما تحتاج إلى رؤية متسعة ومدققة إن اتجه النمو دائماً نحو الدقة والاتساع، الدقة تعني أي أستطيع أن أقرب من الرؤية المطلقة للتكوين بمعرفة جزئياته الأدق، وارتباطاته الأدق واتساع مجال الرؤية يعني أن أرى تكوينات جديدة لتطور عالم جديد مبني على فلسفة الترشيد اللامادي.

تعتبر التنمية من أهم المواضيع التي شغلت اهتمام الباحثين في حقل علم الاجتماع بالخصوص، باعتبارها أنها أخذت على أساس كونها قضية مصيرية جاءت بعد حصول الدول النامية على استقلالها السياسي، فقد عرفت عملية التنمية، عدة نماذج تطورت بتطور التجارب التنموية التي عاشتها المجتمعات النامية بكل مراحلها ومن أهمها: النموذج الاقتصادي والثقافي والحضاري ونموذج التبعية، وقد ظهرت قضية التنمية و التحديث بقوة منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وتيارات الدول الخارجية من سيطرة الاستعمار، في استعمار نماذج التنمية من الدول المتقدمة، سواء كانت هذه النماذج ليبرالية غربية أم اشتراكية شرقية، وأن التخطيط للرعاية الاجتماعية هو تخطيط للتقدم، وتنمية حقيقية لرأس المال الاجتماعي، وهو انتقال من الأهداف لفكرة والتحرك باتجاه تلك الأهداف من خلال الممارسة الواقعية، وتصور الأفراد لواقعهم وتحديد غاياتهم ومتطلباتهم، ويتطلب التخطيط، توليد رأس المال الاجتماعي وبناءه، وتنمية في المجتمع من خلال السمات الشخصية المرتبطة إنجاباً بالرفاهية الاجتماعية وهي: احترام الذات والشعور بقوة الشخصية، والتفاؤل ولقد عاشت المجتمعات المختلفة بعد الحرب العالمية الثانية اندفاعاً مريعاً نحو تنمية قطاعها الاقتصادي، وإقامة مشاريع إنتاجية ذات حجم إنتاجي صناعي كبير، ويرجع ذلك في نظرنا إلى أمرين اثنين هما:

1- اعتقاد هذه الدول في أن إقامة مشاريع صناعية تعد المخرج الوحيد للتخلص من التبعية الاقتصادية وحل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية الدورية التي كانت تعيشها والمتمثلة أصلاً في انخفاض مستوى الدخل وتدهور مستوى المعيشة للأسرة وارتفاع نسبة البطالة.

2- تتوفر هذه المجتمعات على نسبة عالية من العناصر المادية الصناعية الإنتاجية، مما يسمح لبعضها بالاهتمام الواسع بما يعرف بالتنمية الاقتصادية المخططة وفي الواقع شهد العقد الثالث

للتنمية العديد من التغيرات، والتحويلات الأخرى وخاصة لدى دول العالم النامي بهدف حل مشكلات التنمية وقضاياها الأساسية، ولقد أعطيت لهذا المنظور اهتمام كبير وبعد إيجابي، لفهم أفضل لواقع النظام الاقتصادي العالمي الجديد وتحدياته من جهة والعمل على تنمية وتوجيه أفضل لمواردها الاقتصادية وتنويع مصادرها من جهة أخرى.

### ب- الجانب النفسي والاجتماعي "الإنسان والمجتمع كمقومات للتنمية"

وبوجه عام تعتبر عملية التنمية قضية معقدة ومتشابكة الجوانب، تختلف معوقاتنا في عديد من الأبعاد المتداخلة التي لها خصائص مختلفة، ولكنها مترابطة تعمل بعضها من خلال بعض ويؤثر بعضها في البعض، مما يسمح بالتأكيد على أن معوقات التنمية أو تحديات التقدم ومظاهر التخلف متعددة ومتباينة تبعا لظروف كل مجتمع وخصائصه وإمكانياته<sup>1</sup>، فإن حياة الإنسان تتميز عن حياة الحيوانات في رأي ماركس هو أن مواهب الإنسان ومقدراته وأذواقه يشكلها المجتمع "الإنسان المنزّل" هو محض خيال النظرية النفعية لا يوجد فرد بشري لم يولد في مجتمع حي، ومن ثم لم يشكل من قبله، يتلقى كل فرد إذن ثقافة الأجيال التي سبقت المتراكمة، ويسهم من خلال تفاعله الخاص مع العالم الاجتماعي والطبيعي الذي يعيش فيه. إن عضوية الإنسان في المجتمع، إذن مع الجهاز التكنولوجي والثقافي<sup>2</sup> الذي يدعم ذلك المجتمع والذي يجعله ممكنا، هي التي تقوم بالتفريق بين الفرد البشري والحيوان، وهي التي تمنحه "إنسانية" يملك بعض الحيوانات مثل الإنسان أعضاء الحس، لكن إدراك الجمال والفن أو الموسيقى موهبته بشرية من خلق المجتمع.

إن تعدد المناهج والتصورات النظرية والفكرية لموضوع التنمية بالخصوص والواقع المعرفي خصوصا أن التعدد في التخصصات أصبح ضروريا وملازما لأي تحليل أو تفسير لأي مشكلة اجتماعية في الوقت الراهن باعتبار أن نظرتنا للمشكلة تكمن من خلال التكامل بين المداخل النظرية المتعددة من جهة، والأسلوب الذي أصبح يمليه واقع الظواهر الاجتماعية المتعددة الأبعاد

<sup>1</sup> - محمد شفيق، المرجع السابق، ص 48.

<sup>2</sup> - كارل ماركس، رأس المال، المرجع السابق، ص 539.

والأسباب، بتعدد حقائق واتجاهات الإنسان من جهة ثانية، حيث أصبح علم الاجتماع يستند في تصوره أكثر لطبيعة الإنسان لفكرة الإنسان الاجتماعي.<sup>1</sup>

وهو إنسان متعدد الجوانب ومختلف الحاجات والاهتمامات **ماركس فير Marx Fair** ما انفك بدافع عن التنوع الممكن في مداخل دراسة ظاهرة واحدة أو نشاط اجتماعي واحد فكل واحد منها يعتبر شرعيا في حدود افتراضاته المسبقة شريطة الالتزام بالقواعد العامة للبحث ولا يعتبر أي مدخل متفوقا عن غيره من المداخل، ولا يمكن أن يكون كذلك الأمن حيث خصوبته فيما يخص التأويل والتفسير لأكبر عدد ممكن من الوقائع<sup>2</sup>، وإن تحليل الواقع الاجتماعي للمجتمعات النامية وحصره في عنصر أو يضع عناصر لا يساعدنا على فهم أكثر لحقائق هذه المجتمعات وما تتطلبه وعليه فإن تركيزها على التنمية من منطلق مفهوم الكل (البناء الاجتماعي) في إطار الديناميكية الاجتماعية هو الذي سيسمح لنا بالمساهمة في إثراء موضوع التنمية بدول العالم النامي، التي تحتاج إلى التطور وتقدم اقتصادي واجتماعي في كافة الميادين عن طريق إمكانياتها الذاتية وقدراتها البشرية ومن خلال طروحات نظرية أو نماذج تنموية تعتمد عليها من أجل سيطرة الاستراتيجيات ونماذج تسمح لها بتحقيق أهدافها التنموية، فإن تقدم مجتمعاتنا وتحضرها هو تحضر لكل فرد منا، حيث إن التعامل الدولي والشعبي في العالم لا يتم اليوم على أساس الفرد، وإنما على أساس المجموع ومن تلك المفاهيم:

1- إن المجتمع في جوهره تعبير إنساني عن مجمل العقائد والمفاهيم ولأعراف والعلاقات والمصالح التي تسود رقعة مكانية معينة.

2- إن للعقيدة دور مهما في تحديد ماهية العمل الاجتماعي، إذا أنها تحدد اتجاهه وكما أنها تفسره وتظهر مسوياته وترشد إلى كثير من نظمه ورسائله.

3- وإن المجتمع في جوهره تعبير إنساني عن مجمل العقائد والمفاهيم والأعراف والعلاقات والمصالح التي تسود رقعة مكانية معينة، وتخضع لها مجموعة بشرية محددة إن المجتمع بطبيعته يميل إلى الجهود، وذلك لأسباب جوهرية إذ أن الحالة الاجتماعية ما هي إلا تعبير عن قوة التوازنات

<sup>1</sup> - محمد عارف، المنهج في علم الاجتماع في ضوء نظرية التكامل المنهجي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1975، ص 413.

<sup>2</sup> - محمد بونخلف، التوظيف الصناعي وأثاره العمرانية، دكتوراه دولة معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1995، ص ص 31، 32.

الثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية السائدة في ذلك المجتمع<sup>1</sup>، ومن ثم فإنه لا يتغير إلا إذا حدث تغير ملموس في هذه التوازنات.

إن كثير من الدراسات التي حاولت الكشف عن السلوك الاجتماعي تمت في الغرب، وعلى أسس وأصول، وفي إطار مفاهيم وافتراسات غريبة ولذا فإن تلك الدراسات والكشوفات قد تفيد المجتمعات الغربية، لأنها خرجت من رحم ثقافتها أما نحن فإن الدراسات النفسية الاجتماعية لدينا محدودة جدا، وما يتم منها يجري على أسس عملية أجنبية عن ثقافتنا، مما يجعل استبعادنا لواقع المجتمعات الإسلامية قاصران كما أن قدرتها على توجيه لسلوك المسلم أيضا ضعيفة.<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس نجد الباحثين في مجال السوسيولوجيا لا يهتمون بالعمليات التنموية في حد ذاتها، وإنما يهتمون أكثر بنتائج وانعكاسات العملية التنموية على الإنسان من الناحية الاقتصادية، الصحية، التعليمية،... الخ، ذلك أن التنمية تتطلب في المقام الأول التعامل مع الإنسان، باعتبار أن حاجات الإنسان الاجتماعية والمادية والتقنية... الخ تتميز وتتجدد والاستجابة لكل هذه المطالب المختلفة والمعقدة يتطلب منها موضوعيا وعقليا للمتغيرات المحيطة بالإنسان والنابعة منه، منها القيم والعادات والتقاليد التي بدون العمل على إحداث تغيير على مستواها يجعل من عملية التنمية عملية محدودة الفائدة والإنتاج.

**التنمية الاجتماعية:** يطرح الكثير من التساؤلات حول مفهوم التنمية الاجتماعية في الفكر الاجتماعي ؟ ويجب أرنست وايت e.witt على هذا التساؤل بالنفي مؤكدا على أن مفهوم التنمية الاجتماعية ليس جديدا ولكن ما هو جديد هو محاولة تطبيق هذا المفهوم في علاج بعض المشكلات التي تواجهها المجتمعات النامية.

كما يعرفها باتن<sup>2</sup> T.r. batten على أنها العملية التي يمكن للأفراد الذين يعيشون في مجتمع صغير أن يناقشوا عن طريقها حاجاتهم ثم يضعوا الخطة ويعملوا معا لسد هذه الحاجة، إن التنمية الاجتماعية ضرورية للتنمية الاقتصادية فهي تدفع عجلتها وتضمن نجاحها واستمرارها، وفي الوقت ذاته تعتمد عمليات النمو الاقتصادي في الدول وخاصة المتخلفة منها على الرأس المال، كما

<sup>1</sup> - مدخل في التنمية المستدامة، ص 243.

<sup>2</sup> - battent ; commîtes and their développement, London, oxford, université, press, 1957, p1

تتطلب أيضا وفي المقام الأول رأس المال بشري على مستوى خاص من الصحة والتعليم والسكان والإنتاج يمثلته التركيب السكاني للمجتمع، وبنائه الطبقي، ونظمه الاجتماعية، فهذه العملية التنموية الاجتماعية للعالم تحتاج إلى أقصى درجات من الوعي والمسؤولية والالتزام بها واستيعاب برامجها وأهدافها من حيث التأكد من مراحل تجسيدها وتنفيذها، وهذه المهام كانت تشرف عليها الدولة في كثير من البلدان حيث تكون هي الموجه والمسير والمنفذ في نفس الوقت، وبشكل عام فإن عملية التنمية تعتبر قضية معقدة ومتشابكة الجوانب، ذات أبعاد متداخلة لها خصائص مختلفة، ولكنها مترابطة ومتداخلة يعمل بعضها من خلال بعض، ويؤثر بعضها في البعض الآخر، إذ تتمثل معوقات التنمية بالمجتمعات النامية تحديا كبيرا أمام محاولات التقدم لهذه المجتمعات، باعتبار أن حل قضايا التنمية أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا بمدى قدرة المجتمعات والبرامج في تخفيف حدة هذه المعوقات، وهذا ما نجده يتجسد أكثر ضمن نظريات التنمية التي انطوت على غموض نسبي وتباين واضح فيما يتعلق بتصوراتها وأهدافها، والآليات التي تقترحها ولذلك نجد بأن دراسة مشكلة التنمية والواقع الإنساني لمجتمعات العالم النامي يستلزم أن يتم في إطار تكاملي مع عدم إغفال أي بعد اجتماعي أو سياسي أو ثقافي وفي هذا الإطار نجد "د. السيد الحسني" يشير إلى أهمية دراسة الواقع الاجتماعي مع وجوب الاستعانة بالمؤشرات (الكمية والكيفية) في الدراسات الاجتماعية للتنمية، على أن يتم ربطها بالنسق التاريخي البنائي<sup>1</sup>.

وواقع التنمية ومشكلات المجتمعات المعنية بها متعددة ومختلفة تبعا لظروف كل مجتمع وخصائص مكوناتها، وليس المقصود بهذا أن التنمية متباينة وإنما الذي نقصده أن البرامج والسياسات المتبعة في إحداث تغييرات بنيوية اقتصادية واجتماعية تكون متباينة ومتعددة، وأن مفهوم المجتمع الصناعي بعملية التصنيع مباشرة وهذا ما نجده عند كيركلارك<sup>2</sup> kerchark حيث يرى أن التصنيع هو انتقال واقعي من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث أي الصناعي باعتبار أن التصنيع هو ثورة مادية داخلية لها أهداف اجتماعية، ويرى روستر Ruster 1960 أنه لا يمكن لأي مجتمع الوصول إلى درجة عالية من النمو إلا بعد أن يمر المجتمع في حد ذاته بمراحل معينة، وقد حاول تقديم هذه المراحل المختلفة للتنمية التي يمكن أن تمر بها الدول النامية، ومن بينها مرحلة

<sup>1</sup> - السيد الحسني، التنمية والتخلف، دار المعرفة، القاهرة، مصر، 1996.

<sup>2</sup> - Clark, Ker ; industri and indusrial London. Heirmann .1960. p .34.



التصنيع أو التوظيف الصناعي ومدى قدرة هذه الدول على قلق الثروة من خلال توظيف أحسن وأكثر لعناصر الإنتاج والوسائل المتوفرة، إن تنمية المجتمع وتحقيق التقدم والرفاهية أصبح هنا مشتركا لجميع المجتمعات، والبلدان المعاصرة، غير أن هناك تباينا في الوسائل والإمكانيات المادية والبشرية والأطروحات الفكرية والفلسفية إن موضوع التنمية أصبح بمثابة تحدي لأكبر عدد من المجتمعات الإنسانية والتي يسميها **الفرد سرفين** The individual servin عام 1952 بالمجتمعات النامية pays sous devkoppes

حيث يشير إلى أن هناك أكثر من مليار من البشر أي ما يقارب 5/1 من سكان العالم لا يتحصلون على دولار واحد في اليوم. ومنه ربط التنمية بالتخلف واعتبارها مفهوماً يجب تحديدها في إطار مشترك ذلك أن الأول يوضع في إطار تاريخي (أي مراحل التطور والتقدم للمجتمعات الإنسانية) والثاني يوضع في إطار تحليلي إلى تحليل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع وخاصة عندما تكون الاحتياجات المادية الأساسية للإنسان (تغذية، صحة، تعليم) غير محققة ولقد جاء في تعريف هيئة الأمم المتحدة للتنمية عام 1955م أنها العملية المرسومة لتقدم المجتمع اقتصاديا واجتماعيا واعتمادا على اشتراك المجتمع المحلي ومبادراته ثم عرضها في عام 1956م، على أنها العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية ولمساعدتها على الإدماج في حياة الأمة والمساهمة في تقديمها بأقصى قدر مستطاع<sup>1</sup>، ولقد حقق مفهوم التنمية عند البعض من الدارسين في مجال علم الاجتماع التنمية وفق نظرية الحلقة المتنوعة للفقر والتي تم ربطها فيها بعد عملية الاستثمار أي بمعنى الإنتاج وإعادة الإنتاج التي طورت على يد كل من مالتوس و ريكاردو<sup>2</sup>، كما نجد عبد الباسط محمد حسين في كتابه "التنمية الاجتماعية" يشير إلى أن التنمية ما هي إلا عمليات التغيير الاجتماعي تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد وتنظيم سلوكهم وتصرفاتهم وهي تعني بدراسة مشاكلهم مع اختلافها، وبذلك فهي تتناول كافة جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها فتحدث فيها تغييرات جذرية شاملة عن طريق المجهودات المخططة والمعقدة

<sup>1</sup> - محي الدين نصرت وآخرون: تنمية المجتمعات الريفية، مقال في المركز القومي للبحوث الاجتماعية الجنائية، القاهرة، 1971، ص 301، 300.

<sup>2</sup> - محمد الجوهري، علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 5، 1980، ص 353.

والمنظمة للأفراد والجماعات لتحقيق هدف معين<sup>1</sup>، وفي سنة 1956 صدر عن الأمم المتحدة تعريف رسمي التزمت به أجهزة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة في العمل الاجتماعي في المجتمعات المحلية، وينص هذا التعريف على أن مصطلح تنمية المجتمع، قد ظهر في الاستخدام العالمي ليشير إلى العمليات التي تتوحد بها جهود، المواطنين والحكومة لتحسين الأموال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولتحقيق تكامل هذه المجتمعات في إطار حياة الأمة ومساعدتها في التقدم القومي ويشير هذا التعريف إلى ثلاثة مبادئ أساسية وهي:

1- تحضير برنامج مخططا يهتم بالحاجات الكلية للمجتمع.

2- توفير المعرفة التقنية والفنية من الهيئات الحكومية الأهلية.

3- إحداث تعارف وتكامل بين كل القطاعات<sup>2</sup>.

ويذهب الكثير من المفكرين والاقتصاديين والاجتماعيين إلى تقسيم المجتمع العالمي المعاصر إلى مجموعات من الدول، فمنهم من يقسم العالم ثنائيا: مجتمعات أحرزت على قدر هائل من التقدم التكنولوجي والتفوق الحضاري والتقدم وهي مجتمعات غنية بالأساس وتعتبر مجتمعات متقدمة، ومجتمعات أخرى تعيش أوضاعا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا متأزمة ومختلفة على كل المستويات وتسمى بالمجتمعات النامية، أي التي تتجه نحو بناء اقتصادها تحاول إيجاد حلول موضوعية لأزماتها المتعددة وأن الاهتمام الواسع بقضايا المجتمعات النامية والأطروحات المعرفية التي شغلت اهتمام علماء الاجتماع المعاصرين في قضايا التنمية أصبحا يمثلان الطريق الوحيد للوصول إلى معالجة المشكلات التي تواجه المجتمعات النامية، ومنها إزالة الحيرة والتقليص من الغموض الذي أصاب النظرية السوسيولوجية ولا يتم الفهم الكامل والشامل للواقع الاجتماعي لدول النامية في كافة الأبعاد التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث أن التنمية عملية تغيير مقصود تسعى إلى تحريك التغيير التلقائي نحو أهداف متفق عليها تحقق المصالح العليا للمجتمع ويساندها فهم على المستوى النظرية الذي يشكل جزءا من عملية الفهم الكلية للمجتمع ومن ثم يصبح التغيير وسيلة وهدفا في نفس الوقت، وبرغم من صعوبة تحديد الاهتمامات الأساسية للنظريات

<sup>1</sup> - عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1970، ص 100،90.

<sup>2</sup> - نبيل السماطوي، علم اجتماع التنمية، دار النهضة العربية، بيروت، مرجع سابق، ص 112.

السوسيولوجية المتعددة في دراسة قضية التنمية وصعوبة الحصول على اتفاق واضح بين علماء الاجتماع في تعريف محدد للتنمية إلا أنه يمكن تتبع الفكر السوسيولوجي من خلال آثار ومواقف وتصورات الدراسيين الاجتماعيين مشكلة التخلف والتنمية ضمن حركة تاريخية متعددة الأبعاد كان لها الدور البارز في تشكيل هذا الفكر السوسيولوجي المعاصر.

- تصور التنمية عند **ويليام بيدل William Biddle** : يرتكز مفهوم التنمية عند بيدل على النمو البشري كما يرى أن التنمية تبدأ من الداخل وليس من الخارج، حيث يرفض تقديم الخدمات جاهزة من الخارج، حيث يرفض تقديم الخدمات جاهزة من الخارج لفشلها في تحقيق تنمية حقيقية، وعلى هذا الأساس فإن عملية التنمية يجب أن تتم من داخل المجتمع انطلاقاً من التصورات الذاتية لأفراده، فالتنمية عملية تربوية تعتمد على الخصوصيات والمكونات الداخلية للمجتمع وتسير في عدة مراحل أساسية وهي:

- 1- المرحلة الاستكشافية، 2- المرحلة النقاشية، 3- المرحلة التنظيمية، 4- مرحلة النشاط،
- 5- مرحلة التقييم، 6- مرحلة الاستمرار<sup>1</sup>.

#### \*تصور مفهوم التنمية عند ويلكنسون عام 1979 Wilkinson :

يرى أن التنمية هي مجهودات يقوم بها أفراد المجتمع تسمح بفتح قنوات الاتصال وللتعارف بين الوحدات الاجتماعية للمجتمع والمحافظة على هذه القنوات، ولأن الناس يكونون أكثر تأييداً والتزاماً ببرامج النشاط التي يكون لهم صوت في صياغتها فإن عملية تنمية المجتمع تصبح أسلوب ديناميكي لأحداث التغيير الاجتماعي خاصة إذا ما تمت المحافظة على قنوات الاتصال مفتوحة.<sup>2</sup>

#### \*تصور عالم الاجتماع الدكتور عاطف غيث مفهوم التنمية:

يرى عالم الاجتماع العربي عاطف غيث أن التنمية هي التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال إيديولوجية معينة لتحقيق التغيير المستهدف من أجل الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حال مرغوب الوصول إليها، والمقصود من ذلك

<sup>1</sup> نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص 132.

<sup>2</sup> - سوس عثمان عبد اللطيف، دراسات في التنمية المحلية، القاهرة المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 1979، ص 44.

أن عملية التنمية تهدف إلى إحداث تغيير واسع النطاق في البناء الاجتماعي. وتعديلات في الأدوار والمراكز، وإضافة إلى ذلك تغيير القيم والسلوكيات والموجهات الفكرية. و على ضوء ما سبق نجد أن التنمية عند عالم الاجتماع عاطف غيث تتمثل فيها:

أ- أنها تخلف ارتباطات وثيقة بمستويات التغيير.

ب- أنها تتبع من أيديولوجية تنتج وتحدد شكل النظام الاجتماعي والاقتصادي.

ج- إنها تعمل على إيجاد السبل الحسنة لتوفير الإمكانيات والوسائل القادرة على تحقيق هذه العملية.<sup>1</sup>

فالمعرفة هي عماد التنمية وهي بوابة العبور إلى مستويات التقدم التي نشهدها جميعا، فالمعرفة تنعكس على تطور الاقتصاد والسياسة والمجتمع بأسره وعلى كافة جوانب النشاط الإنساني ولقد لعبت المعرفة على مر العصور دورا حاسما في صعود الأمم وهبوطها وصياغة توجهات الحاضر والمستقبل، كما أن التنمية لا تعني فقط زيادة الثروة أو الدخل المجتمع أو حتى الأفراد وإنما النهوض، بأوضاعهم الثقافية والاجتماعية والصحية والتعليمية، وتمكينهم سياسيا وتفعيل مشاركتهم في المجتمع ومن توظيف طاقاتهم وقدراتهم لخدمة أنفسهم ومجتمعاتهم، إن التنمية الإنسانية في جوهرها هي نزوع دائم لترفيه وتطور الحالة الإنسانية للبشر جماعات وأفراد والارتقاء بهم في أوضاع تعد غير مقبولة في سياق حضاري إلى حالات أرقى من الوجود البشري وتؤدي بدورها إلى ارتقاء منظومة اكتساب المعرفة.

\*أسس ومبادئ تنمية المجتمع:

تتضمن تنمية المجتمع أسسا ومبادئ أهمها:

1- أن تتبع المشروعات الإصلاحية، وتستمد من احتياجات الأهالي ورغباتهم ومطالبهم الأساسية.

<sup>1</sup> - لمرم أحمد مصطفى عبد المجيد، التنمية بين النظرية وواقع العالم الثالث، تقدم عاطف غيث، دار المعرفة، الجامعية، مصر، 1990، ص. 138.

2- أن يشعر العاملون في مجال التنمية أنهم يؤدي رسالة إنسانية هي خدمة أفراد المجتمع والمساعدة على تطوره بكافة الطرق وأن عملهم يجب أن لا يكون روتينيا ينتظرون في مكاتبهم حضور الأهالي للاستفادة من خبراتهم بل يجب أن يصلوا إلى أبناء المجتمع في كل مكان ووضع خبراتهم الفنية في خدمتهم.

3- تعمل التنمية على تحقيق أهداف معرفة تماما، ومعترف بها من جميع أفراد المجتمع وتحاول في وقت نفسه أن تقيم درجة التنمية في أوجه النشاط المختلفة بالمجتمع كمعرفة مقدار التغيير في متوسط دخل الفرد ومعدل النقص في معدلات الأمية والوفيات، وكذلك تعمل على قياس مدى التغيير في تغير أفراد المجتمع واتجاهاتهم وميولهم نتيجة لتنفيذ مشروعات التنمية، لذلك يعد مفهوم التنمية البشرية يتحدد من مقارنة يمكن وصفها بالبديلة تعتمد أساسا على رأس المال الاجتماعي، إذ من أهم خصائصها اعترافها بالتنوع، والقبول بإمكانية وجود عدة أنماط متوازنة تؤدي جميعا الى التنمية البشرية، ولك تصبح الأعراف والتقاليد المحلية مصدر إثراء لا حاجزا في طريق التنمية وهي تصنع الإنسان في مركز التنمية، فتصب جوهرها على التنمية البشرية والتربية، وتعزيز المؤسسات التي تؤدي إلى تدعيم قوة العمل عند الأفراد من خلال العمل الجماعي.<sup>1</sup>

إن رأس المال الاجتماعي هو مفتاح التنمية البشرية القابلة للإستدامة فهو لا يقتصر على عد الإنسان محركا للتنمية، بل يركز أيضا على العلاقات بين البشر لأنها تشكل الأساس الذي تبني عليه الأخلاق الاجتماعية فإذا كان رأس المال الاجتماعي يسعى إلى تحسين قدرة الفرد على اتخاذ القرارات.

#### \* السمات الاجتماعية للتنمية:

من مفاهيم التنمية أنها نشاط متعدد الأبعاد يهدف إلى إحداث التوازن بين مختلف العوامل والاتجاهات وأن محورها الأساسي توفير متطلبات الإنسان المادية والثقافية والاجتماعية

<sup>1</sup> - علي لطفي: التنمية الاقتصادية، دراسة تحليلية، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1980، ص154.

إن هدف التنمية الأساسي هو تحسين حياة البشر، وهذا يعتمد على مستوى إشباع حاجات الأفراد الأساسية والثانوية، وكذا يعزز تطلع الفرد إلى رفع مستوى إشباع حاجاته، وتحقيق ذاته الإنسانية. وإذا كانت هموم الدول المتقدمة تنحصر في رفع مستوى الرفاهية وتحسين الأحوال المعيشية في إطار نظمها الاجتماعية القائمة فإن مثل هذه الهموم غير قابلة للتعميم على دول العالم الثالث أو على الأقل لا تكفي للتعبير عن مشكلاتها الرئيسية، فالقضية الأساسية في دول العالم الثالث هي أن التنمية الجديرة لهذا الاسم غير ممكنة في إطار النظم الاجتماعية القائمة، وفي إطار النظام الحالي لتقييم العمل الحالي، وفي حدود الموقع الذي تحتله تلك الدول في هذا النظام، بعبارة أخرى فإن حدوث تغييرات هيكلية في النظام الاقتصادي الاجتماعي، وتحقيق قدر من الانسلاخ من النظام الراهن لتقييم العمل الدولي لفك الروابط مع النظام الرأسمالي العالمي، تعتبر شروطا ضرورية من أجل التحرر من التبعية، وهي جوهر التخلف وذلك من أجل انجاز التنمية ووصول المجتمع إلى مراحل عدة وذلك لتحقيق رأسمال اجتماعي فعالا نتيجة نجاح فرص التنمية البشرية التي يقدمها المجتمع، ومن ثم نجاحها في الربط بين التنمية البشرية والعمل المجتمعي، بما يجعل النتائج ذات مستوى عال يمكن من خلالها تحصيل النتائج المجتمعية، رأسمالا مهما في مسيرة التنمية الشاملة إذ سيكون هذا الرأسمال الاجتماعي شريكا مهما تعتمد عليه الدولة في تحقيق النمو الاقتصادي بجوانبه كلها متى الوصول إلى الرفاهية الاقتصادية التي تتضمن:

الرفاهية المادية : التي تعني الأصول والغذاء والعمل

الأمن: أي البيئة السليمة والمأمونة، والأمن البدني والشخصين وحرية الاختيار والتعرف

السلامة النفسية: أي راحة البال، والسعادة، والانسجام.

الرفاهية الاجتماعية: وتعني القدرة على رعاية الأطفال وتحقيق الاستقرار لهم

إن التخطيط للرفاهية الاجتماعية هو تخطيط للتقدم، وتنمية حقيقة لرأس مال الاجتماعي وهو التحرك باتجاه تلك الأهداف من خلال الممارسة الواقعية، وإن التنمية الحقيقية ليست هي التنمية الاقتصادية فحسب، فكما هو واضح أن تلك التنمية قد تمت على حساب القاعدة الأساسية للموارد الطبيعية في مجال الحيوي لي كرتنا الأرضية، وهي تنمية لا تبني عن تمكّنها

من تحسين حياة الفرد فإن ما حدث من نمو وتنمية اقتصادية قد حسن بالفعل من نوعية حياة الملايين من البشر في جميع أنحاء العالم . ولكن بعد أن بدأت بوادر انهيار وتدهور قاعدة الموارد الأساسية، وبعد أن اكتضت المدن وازداد الإقبال على التوطن في الحضر وصارت الحياة أكثر عرضة للمشاكل والأزمات والأمراض الجديدة والآلام الاجتماعية، فإن مثل هذه التنمية الاقتصادية لم تعد هي الهدف أو الغاية<sup>1</sup>، ويقول عالم الاجتماع دوركايم **Durkheim**: "إن الحقيقة الاجتماعية لا يمكن تفسيرها إلا من خلال حقيقة اجتماعية أخرى".

تعتبر البطالة من أهم المعوقات التي تواجه المجتمعات النامية في تنميتها ذلك أن انتشار البطالة وبشكل واسع بين الأفراد يقلص من اشتراك نسبة عالية في عملية التنمية، وبالتالي التقليل من مستوى الاستثمار وهي عناصر تؤثر إلى حد كبير في عملية التنمية، كذلك تعد الصناعة أحد معوقات التنمية في المجتمع باعتبارها أحد مجالات الأنشطة الاقتصادية والأساسية، وتعاي الدول النامية عجزا كبيرا في التصنيع بحيث أن بنائها الصناعي من حيث الإنتاج الصناعي (التكنولوجيا) أو تشغيل اليد العاملة ضعيف.

-انخفاض المستوى الصحي مع سوء التغذية بالمجتمع، وارتفاع في معدلات الوفيات .

-عجز المجتمعات النامية في تحقيق توازن في التغذية مما يؤدي إلى نقص في الأسعار الكافية، للفرد، كما نجد الأمراض المزمنة والأوبئة منتشرة بكثرة.<sup>2</sup>

### \*الاتجاه الاجتماعي:

يعتمد أصحاب هذه الاتجاه في تفسيرهم على جملة من المؤشرات منها:

1- العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي تتصف بنمط الاستهلاك المفرط (مثلا أثناء الاحتفالات بالأعياد والأعراس وغيرها...) بما لا يحقق منفعة حقيقة بل يسهم في زيادة الأعباء الاقتصادية.

2- العوامل الثقافية والقيمية التي لا تسمح بتوجيه الإدخارات (من ذهب أو أموال)

<sup>1</sup> - c.bouni : l'enseu des indication du développement, notions, s. ciences et sociétés, no 16(3) 1998, p 53

<sup>2</sup> - علي لطفي، التنمية الاقتصادية، دراسة تحليلية، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1980، ص 76.

3- عدم توفر سياسات حقيقية وعملية تمهد إلى فرض خطط دقيقة وواضحة لاستغلال أحسن للقوة المنتجة من حيث توزيعها على القطاعات وفق الاحتياجات اللازمة والضرورية لعملية التنمية وبروز مظاهر الغنى وإثراء.

4- يفسر هذا الاتجاه التنمية في ضوء ارتباطها بالشخصية القومية<sup>1</sup>.

### \*نموذج الحضارة:

إن الأحداث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتسارعة التي عاشها ويعيشها العالم اليوم، والتي كان لها الأثر الكبير في تشكيل فروقات واسعة واختلافات متعددة بين الدول الاستعمارية سابقا المتقدمة صناعيا حاليا، والدول المستعمرة والمتخلفة في الوقت الحاضر، وقد ظهرت هذه الفروقات أكثر عندما بدأت دول العالم الثالث الاهتمام بمشاكلها والعمل على ترسخ برامج تنمية تساعد في تحقيق استقرارها السياسي والاقتصادي، وضمان توازنها الاجتماعي والثقافي، ومن أنصار هذا التوجه نجد المفكر الجزائري "مالك بن نبي" الذي نادى في كثير من كتاباته بمشروع حضاري تنموي خاص بالمجتمعات (حديث القدرات) واعتبر أن مشكلة التخلف التي تعيشها المجتمعات النامية هي ليست وليدة عوامل داخلية، وإنما هي نتيجة الهيمنة والتبعية الخارجية، كما اعتبر أيضا أن تطبيق النماذج التنموية الضرورية لا يمكن لها أن تحقق مستوى أفضل من التقدم والرفاهية، ذلك إن النماذج المطروحة لا تقدم للعالم الثالث أفكار والمعرفة التي بواسطتها يتم تحقيق التقدم الذي تعيشه الدول الرأسمالية الصناعية حيث يقول: "أن التغيرات التي تشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد وهي في جوهرها تغيرات حضارية تعتري القيم والأذواق في منعطفات التاريخ، بحيث تتغير معالم الحياة بتحول الإنسان نفسه في إرادته واتجاهاته عندما يدرك معنى جدليا لوجود الكون"<sup>2</sup>.

حيث يعتبر بن نبي أن مشكلة التنمية في جوهرها هي خلق شروط الإقلاع الحضاري حيث أنها ليست مرتبطة بحل مشكلة التدخل الاقتصادي أو مشكلة النمو السكاني أو مشكلة التكنولوجيا أو مشكلة التبعية... الخ، وهذا ما وضع أن التنمية الحقيقية هي التغيرات الحضارية، والتحويلات

<sup>1</sup> محمد شفيق: التنمية الاجتماعية دراسات في قضايا التنمية، ومشكلات المجتمع مصر، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، 1999، ص 24.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية، في ضوء مؤتمر باندونج، ترجمة عد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 129.



الواقعية، التي تحدث في شبكة العلاقات الاجتماعية والإطار الثقافي والاجتماعي والنسق القيمي والمعايير وأنماط السلوك في المجتمع<sup>1</sup>.

### \*الاتجاه السيكلولوجي للتنمية:

إن القضية التي يتركز عليها أصحاب هذه الاتجاه في التنمية "هي أن درجة الواقعية الفردية أو الحاجة إلى الانجاز هي الدعامات الأساسية للتنمية الاقتصادية"<sup>2</sup> ومن رواد هذا الاتجاه ماكيلان meclelland الذي أعلن بوضوح "أن الدوافع والقيم أو القوى السيكلولوجية هي التي تحدد تماما التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأن الأفكار هي التي تلعب الدور المهم في تشكيل التاريخ، وأن الجوانب المادية لم ولن تلعب مثل هذا الدور كما أن عملية التجديد تكون في ضوء ظهور توجيهات معينة"<sup>3</sup>. واعتبر ماكيلان أن الدافعية الفردية أو الحاجة إلى الانجاز من أهم دعائم التنمية وذهب إلى اعتبار أن الإنتاج يمثل الدافع على صنع جميع الأشياء بطريقة أفضل، كما يعتبر ماكس فير Max Fair من أن التمسك بالدين وبالأخلاق من أهم أسباب تقدم المجتمعات فقد لاحظ أن حركة التصنيع اشد انتشارا وتوسعا في المناطق الشمالية من ألمانيا وفرنسا وانجلترا منها في المناطق الجنوبية وهذا لتمسك سكانها بالدين ومثله<sup>4</sup>. ويعتبر لاجوس أن المجتمعات تكون نسقا اجتماعيا دوليا، وأن المجتمعات تمثل داخل هذا النسق أوضاعا مختلفة ومتباينة يمكن ترتيبها وتوضيحها على أساس المكانة الاقتصادية والقوة والهيمنة، حيث أن التفاوت والتباين ينطبق على الأمم أيضا، فالمرکز الاقتصادي للأمم يحدد مستوى تطورها وتقدمها الاقتصادي والتكنولوجيا مع الأخذ بعين الاعتبار مستوى الدخل القومي ومستوى معيشة الأفراد والقدرة العسكرية.<sup>5</sup>

### ج-الجانب الاقتصادي: انعكاس التنمية في الجانب الاقتصادي

لقد كانت اهتمامات التنمية في كل الدول في بادئ الأمر هي تحقيق التنمية الاقتصادية وجعلت منها هدفا تسعى إليه من خلال العمل على الاحتفاظ بمعدل مناسب من التنمية في شتى

<sup>1</sup> - مالك بن بني، المرجع السابق، ص 25.

<sup>2</sup> - مريم أحمد مصطفى، التنمية بين النظرية وواقع العالم الثالث، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 42.

<sup>3</sup> - محمد شفيق، المرجع السابق، ص 41.

<sup>4</sup> - مريم أحمد مصطفى، مرجع نفسه، ص 43، 44.

<sup>5</sup> - السيد الحسيني، التنمية والتخلف، دراسة تاريخية بنائية، مطابع سجل العرب، القاهرة، ط1، 1980، ص 6، 5.

الأصعدة، وذلك حتى يتحقق المجتمع على المدى البعيد زيادة معدلات النمو في الدخل القومي الحقيقي، ومن هنا أصبح موضوع التنمية من المواضيع الهامة التي لقيت اهتماما من الباحثين في مختلف الميادين الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية والثقافية، والبيئية، واعتبرته المنظمات العالمية وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة للتنمية حقا مكرسا لكل الشعوب، خاصة الشعوب الدول النامية حتى تستطيع اللحاق بالدول المتقدمة.

تشكل عصر الرأسمالية تدريجيا منذ القرن السادس عشر، كان على الجانب السياسي يدعوا إلى الليبرالية والحرية وإنشاء القوميات اللادينية والدعوة إلى تقليص نفوذ الكنيسة ثم دعا إلى الديمقراطية، أما على الجانب الاقتصادي فقد كان تاليا لمرحلة الإقطاع حين ارتكز على فلسفة تنمية الملكية الفردية والسوق الحر وأفضل تعبير عن فلسفة الرأسمالية كانت المقولة الفرنسية المشهورة "دعه يعمل دعه يمر" ولم يكن هناك سوق بالمعنى المعاصر حيث توجد سلعة وأيد عاملة وأدوات إنتاج يمكن أن تنتقل بسهولة من عمل لآخر، وحديث يوجد ادخار استثمار أي أصبح هناك انتشار البنوك وشركات التمويل حيث جون كيتز "مطور الرأسمالية المعتدلة" يرى بضرورة تدخل الدولة بالقدر الذي يوازن السوق، وجاء كرد فعل على الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن العشرين، رأى أنه لا مناص من تدخل الحكومة لضبط الاقتصاد، بشكل لا يخل بمبدأ الحرية الفردية، فهو لم ير أن السوق ستصحح أوضاعه بنفسه كما رأى آدم سميث بل كان يرى أن السوق في حالات الركود يحتاج إلى تنشيط، فمن المرشح لتنشيط حالة الركود سوى الحكومة؟

ونحن نرى أن مسوغ الجهود التنموية هو تحقيق الأهداف والغايات المرحلية والنهائية التي يتطلع إليها مجتمع من المجتمعات، ومن ثم فإن التنمية المتكاملة التي تنشدها سهلة التعريف بسبب الرؤية الواضحة للحالة النهائية التي ينبغي أن تكون عليها، فقد نشأت حضارة جديدة شديدة الإغراء تتجاوز فيها بالضرورة الحاجات المطلوبة والوسائل المتوفرة، ولا سيما لدى الفقراء في العالم النامي، وصار الناس بين خيارين أحدهما مر: إما العزلة والتضاؤل والإحباط، وإما الانخراط في الموجات المادية والاستهلاكية العاتية.

إن مسألة التنمية عامة والتنمية الاقتصادية خاصة ليست مما يمكن تجاوزه أو تأجيله، لأنك حين تعيش في عصر محوره المال والإمكانات المادية نجد كل انجازاتك مرهونة عنده، ومنوطة به ونجد أن كل ما تملكه من مخزون ثنائي وحضاري أشبه بسيارة ليس عند صاحبها ثمن وقود لتشغيلها أو كمسدس من غير ذخيرة لكل هذا ولغيره أرى أن مسألة محاولة التقدم المستمر ينبغي أن تدرس في أكثر من مقرر دراسي، وهي أكثر من مرحلة حتى تصبح جزءا من النسيج الثقافي للإنسان المعاصر.

### \*التنمية الاقتصادية:

بمفهومها التاريخي الإنساني الشامل عرفت بكونها تدرج طويل الأمر يعبر عن شكل التطور المادي للمجتمعات البشرية عبر العصور، وقد تجلّى ذلك في مظهرين أساسين :

المظهر الأول: كمي متعلق بالمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالتحويلات البنيوية أو الهيكلية.

المظهر الثاني: نوعي يتمثل في المؤسسات الاجتماعية والأفكار والتصورات، والمفاهيم وأنماط المعيشة التي تظهر في سعي المجتمع لتحقيق حاجاته المادية، وقد اتسمت حركة هذا التدرج والتطور ببطء شديد من جهة واختلاف في درجته بين مجتمع آخر، وأحيانا لا يكاد يلاحظ بسبب ضآلته من جهة أخرى.<sup>1</sup>

وتبرز بعض التعاريف للتنمية الاقتصادية حيث يعرفها **جير الدماير** : "التنمية الاقتصادية في العملية يرتفع بموجبها الدخل الوطني الحقيقي خلال فترة من الزمن" ويعرفها **سعد الدين إبراهيم** : "التنمية الاقتصادية بأنها انبثاق ونمو كل الإمكانيات والطاقات الكامنة في كيان معين بشكل كامل ومتوازن سواء كان هذا الكيان هو فرد أو جماعة أو مجتمع، أما العناصر الرئيسية لمضمون التنمية فهي أنها عملية داخلية ذاتية، بمعنى أن كل بذورها ومقوماتها الأصلية موجودة في داخل الكيان نفسه وأن أي عوامل أو قوي خارج هذا الكيان لا تعد أن تكون عوامل مساعدة، أي أنها

<sup>1</sup> - بوضياف ياسين، التنمية الاقتصادية في الجزائر بين متطلبات الحاضر ورؤية مستقبلية، جامعة الشلف (الجزائر) ص 03.

عملية ليست ذات طريق واحد، وإنما تتعدد طرقها واتجاهاتها باختلاف الكيانات وباختلاف وتنوع الإمكانيات الكامنة في داخل كل كيان.<sup>1</sup>

ويمكن القول أن التنمية الاقتصادية هي تقدم المجتمع عن طريق استنباط أساليب إنتاجية جديدة أفضل ورفع مستويات الإنتاج من خلال إنماء المهارات والطاقات البشرية، وخلق تنظيمات أفضل، هذا فضلاً عن زيادة رأس المال المتراكم في المجتمع<sup>2</sup>، تعرف التنمية الاقتصادية بأنها: "تقدم للمجتمع عن طريق استنباط أساليب إنتاجية جديدة، أفضل ورفع مستويات الإنتاج من خلال إنماء المهارات والطاقات البشرية وخلق تنظيمات أفضل"<sup>3</sup>.

وبصفة عامة تعرف التنمية الاقتصادية على أنها العملية التي يتم من خلالها الانتقال من حالة التخلف إلى حال تقدم، وذلك يقتضي إحداث تغيير في الهياكل الاقتصادية كما تعتبر على أنها عملية لرفع مستوى الدخل القومي خاصة في دول العالم الثالث كالقطاع الزراعي وقطاع الموارد الأولية، وما يهمنا في هذا السياق هو معنى التنمية من حيث ارتباط بالفرد، فعندما يقال عن مجتمع أنه يشهد حالة من التنمية، فإن أفراد هذا المجتمع يسألون عن العائد عليهم كأفراد، فلا تغني الفرد الأرقام المبهرة للتنمية إن تفشت حالة البطالة<sup>4</sup>، أو كان راتبه لا يؤهله لشراء طعام أو الحصول على سكن ورعاية صحيحة جيدة، أو تعليم راق، فضلاً عن توفير الكمالية التي لها تحسن الحياة، لك اخترنا تعريف التنمية الذي يجعل الفرد محوراً، وفي هذا السياق تعرف التنمية بأنها زيادة الدخل الحقيقي للفرد بحيث<sup>5</sup>

- يتمكن من تلبية احتياجاته وتحقيق حياة كريمة.

- توفير زيادة تراكمية مستمرة، فهي ليست مرسية أو لمدة سنة تنتهي بعدها وتكون هذه الزيادة لفترة زمنية تقدر بثلاثة عقود بحيث تكون الزيادة أكبر من معدل نمو السكان.

<sup>1</sup> - محمد مدحت مصطفى، سهير عبد الظاهر أحمد، النماذج الرياضية للتخطيط والتنمية الاقتصادية، مكتبة الإشعاع للتنمية، مصر، 1999، ص 46.

<sup>2</sup> - سيد محمود سيد محمد، التنمية الاقتصادية في موريتانيا في ضوء التجربة السورية، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد والتجارة، 1988، ص 64.

<sup>3</sup> - هوشيار معروف، دراسات في التنمية الاقتصادية، دار الصفا للنشر، جامعة البلقاء التطبيقية 2005، ط 1، ص 11

<sup>4</sup> - التي تعتبر ظاهرة اقتصادية يبدأ ظهورها بشكل ملموس مع ازدهار في المجتمعات الريفية التقليدية، وهي نسبة عدد الأفراد العاطلين إلى القوة العاملة الكلية.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 72.

-توفر الخدمات الإنتاجية والاجتماعية للفرد.

**\*على الاقتصاد:** يهدف أي علم إلى اكتشاف قوانين تساعد في التفسير والتنبؤ والتحكم في الظواهر المرتبطة بهذا العلم، وبهدف علم الاقتصاد بدوره إلى دراسة الظواهر الاقتصادية بمحاولة تفسير سلوك الوحدات الاقتصادية (الأفراد، الأسر، المؤسسات، الحكومات) بطريقة منهجية من خلال مجموعة من النظريات والقواعد والأدوات التحليلية، فإدارة اقتصاد أي دولة يجب أن تتم وفق منهج عملي وقوانين تضبط هذه العملية.

ويتعذر فهم علم الاقتصاد دون إدراك لتاريخه، وتلك حقيقة تقرها الدوائر الأكاديمية، ومع ذلك فإن تاريخ الأفكار الاقتصادي لم يكن مبدئياً شائعاً للدراسة بين سواء الناس، فالحقيقية أن الأفكار الاقتصادية هي دائماً وفي الأساس نتاج لزمانها ومكانها، ولا يمكن النظر إليها منفصلة عن العالم الذي نفسره ومثلما يتغير العالم، وهو في الواقع في تحول مستمر، كذلك فإن هذه الأفكار لا بد أن تتغير أيضاً إذا أريد لها أن تحتفظ بأهميتها في الأعوام الأخيرة أحدث قيام الشركات العملاقة والحروب، وظهور الدول الاشتراكية ونقابات العمال، الكساد، أحدثت هذه الظواهر جميعاً تغييراً مثيراً، بل ثورياً في الحياة الاقتصادية ومع تغير مادة بحث علم الاقتصاد تغير الموضوع بالضرورة مع آدم سميث خطأ تاريخ الفكر الاقتصادي أطول خطواته وكما قال ايرك رول Air Roll عنه: "إن رسول الليبرالية الاقتصادية تحدث بعبارات واضحة ومقنعة" وفي السنوات التي اعقبت وفاة سميث برز ثلاثة أشخاص عظماء كادوا جميعاً معاصريه لبعضهم البعض، وهم جان باتيست ساي -Jean Baptiste Sai (1767-1832) وتوماس روبرت مالتس And Thomas Robert Malts (1766-1894) و دافيد ريكاردو David Ricardo (1772-1823) وقد شهد جميعاً وخاصة مالتس وريكاردو الثورة الصناعية في كامل ازدهارها، وسعوا في محاولة منهم لتحسين آراء سميث Smith إلى جعل الفكر الاقتصادي متمشياً مع هذا التغير الهائل ومعهم جاء الفكر الاقتصادي للنظام الصناعي<sup>1</sup>، ومقارنة سميث أومالتس قدم ريكاردو تغييراً مؤثراً في المنهج فسميث كان تطبيقاً وقادراً على توصيل أفكاره وكان يبدأ من ملاحظاته الخاصة المتنوعة ويخرج

<sup>1</sup> - جون كينيث جالبريث، تاريخ الفكر الاقتصادي بين الماضي وصور الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بيع، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية الكويت، ايلول، 2000، ص 88.

منها باستنتاجاته، أما ريكاردو Ricardo فكان نظرياً واستدلالياً، وهو إذ ينطلق من رأي واضح أو يبدو عليه الوضوح، يواصل السير عن طريق الاستدلال المنطقي إلى استنتاج معقول في ظاهرة، أو ربما إلى استنتاج حتمي، وكان ذلك منهجياً يمكن أن يجتذب اهتمام الاقتصاديين في المستقبل، لأنه لا يحتاج إلى وفرة في المعلومات، فهو يتبع آدم سميث في التعرف على الاهتمامات الرئيسية لعلم الاقتصاد مع قدر من العنف في اتهامه بالخطأ وعن العوامل التي تحدد قيمة الناتج أو سعره ساد الاعتقاد لدى بعض الدارسين وكان من أبرزهم جوزيف شوميتز Joseph Schumeter بأن تأثير ريكاردو في الفكر الاقتصادي مبالغ فيه، فكل من (نظرية العمل في القيمة) و (القانون الجديد، المصاحب لها، كان تراجعاً من مسار أقرب إلى الصواب وأقل تشدداً في تطور الفكر الاقتصادي.

وبعد مرور خمسين عاماً تبين أن تنبؤ كينز Keynes كان يعوزه الدقة، ومن الصحيح أن بعض التأثيرات الاقتصادية التي كانت قوية ذات يوم أحدثت في التضاؤل في البلدان الصناعية وكما سنرى فإن إنتاج السلع أصبح أمراً أقل إلحاحاً بكثير مما كان في الماضي، وكذلك تضاءلت أهمية مسألة الكيفية التي يتم بها توزيع الدخل من الإنتاج الآمن والمضمون، ولكن الاقتصاد كعلم له قيمة باقية لا يرتبط بإلحاح المشاكل الاقتصادية، وقد تدخلت البحوث الاقتصادية، والاهتمامات الاقتصادية الأوسع من أجل الحفاظ على صورته التقليدية أو الكلاسيكية وعلى ما يبدو له من أهمية وكذلك فقد ظهرت مشاكل جديدة في مقدمتها كما رأينا مشكلة اليقين أو عدم اليقين الذي توفر به فرض العمل وما يترتب من دخل، وعلى نحو أكثر عمومية، فإن كينز عندما تأمل مستقبل "علم الاقتصاد لم يتنبأ بعمق والتزام الاقتصاديين التقليديين بالقيم والمفاهيم الكلاسيكية وبالطريقة التي يمكن أن نتأكد بها صحتها وأهميتها في مواجهة التغيرات التي تحدث عنوة ذلك أن قوتهم إنما تأتي من خدمتهم للمصالح المهنية والمصالح الاقتصادية الأوسع، للمصالح المكتسبة التي تصور كينز أن قوتها أقل من قوة الأفكار ونحن عندما نتأمل مستقبل علم الاقتصاد ينبغي أن تؤكد أولاً القوة المستقرة للنظريات الكلاسيكية"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - جون كينيث جالبريث، المرجع السابق، ص 313.

### \*مميزات القوانين الاقتصادية:

نسبية التطبيق: تتغير بتغير الزمان والمكان، فالحياة الاقتصادية في المجتمعات البدائية لا تنطبق قوانينها في المجتمعات المعاصرة فالثبات والاستقرار في القوانين الاقتصادية يتسمان بالنسبية<sup>1</sup>.

أقل حتمية: فإذا ما قارنا بقوانين العلوم الطبيعية سنجد أن العلاقات التي تحكمها كثيرة ومتشعبة مما يجعل الحتمية في القوانين الاقتصادية أقل منها في العلوم الطبيعية.

أقل دقة: يمكن تعريف علم الاقتصاد بأنه العلم الذي يعني بدراسة القوانين الاجتماعية التي تحكم إنتاج وتوزيع الوسائل المادية (المال) التي تستخدم في إشباع الحاجات الإنسانية.

### \*أهداف التنمية الاقتصادية:

للتنمية الاقتصادية أهداف عديدة تدور كلها حول رفع معيشة السكان وتوفير أسباب الحياة الكريمة ومن بينها:

1- زيادة الدخل القومي: تعتبر من أهم أهداف التنمية الاقتصادية في الدول النامية والدخل القومي يقصد زيادته هنا هو الدخل القومي الحقيقي لا النقدي.

2- رفع مستوى المعيشة: يعتبر تحقيق مستوى المعيشة من بين الأهداف العامة التي تسعى التنمية الاقتصادية إلى تحقيقها في الدول المتخلفة واقتصاديا مثل تحقيق مستوى ملائم للصحة والثقافة، ما لم يرتفع مستوى معيشة السكان فالتنمية الاقتصادية ليست مجرد وسيلة لزيادة مستوى المعيشة بكل ما يتضمنه هذا التغير من معنى لأن التنمية الاقتصادية إذا وقعت عند خلق زيادة في الدخل القومي.

### \*أهم المعوقات الاقتصادية:

1-القومية العاملة: لا شك أن هناك علاقة أكيدة بين النمو وبين القوى العاملة من حيث حجمها ومعدل نموها خاصة معدل نموها في القطاعات الإنتاج السلي من الزراعة والصناعة، وكذلك من حيث جودتها ومدى تناسبها ومعدل نمو إنتاجها كما يرجع انخفاض

<sup>1</sup> - جاسم سلكان، خطوات الأولى نحو فهم الاقتصاد، الناشر مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، الطبعة 2، 2010، ص 45.

الأجور في الدول النامية إلى أسباب عديدة منها وفرة عرض العمل بالنسبة للطلب، وجود البطالة وانخفاض و الدخل في مستوى الإنتاجية في هذه الدول عن مثيله في الدول المتقدمة الصناع.

## 2- التكنولوجيا والتنظيم:

إن الافتقار إلى طبقة المنظمين هو التغير الأساسي لغياب عمليات الإنماء السريعة في الدول النامية، بينما تقدمت الدول المتقدمة في هذا المجال بمعدل متزايد في المشروعات الكبيرة، غير أن الأمر ليس كذلك في الدول النامية إلى نقل تكنولوجيا بسيطة وليست معقدة، أي بما يتناسب مع طبيعة ظروف الدول، ويعتبر هذا عقبة كبيرة أمام عملية التنمية.

3- التجارة الخارجية: هناك صعوبات عديدة تفرض سبيل الدول النامية في تحقيق التنمية معا.

أ- عدم توفر الأيدي العاملة الماهرة بالقدر الكافي.

ب- ضيق حجم السوق المحلية، إذ أنه يصعب الدخول في مجال تصدير السلع المصنعة إلى السوق الدولية قبل الاستفادة من مزايا الإنتاج الكبير في السوق المحلية.

ج- التقلب الشديد في أسعار المواد الأولية كثيرا ما ينعكس في شكل انخفاض مفاجئ في حصيلة الدول النامية من العملات الأجنبية، لذا يجب على هذه الدول أن تعمل على تشجيع صادراتها باتخاذ مختلف الإجراءات والوسائل المؤثرة على كمية وقيمة الصادرات وبالشكل الذي يسمح بمواجهة المنافسة الأجنبية في السوق العالمية.

## \*شروط تحقيق التنمية:

- قاعدة بيانات: تسمح بالتخطيط والتقييم.

- التنمية البشرية: فزيادة الإنتاج تتطلب موارد بشرية، مدربة تدريباً جيداً علمياً ومهارياً وتقنياً، بحيث تزداد إنتاجيتها.



- توفير سياسات ضامنة: فالتنمية تعني دخول رؤوس أموال ورأس المال فإذا لم توجد سياسات تضمن حقوق الأطراف المختلفة في العملية الاقتصادية لن يتم نجاح العملية الاقتصادية.<sup>1</sup>

### \*نظريات التنمية الاقتصادية:

لدينا ما يقرب من اثني عشرة 12 نظرية في التنمية الاقتصادية سنختار منها ثلاث نظريات شائعة كثيراً:

#### 1- نظرية الدفعة القوية:

تعني أن أي بلد يريد الإقلاع والدخول خاصة في العالم الثالث، من حالة الموارد غير المستخدمة إلى حالة التنمية لا بد من توافر بنية تحتية من طرق ومواصلات وكهرباء، وتنمية بشرية فإن أغلب دول العالم الثالث غير مستقرة ذلك لا تأتيها رؤوس الأموال ومن أبرز النماذج على ذلك السودان فيه موارد كبيرة.

2- نظرية التنمية المتوازنة: والمقصود بالتوازن وضع التمويل في الهياكل الاقتصادية بشكل متوازن، فتدعم القطاعات الثلاثة بالتوازي الخدمات والصناعة والزراعة بحيث يتم تنميتها جميعاً وهذا يتطلب رؤوس الأموال كبيرة.

#### 3- نظرية التنمية غير متوازنة:

حيث تبدأ الدول بما يعرف بالمشروع القائد، فتركز على قطاع واحد مثل: القطاع الصناعي ففي دول الخليج البترولية على سبيل المثال كان التركيز على البترول، كما بعض الدول تركز على القطاعات الخدمية كالسياحة لكنها ضعيفة في الزراعة والصناعة، فإذا أضرب لديها قطاع الخدمات انهار الاقتصاد والتنمية في البلد لذلك تحرص الدول على تنمية جميع القطاعات وتتوقف إستراتيجيتها في ذلك على نوع وحجم مواردها فتلي أحياناً إلى التنمية البشرية، أي غير متوازنة بالتركيز على المشروع والقطاع القائد.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - جاسم سلكان، المرجع السابق، ص 73.

<sup>2</sup> - جاسم سلكان، المرجع نفسه، ص 76.

### \*التطلع للمستقبل:

يعجز معظم الاقتصاديين عن مقاومة الرغبة في التنبؤ بالمستقبل بعيد المدى، وعلى غرار سميث ومالتس وريكاردوا، وماركس وكيتر، و رسم ميل رؤية انطباعية للمستقبل، رؤية تدرج فيها الكثير من نظريات ريكاردوا واشتراكية جماعة سان سيمون San Simon وهي حركة مثالية تعظم العمال الصناعيين، فمن ريكاردوا Riccardo استقى مل إمكانية حدوث حالة من الركود ومن سان سيمون استقى مل الألوان الزاهية، لكن حالة الركود ستكون سعيدة بينما بنى ريكاردوا نموذجاً نظرياً لتتبع مسار نتائج العوائد المتناقصة وإغلاق الأسواق وتناقص الأرباح، رسم مل نموذجاً شبه لاهوتي للجنة على الأرض نذكر أن نفعه مل المستنيرة كان بها مكان للمثاليات الأفلاطونية في حساباتها، كان مل يتوقع لوقت يهتم فيه البشر بالكرامة والأمانة والعدالة أثر من تفاصيل العمل والحسابات المالية.

إن معرفة الأفكار والنظريات الاقتصادية خلال فترات التاريخ تمكننا من التعرف على ما توصل إليه رجال الفكر والفلاسفة من أفكار وأساليب لعلاج تلك المشاكل من جهة، ومن جهة أخرى الاستفادة من معرفة مشاكل وأخطاء الماضي لمعالجة مشاكل الحاضر وظروف المستقبل.

### \*أهمية دراسة النظم الاقتصادية:

تعرف أهمية دراسة النظم الاقتصادية المختلفة إلى الأسباب التالية:

- إتاحة الفرصة لأطراف النشاط الاقتصادي في المجتمع لمعرفة أبعاد وأهداف النظام الاقتصادي الذي يتبعونه.
- إمكانية إجراء المقارنات العلمية بين النظام الاقتصادي المتبع وتلك النظم الاقتصادية التي تتبعها الدول الأخرى، للوقوف على أية الأنظمة أولى بالإتباع في ضوء ظروف المجتمع المكانية والزمانية.

- تلمس أسباب نجاح النظم الاقتصادية المتعددة وأسباب إخفاقها للتمسك بالأولى وتجنب الثانية<sup>1</sup>.

\*هيئة التنمية الدولية: وقد أنشئت عام 1960 لتقديم قروضها بشروط سهلة وميسرة وبفائدة بسيطة، ونلخص أهدافها فيما يلي:

- إعطاء دفعة للتنمية الاقتصادية في الدول النامية وبصفة خاصة في الدول الأكثر فقرا.  
- منح القروض لمشروعات البنية الأساسية والطاقة لتقوية البنية الأساسية وتحسين الأداء الاقتصادي.

### تطور مفهوم التنمية:

عرفت التنمية بأنها الزيادة السريعة والمستمرة في مستوى الدخل الفردي عبر الزمن، بل أن البعض قد ذهب إلى إطار تحديد كمي للزيادة السنوية المطلوبة في الناتج القومي الإجمالي، استنادا إلى خبرة الدول المتقدمة في مراحل تطورها المبكرة وإلى معدلات التزايد السكاني في الدول النامية. فعرفت التنمية بأنها الحالة التي يصبح فيها الاقتصاد القومي (الذي ظل في وضع يتسم بالركود لفترة طويلة)

### \*تطور المفهوم في ضوء الخبرات المكتسبة:

غير أن دراسة خبرات البلدان النامية في الخمسينات والستينات أوضحت عدم صواب مفهوم التنمية الذي يحتل التنمية إلى مجرد النمو الاقتصادي السريع، فقد شهدت بلدان نامية عديدة معدلات هو الدخل القومي قريبة من المعدل الذي اعتبره الخبراء معذلا مرغوبا في تحقيقه ومن الهدف الذي حدده عقد الأمم المتحدة للتنمية وهو 6% ومع ذلك بقيت مستويات المعيشة فيها بلا تحسن واستمرت قطاعات واسعة من سكانها تعاني من الفقر والجهل والمرض والتعطيل وعلى عكس ما كان يتوقعه أصحاب المفهوم الاقتصادي للتنمية لم تنكمش الفجوة بين الأغنياء والفقراء بل إنها اتجهت للتسارع في الدول التي حققت معدلات مرتفعة لنمو الدخل<sup>2</sup>، وهكذا تبين أن

<sup>1</sup> - محمد إبراهيم أبو شاوي: النظم الاقتصادية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010، ص 17، 18.

<sup>2</sup> - ابراهيمية العيسوي، التنمية في عالم متغير دراسة في مفهوم التنمية و مؤشراتنا، القاهرة، ط1، ص 16.

التحسن في مستويات معيشة أغلبية السكان لا يتحقق بمجرد زيادة الاستثمارات والحصول على المعونات الأجنبية والتكنولوجيا المتطورة، بل أنه يتطلب سياسات وإجراءات متعمدة لتحسين وتوزيع الدخل والثروة و ترشيد الاستهلاك.

والمهم من منظور تحديد مفهوم التنمية، هو أن خبرة التنمية في الخمسينات والستينات قد جعلت الاهتمام يتحول من النمو الاقتصادي إلى قضايا التفاوت والعدالة في توزيع الدخل وإزالة الفقر والقضاء على التعطل، وبعد ما كان النمو الاقتصادي هو الملك المتوج الذي ينفرد وحده بعرش التنمية، اشتد الهجوم عليه وتصاعدت موجات المطالبة بإخراجه من العرش، أو على الأقل بإفساح مكان على عرش التنمية لإلغاء الفقر وتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتوسيع فرص العمل وإشباع الحاجات الأساسية وذلك إلى جانب النمو الاقتصادي.<sup>1</sup>

#### \*انعكاسات الظروف المعيشية القاسية أسوأ مما تعتقد:

انعكاسات الحياة المعيشية الصعبة لا تقتصر على ضعف تنظيم الأمة لنفسها، وتحقيق ولائها على ذاتها وإنما تتجاوز ذلك إلى التأثير في قدرة الناس على الكسب المعرفي، وتنمية ذكائهم وتمتعهم بالراحة العقلية وأوقات الفراغ، بل وحسن أخلاقهم وهذه القضايا كلها ذات أهمية خاصة في زمان يتطلب العيش الكريم فيه أن يشغل الإنسان كل طاقاته النفسية والذهنية والجسمية حتى يشعر السواء الاجتماعي، وبإمكان الوصول إلى أهدافه.<sup>2</sup>

من الممكن أن يتحقق نمو اقتصادي سريع، بينما يحدث تباطؤ في عملية التنمية وذلك لعدم إتمام التحولات الجوهرية التي تواكب عملية التنمية أو تسبقها في المجالات التكنولوجية والاجتماعية والمؤسسية والثقافية والسياسية والاقتصادية، والتي تعمل على انطلاق الطاقات البشرية والقدرات الإبداعية للناس وتساعد على أن يكتسب المجتمع قدرات جديدة علمية وتكنولوجية وإدارية تمكنه من مواصلة التقدم على كل الجهات.

ويمكن أن يتحقق نمو اقتصادي سريع ولا تحدث تنمية، عندما يكون النمو الاقتصادي مصحوبا بتقليص المشاركة الشعبية واتخاذ القرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكبت

<sup>1</sup> - ابراهيمية العيسوي ، المرجع السابق، ص 16.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق، ط4، 2011م، ص 35.

الحريات والأجور على الحقوق المدنية للمواطنين في الدولة النامية، ويقال أن التنمية لا تتحقق حتى عندما يرتفع متوسط الدخل الفردي الحقيقي بمعدلات سريعة، إذا كان ذلك النمو مصحوبا أو متبوعا بزيادة درجة الاعتماد على الخارج وبتقادم أوضاع التبعية الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية والسياسية في إطار النظام الرأسمالي العالمي ونظام العلاقات السياسية الدولية المرتبط به بينما تتطلب التنمية فك الروابط مع هذا النظام والتحرر من أسوار التبعية له وزيادة درجة الاعتماد على الذات في سعي المجتمع لتحقيق أهدافه المختلفة.<sup>1</sup>

### \*ملايسات التحول إلى اقتصاد السوق:

إن المتبع لتطور الفكر التنموي والسياسات التنموية منذ أواخر السبعينات سوف يلحظ حدوث تراجع عن مقولة ظلت تتمتع بقبول واسع طوال ما يزيد عن ثلاثة عقود سابقة، وتتلخص هذه المقولة في أن التنمية لن تتحقق في الدول النامية بشكل تلقائي من خلال آليات السوق، وأن على الدولة أن تتدخل في إدارة الاقتصاد، سواء بالتأثير في عمل الأسواق أو بالحلول محل آليات السوق في بعض الأحيان، وهذه المقولة لم تأت من فراغ، بل أنها كانت تستند إلى رصيد فكري وخبرات تاريخية وبحث جدي في طبيعة الاقتصاديات النامية ومتطلبات تنميتها، لقد كان وراءها ما عرف بالثورة الكيترية في الفكر الاقتصادي، وما قدمته من حجج قوية لتدخل الدولة لضبط عمل الاقتصاد الرأسمالي وإخراجه من الأزمات، واستندت هذه المقولة أيضا إلى خبرات التخطيط في الدول الاشتراكية،<sup>2</sup> ودور الدولة في النهوض باقتصادياتها وتحول الاتحاد السوفياتي في ظل التخطيط الاشتراكي إلى القوة العظمى الثانية في العالم، وذلك من حيث أن التنمية تتطلب إحداث تغييرات جذرية في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية ليس من الممكن إنجازها بقوى السوق المؤهلة فقط للتعامل مع التغييرات المحدودة (أو الحدية بلغة الاقتصاديين) في إطار نظام اقتصادي معين.

### \*الأبعاد الرئيسية للتنمية:

إن التأمل فيما قدمته الاتجاهات الأنتروبولوجية والسياسيولوجية المفسرة للتنمية والتخلف سيدرك أنها أكدت على أنه من الضروري أن تستند في إدراكنا وفهمنا لقضية التنمية والتخلف إلى

<sup>1</sup> - ابراهيمية العيسوي، التنمية في عالم المتغير، المرجع السابق، ص 19.

<sup>2</sup> - ابراهيمية العيسوي، التنمية في عالم المتغير، المرجع السابق، ص 20.

النظرة التكاملية الشاملة عكس ما تذهب إليه باقي التخصصات المتدخلة في الموضوع، والتي تنتظر إلى القضية، من زاوية ضعيفة ومحددة تعتمد في اختيارها التحليلي والمنهجي أسلوبا استقرائيا مجرد القضية من جزئياتها المؤثرة والفاعلة في حين تتحدد النظرة السوسيولوجية والأنثروبولوجية في أن هناك العديد من الأبعاد المتفاعلة والمتراطة بعضها البعض، وكذا المرتكزات التي تركز عليها التنمية وتدعمها والتي يمثل كل بعد منها مطلبا من متطلبات التنمية ودعمها لها.

### \*البعد الاقتصادي:

أكدت الاتجاهات النظرية المفسرة للتنمية والتخلف أهمية البعد الاقتصادي في التنمية<sup>1</sup>، وأنه يمثل شرطا أساسيا من شروطها ويتمثل في العديد من العناصر الاقتصادية مثل الموارد المائية والطبيعة المتاحة والمسيرة، والمؤسسات والمنشأة والأجور وقوة العمل ورؤوس الأموال وأدوات الإنتاج... الخ

ولتحقيق التنمية والتعجيل بها ينبغي التوصل إلى فهم شامل لثقافة البلاد النامية فمن الصعب الحديث عن تنمية اقتصادية شاملة وحقيقية في ظل تجاهل المتغيرات والعوامل الثقافية والاجتماعية المرافقة والمتداخلة، إذ لابد من استحضار القيم الجماعية والتقاليد والعادات، والطقوس الجماعية وكذا الرواسب الثقافية والمعتقدات الروحية المتجذرة في الخيال الاجتماعي والثقافي لأفراد المجتمع ففي تجاهل هذه العوامل وغيرها مستحيل معها تحقيق الغايات التنموية.

وفي حالة النمو الاقتصادي البطيء تتراكم الثروة بشكل أسرع بفضل زيادة معدل العائد على رأس المال عن معدل عائد العمل (الأجور) وتتراكم الثروة أكثر لصالح العشرة بالمائة والواحد بالمائة، العليا مما يزيد من فوارق الثروة، أثناء الحقبة التي تتسم بنمو اقتصادي متواضع مثل التي مرت بكثير من الدول الغربية في العقود الأخيرة يتجه الدخل إلى التحول من العمل إلى رأس المال في تلك الحالة تتراكم ثروات ضخمة لفئة قليلة من الأفراد بينما تكدح الأغلبية بصعوبة للوصول إلى حياة كريمة، كان الدخل عن رأس المال يلعب دائما دورا في الرأسمالية.<sup>2</sup> وهذا الدور يزداد نموا ويجعل اللامساواة في الدخول والثروات تنمو بمعدل أسرع، وتتبع الرأسمالية الحديثة القانون الآتي:

<sup>1</sup> - كامل عبد المالك: ثقافة التنمية، دراسة في اثر الرواسب الثقافية على التنمية المستدامة، دار المحروسة، القاهرة 2008، ص 70.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 25.

عندما يكون معدل العائد من رأس المال "بمعنى الدخل السنوي، الذي بدوره مقسوماً على القيمة السوقية له" أعلى من معدل نمو الاقتصاد، ينمو دخل رأس المال أسرع من الدخل من المرتبات والأجور فمن النادر أن تنمو المرتبات والأجور أسرع من الناتج المحلي الإجمالي.

إذن يعالج علم الاقتصاد بالبحث والدراسة والتحليل مجموعة من الحقائق ذات المغزى الاقتصادي، أو ما يمكن تسميته بالحقائق الاقتصادية، والتي تحتوي على ثلاثة أشكال من النشاط الاقتصادي، وهي: الإنتاج والاستهلاك، التبادل وينجم عن مختلف العمليات السابقة ما يسمى بالكميات الاقتصادية Ecomomic Quantities. فلا يكفي أن يرصد الاقتصاديون أن هناك إنتاجاً واستهلاكاً وتبادلاً بل إنهم يوجهون اهتمامهم نحو الكميات المنتجة والمستهلكة والمتبادلة.

#### د- الجانب السياسي: "انعكاس التنمية في الجانب السياسي"

بدأ اهتمام علماء الاقتصاد والسياسة بتطور العالم الثالث، وظهرت الدراسات والأبحاث والنظريات عن التنمية الاقتصادية في وقت أول، ثم إنه سرعان ما تبين أن التنمية الاقتصادية ينبغي أن تكون في جميع الميادين الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية معاً، خاصة وأنه كان قد ظهر تفاوت كبير بين الجهود المبذولة من قبل البلدان النامية في ميدان التنمية الاقتصادية من جهة، وفي المجال السياسي من جهة أخرى، وعلى غرار التنمية الاقتصادية ظهر مفهوم (التنمية السياسية) وصارت أبحاث التنمية السياسية ونظرياتها حقلاً من حقول علم السياسة.

تنطلق نظريات التنمية السياسية من الإيمان بأن المجتمعات البشرية تسير في خط متصاعد يتكون من مراحل متتابعة، كل مرحلة منها أعلى من السابقة، وذلك انطلاقاً من اعتبار المجتمع الأوروبي أنموذجاً معيارياً للمجتمعات الأخرى، يجب عليها إذا أرادت تحقيق التحديث والتنمية أن تقتضي أثر هذا النموذج، ومن ثم فإن أي مجتمع لا تتوفر فيه شروط المجتمع الأوروبي ومؤشراته يعد في مرحلة الأدنى، وعليه أن يسعى للتطور والتقدم، ولا تعترف نظريات التنمية السياسية بأن الظروف التي صاحبت التجربة الأوروبية والفترة الزمنية التي استغرقتها لا يمكن تكرارها أولاً يمكن أن تتوفر بسهولة لأي مجتمع آخر.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي التغير والتنمية السياسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص 69.

أما عند النظر إلى العالم غير الأوروبي نجد نظريات التنمية السياسية تتأرجح بين أسلوبين للتفسير، فإذا كانت توصف أسباب التخلف والعوامل التي أدت إلى تأخر هذه الدول، نتحدث عن الحركة الدائرية لهذه المجتمعات حيث أن تاريخها كان يسير في دوائر مغلقة، فارتقاء فانهيار ثم تبدأ حلقة جديدة... وهكذا، بحيث ينعدم وجود التاريخ الحقيقي لها، لأنه لا يوجد دليل لديهم على أن المرحلة التالية تمثل مرحلة أرقى من السابقة وقد طور ميشال فوكو Michel Foucault هذا الاتجاه في كتابه (العالم الجديد 1725) حيث رأى أن الدورات المتكررة في التاريخ الإنساني دورات حلزونية وليست دائرية.<sup>1</sup>

أما الحديث عن طرائق التنمية والتقدم ووسائلها تقدم مسلمة الخطية، حيث أن التاريخ يسير في خط واحد متصاعد، ومن ثم فعلى الدول غير الأوروبية الإسراع باللاحاق بالدول الأوروبية حيث اعتبرت التجربة الأوروبية خلاصة التطور البشري وغايته.

#### \*الإطار المفاهيمي لنظريات التنمية السياسية:

تقدم نظريات التنمية السياسية مفاهيم عدة للتعبير عن جوهر وحقيقة ظاهرة التنمية التي تمثل محور هذه النظريات حيث التطور، التقدم، التغير، الرقي... الخ، وعلى الرغم من تعدد هذه المفاهيم وتلاحقها الزمني في الظهور إلا أنها لا تمثل منظمة متكاملة أو نسقا واحدا.

#### \*مفهوم التنمية السياسية:

بروز مفهوم التنمية السياسية بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث لم يستعمل هذا المفهوم منذ عصر سميث في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلى على سبيل الاستثناء، فالمصطلحات اللذان استخدمهما التقدم المادي material progress أو التقدم الاقتصادي economic progress وقد برز هذا المفهوم على المستوى علم الاقتصاد ثم انتقل إلى علم السياسة منذ ستينات هذا القرن على أيدي رواد لجنة السياسات المقارنة committee on

<sup>1</sup> - كافين رايلي، الغرب والعالم، ترجمة: عبد الهاب المسيري، هدى عبد السبع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العددان 90، يونيو (حزيران) 1983 97 يناير (كانون الثاني) 1986، ص 363.



comparative politics والتي أخرجت سلسلة في سبعة مجلدات تحت عنوان (التنمية السياسية)<sup>1</sup> ساهم فيها كل من ليوناردو بانيدر leonard binder وجيمس .س. كولمان james.s.coleman ومنذ ظهور التنمية السياسية كحقل جديد في علم السياسة، يهتم بتطوير البلدان غير الأوروبية، حيث عرفها لوسيان باي Lucien Bay : "إنها عملية تغيير اجتماعي متعدد الجوانب غايته الحصول إلى مستوى الدول الصناعية".

فالتنمية السياسية عند باي هي مقدمة التنمية الاقتصادية، وهي تحديث سياسي وتنظيم للدولة القومية، وهي بناء للديمقراطية.

فالتنمية السياسية هي نماذج العلاقات بين الناس من خلال المؤسسات الحكومية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهي زيادة المساواة وقدرة النظام السياسي وتمايز البنى السياسية<sup>2</sup>، وهي كذلك قدرة النخبة الحاكمة على تحقيق التنمية حيث يعرفها (لوشيان) التنمية السياسية بأنها عملية تغيير اجتماعي متعدد الجوانب يهدف إلى الارتقاء بالمجتمعات إلى مستوى الدول الصناعية، وهي عملية متعددة الجوانب ومقدمة للتنمية الاقتصادية وهي عملية تحديث سياسي لنمط الحياة الغربية ويمكن للدول النامية محاكاة ذلك.

### \*نظريات التنمية السياسية:

في حقل التنمية السياسية ظهرت نظريات لم تثبت صحة أي منها بصورة تامة ومقنعة، تفرض بعضها للنقد في وقت ظهورها أو بعده وتمت مراجعة بعضها أو مناقضته من قبل أصحاب النظريات أنفسهم، ومن بين هذه النظريات نظرية التحديث ونظرية التنمية الاقتصادية، ونظرية الثقافة السياسية... الخ.

ومن هنا اصطنع الباحثون مصطلح "التنمية السياسية" تعبيراً راقداً خاص من مجرى عام، وإن صار الراقداً بمثابة العالم المصغر الذي تدور في رحاه المباحث والنظريات التي تشمل على الأبعاد والجوانب المختلفة لظاهرة التحول الاجتماعي والتبديل الثقافي موضع النظر والتي تبث في وسائل

<sup>1</sup> - نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الاسلامي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فيرجينا الولايات المتحدة الأمريكية، 1981، ص 231.

<sup>2</sup> - Lbinder.j.coleman.grises and sequences in political développement, princeton princeton, university press, 1971, p15

التحقق لأهداف جماعة تنشُد الانتقال من حال إلى حال والمعتبر في هذا الانتقال التحول مما هو أدنى إلى ما هو أسمى أو في لغة أهل المصطلح فالمواد بإنجاز العملية الإنمائية إنما يكون هو تحقيق النقلة الحضارية التي تتيح للأمة أن تتدرج في عداد الأمم الفاعلة وإلا تبقى مجرد أمة منفعة.<sup>1</sup>

واعتقد أيضا أنه بات من الواضح بما فيه الكفاية أن الفكر الاقتصادي لا يوجد بعيد عن السياق وبعيدا من الحياة الاقتصادية، والسياسية التي تعطيه شكله، أو المصالح الصريحة أو المستمرة وفقا لاحتياجاتها والأفكار الاقتصادية كما أكد كينز Keynes تعتبر بالفعل هاديا للسياسة ولكن الأفكار هي أيضا وليدة السياسة والمصالح التي تخدمها.<sup>2</sup>

إن فصل الاقتصاد عن السياسة والدوافع السياسية إنما هو الشيء عقيم، كما أنه غطاء يخفي واقع القوة الاقتصادية دوافعها و أيضا مصدر أساسي لسوء التكيف والخطأ في السياسة الاقتصادية ولا يمكن أن يختم كتاب عن تاريخ الفكر الاقتصادي دون إبداء الأمل في أن يتحدد هذا الموضوع من جديد مع السياسة ليشكل معا مرة أخرى العلم الأوسع، للاقتصاد السياسي.

ويمكن دراسة نظريات التنمية السياسية دراسة نقدية بصورة أكثر شمولاً وعمقا من أي منهج آخر يركز على أحد جزئياتها أو ظواهرها، وذلك من خلال التركيز على الأبعاد التالية:

1- دراسة نظريات التنمية السياسية في إطار الفهم الشامل لمفهوم التنمية والأبعاد المختلفة له حيث لن تقتصر الدراسة على الأبعاد السياسية في هذه النظريات دون غيرها، بل سوف يتم التعرض لجميع الأبعاد الأخرى ذات الأثر في العملية السياسية، وذلك من خلال الربط بين مفهوم التنمية السياسية والأبعاد الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لظاهرة أو قضية التنمية.

2- دراسة نظريات التنمية السياسية في كليتها ومقولاتها الأساسية دون إهمال جزئياتها أو لفرعياتها، وإنما التعرض لها بقدر ما تسهم به في فهم الكليات أو تعيين إليها أو تفترق عنها.

برغم أن العلاقات بين المجالات السياسية والاقتصادية كانت تتميزها درجة عالية من الاستقلال من ناحية المجال الاقتصادي، فقد نضمت تشكيلة من عناصر أخرى، تضمن احتكار الاستخدامات

<sup>1</sup> - نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1981، ص 16.

<sup>2</sup> - جون كينيث جاليرث، المرجع السابق، ص 331.

الاجتماعية للعنف، الذي كان السمة الأساسية للمجال السياسي، خلق نظام للمحاكم لتسوية نزاعات اللاعنف في مجال الاقتصاد، واحتوى هذا الاحتكار أيضا التعريف بحقوق الملكية وحمايتها متضمنا وضع قيود على نزع الملكية ذى الصيغة السياسية وفرض الضرائب كان تقديم النقود كوسيط للتبادل التجاري حقا ملكيا قديما تزاوله بلاد الغرب على نحو مستمر، وإن النظر إلى الغايات التي تسعى إلى تحقيقها نظريات التنمية السياسية، سواء الليبرالية أو الماركسية رغم الاختلاف الظاهري بينها في الصياغات اللفظية والوسائل نجد أنها تلتقي عند نقطة واحدة أو هدف محوري واحد، يمثل جوهر الغاية لكل منها، ذلك أن تحقيق الحرية بمفهومها الأشمل وتضائل دور الدولة وسلطتها في مواجهة المجتمع، وزيادة مشاركة المواطن في السلطة السياسية، وتحقيق المساواة والوصول إلى صيغة سياسية، لتحقيق التوازن بين فئات المجتمع، فإن كل من الصياغتين الليبرالية والماركسية ترمي إلى غاية واحدة، وهي تحقيق أقصى قدر ممكن من حرية المواطن تجاه الدولة بحيث أما تكون الدولة خادمة له، ومحايده تماما في تعاملها مع المواطنين وغير منحازة لأي فئة أو طبقة وتحقيق أقصى قدر من الديمقراطية، والمشاركة السياسية<sup>1</sup>، أو تزول الدولة نهائيا على أساس أنها في طبيعتها وتكوينها ونشأتها تمثل تحكم طبقة معينة في باقي طبقات المجتمع، أو هي أداة لطبقة معينة، أو لجنة إدارة شؤون البرجوازية.

ولقد أدت المؤسسات الأوروبية الغربية في السياسة في النهوض بثروتها، وثمة ظاهرة بارزة وحاسمة وقعت في اقتصاديات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وهي وجود عالم تضيق وتبادل تجاري يتسم على نحو واسع بالاستقلال عن تصرف سياسي أو ديني أو قيد بالمقارنة، في القليل مع القيود التي كانت سائدة في الثلاثينات.

<sup>1</sup> - علي الدين هلال، نحو إطار نظري لتحليل عملية التنمية السياسية في الوطن العربي، قضايا عربية، السنة الثامنة، العدد الأول، يناير، (كانون الثاني) 1981، ص 48.

\*الأنثروبولوجيا والتنمية السياسية:

يرون في الفترة الأخير اهتمام واضح بموضوع (انثروبولوجيا التنمية) سواء من قبل باحثي الانثروبولوجيا أو باحثي التنمية. بحيث لا يكاد يخلو كتاب في أحد الموضوعين من تناول هذا الموضوع، ذلك أن الانثروبولوجيا انصب اهتمامها الأساسي على دراسة المجتمعات غير الأوروبية وتطورها، بحيث لم تعرف إلا حديثاً في غير هذا المجال وذلك عن طريق فهم قواعد ثقافات هذه الشعوب، وعوامل تحد بها وتغييرها والوسائل التي يمكن من خلالها تجاوز المرحلة التقليدية والانطلاق نحو مرحلة الحداثة، حيث ينصب اهتمام انثروبولوجيا التنمية على كيفية التغيير الثقافي والاجتماعي والمشكلات التي تثار حول تحقيق التغيير والتنبؤ بنتائجه وتوجيه مساره، والأساليب التي يمكن من خلالها تحريك هذه المجتمعات والتحكم فيها<sup>1</sup>، فإن نظريات النمو المجتمعي تعد البوتقة التي اختمرت فيها نظريات التنمية السياسية، والرحم الذي خرجت منه، محمله بمقولاته ومناهجه وغاياته، بحيث لا يمكن الفصل الجازم بينهما فنظريات التحديث في الحقل الاجتماعي قامت على كتابات المنظرين الاجتماعيين أمثال: كارل ماركس، وماركس فيير و اميل دوركايم وفرديناند توينيس ونالكون بارسونز.

إن معظم مقولات التنمية السياسية المعاصرة ومفاهيمها وفرضياتها ومناهجها ونظرياتها، قد سبق طرحها في علوم أخرى، وتحت عناوين أخرى، وفي سباق تاريخي مختلف لمعالجة النطاق الاجتماعي والجغرافي نفسه، مثل مفاهيم التطور والتقدم والنمو.

وقد جاءت نظريات التنمية السياسية للتعامل مع النظم السياسية والاقتصادية لتستبدل بها نظماً أوروبية ديمقراطية، لتحقيق النمو، والتقدم والانتقال من وضعية التخلف إلى التقدم والحداثة. والنتائج التي توصلوا إليها تؤكد أن نظريات التنمية السياسية ليست وليدة المرحلة التاريخية المعاصرة.

<sup>1</sup> - محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا، ص 309

### \*معوقات التنمية السياسية:

التنمية هي عملية وليست حالة لأنها يجب أن تكون مستمرة ومتصاعدة تتم فيها كل فئات المجتمع، وهي عملية واعية محددة الغايات ذات استراتيجيات طويلة المدى، كما أنها عملية موجهة بموجب إدارة التنمية تدرك الحاجات الإنسانية، فهي تهدف إلى إحداث تغييرات هيكلية اجتماعية واقتصادية لرفع مستوى المعيشة والقضاء على ظواهر التخلف وإحداث نوع من العدالة في توزيع الدخل القومي.

إن مشكلة التنمية هي في الأساس مشكلة سياسية، تنطلق من الفكر السياسي لكونه شرطاً أولياً لتقديم مجموعة الخطط والبرامج والأفكار والأرقام لعملية التنمية، لذلك فإن معركة التخلف هي معركة سياسية في الدرجة الأولى ومن أبرز هذه المعوقات ما يلي:<sup>1</sup>

#### 1- المعوقات السياسية:

يعد عدم توفر الإرادة السياسية من أهم القيود والمعوقات لعملية التنمية ومن الأسباب الرئيسية لفشل كثير من خطط التنمية والإرادة السياسية هي جهود محددة يقوم بها الأشخاص في السلطة السياسية لتحقيق أغراض معينة مثل: إلغاء سوء توزيع الدخل، تقليل التفاوت، وتقليل الفقر، والقضاء على البطالة من خلال الإصلاحات المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسية.

#### 2- غياب دور المعارضة السياسية:

إن غياب دور المعارضة السياسية القادرة على أداء الأدوار المناط بها المتعلقة بعمليات التجديد السياسي والمشاركة بالسلطة من خلال آليات الانتخاب وتفعيل الرقابة السياسية، له أثر كبير في تقليص عمليات التنمية السياسية وذلك لأنها تتسم في نشر الثقافة والوعي السياسي.

<sup>1</sup> - على بن سليمان بن سعيد الدرهمكي، رسالة ماجستير في العلوم السياسية التنمية السياسية ودورها في الاستقرار السياسي في سلطنة عمان (1981-2012) كلية الأدب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2012، ص 37.

### 3- غياب المشاركة السياسية:

إن غياب المشاركة السياسية المرتبطة بالمجتمع الديمقراطي المفتوح، يؤثر بشكل مباشر على القرار السياسي أو متخذ به مما يشكل عائقاً أمام عمليات التنمية السياسية، وذلك لأن المجتمع هو المكون الأساسي للمعنى بالتنمية.

ليس ثمة نظرية تبدوا للوهلة الأولى أنها على تناقص جذري صارم مع النظرية الليبرالية الكلاسيكية أكثر من الماركسية، فإن المبادئ الأساسية المتعلقة بإمكانية خلق مجتمع مدني متجانس قائم على أسس واقعية للديمقراطية، والعقلانية، والمواطنة وحقوق الإنسان، والالتحام بين الحرية والمساواة، وهي مبادئ مشتركة بين الاثنين ومع أن الليبرالية والماركسية تتناقضان بشكل حاد بخصوص الغايات والأساليب والدور التاريخي الذي قدر للبروليتاريا أن تلعبه إلا أن على حدودها كان يتم تداخل الواحدة منها بالأخرى، باعتبار أن الماركسية التي ترعرعت في مورث الفلسفة الليبرالية الكلاسيكية الأوروبية، شكلت تحولاً تاريخياً على نحو متواصل، وقفزة ثورية وفق نمط مترابط منطقياً، فإذا كان الاقتصاد السياسي الانجليزي، والاشتراكية الفرنسية والفلسفة الكلاسيكية، الألمانية، شكلت المصادر النظرية الأساسية للفلسفة الماركسية، فإنه والحق يقال تمثل النظرية الماركسية الوريث الشرعي للمنجزات الجدلية المثالية من القرن السادس عشر إلى منجزات هيكل الجدلية، التي طرحت مسألة تطابق الجدول من المنطق ونظرية المعرفة، والتي كانت في الوقت عينه، نقطة لأسس الماركسية والتجاوز الجدلي الخلاف والمبدع للنظرية الليبرالية الكلاسيكية الأوروبية عامة<sup>1</sup>.

إن مفهوم المجتمع المدني عند **ماركس Marx** ينطلق من السياسة كتجريد، حيث يمثل نقد فلسفة الحق هيكل 1843م، والمسألة اليهودية النقد الأكثر جذرية، التي كان موضوعه الحق والدولة الدستورية التمثيلية الحديثتين، وذلك باسم الديمقراطية الجذرية، حيث يبقى هذا النقد أدنى بكثير من الناحية النظرية من نقد الرأسمالي ولكنه تشكل مرحلة انتقالية، المحرك لا يصل نقد السياسة إلى نقد الاقتصاد السياسي أي إلى نقد رأس مال، حيث كتب ماركس في مقدمة كتابه "مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي" يقول: "...وسأقتني أبحاثي إلى النتيجة التالية، وهي أن

<sup>1</sup> - - على بن سليمان بن سعيد الدرهمكي، المرجع السابق، ص 38، 39.

العلاقات الحقوقية، شأنها بالضبط شأن أشكال الدولة لا يمكن فهمها لا يحكم ذاتها ولا يحكم ما يسمى التطور العام للروح البشرية، وإنما على العكس مجموعها "المجتمع المدني" على غرار ما فعل الكتاب الانجليز والفرنسيون من القرن الثامن عشر كونه ينبغي البحث.<sup>1</sup>

إن التنمية السياسية منذ أصولها ومصادرها إلى تاريخ العلوم الأوروبية وتطورها، ولذلك فإن تناول المصادر الفكرية لنظريات التنمية السياسية، يعد ضرورة لازمة لكي يمكن فهم هذه النظريات من مسلماتها ومفاهيمها وغاياتها ووسائلها فهما حقيقيا في ضوء معيار خارج عن المنظمة المعرفية لهذه النظريات، ينظر إليها من خارجها لكي يمكن الوصول إلى فهم حقيقي وتقييم أمين لها.<sup>2</sup>

أي سياسة تلزم لتكون مجتمع عالمي، لا في صورة اكتمال كوكبي لإمبراطورية هيمنة، بل على أساس من اتخاذ حضاري؟

ولقد اشتملت فكرة التنمية على الدوام على أساس تقني واقتصادي يمكن قياسه بمؤشرات النمو ومؤشرات الدخل، ونفترض هذه الفكرة على نحو ضمني أن التنمية التقنية والاقتصادية هي الظاهرة التي من الطبيعي أن تنجز وراءها "التنمية الإنسانية" التي تعتبر نموذجها الكامل والناجح هو الذي تمثله البلدان المدعاة متقدمة أو غربية، ولذلك فالتنمية وهي تبدو ظاهرها مفهوما عموميا يشكل أسطورة نموذجية للمركزية الثقافية الغربية ومحركا للتغريب المجنون وأداة لاستعمار "المتخلفين" ... (الجنوب) من طرف الشمال، وأن التنمية هي التي تعتبر شيئا خيرا وإيجابيا، تنطوي على كل ما هو إشكالي وضار ومهلك في الحضارة الغربية<sup>3</sup>، حقا إن التنمية تحمل أشكالا من التقدم العلمي الحيوي وضروبا من التدمير الثقافي وأوجها جديدة من التفاوت وصنوبا جديدة من العبودية.

فإن التنمية التي نموذجها ومثالها وغايتها الحضارية الغربية يغيب عن دعاها أن هذه الحضارة توجد في أزمة، وأن رفاهيتها تنطوي على كرب وستكون السياسة الإنسانية بالضرورة سياسة تحقيق العدالة لجميع أولئك، من غير الغربيين، الذين تنكر عنهم حقوقهم التي يقر لهم بها الغرب

<sup>1</sup> - نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، المرجع السابق، ص 95.

<sup>2</sup> - نصر محمد عارف، المرجع نفسه، ص 185.

<sup>3</sup> - اغارد موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة: عبد الرحيم حزم، الدر البيضاء، المغرب، 2012، ص 76.

نفسه، فسياسة الإنسانية ستكون في الوقت نفسه سياسة لتكوين الخبرات الكوكبية المشتركة والحفاظ عليها، كما أن مهمة السياسة الحضارية.<sup>1</sup> أن تطور أفضل ما في الحضارة الغربية وتطرح أسوأ ما فيها، فالغرب يزداد معاناة من هيمنة الحساب والتقنية والربح على جميع جوانب الحياة الإنسانية، وعليه فلنكي يتقدر المجتمع العالمي على حل مشكلاته الأساسية ومواجهة المخاطر العظمى التي تهدده يفترض به أن تتوفر له سياسة للإنسان وسياسة للحضارة.

إن جوهر مفهوم التنمية السياسية يتمركز (حول تزايد معدلات التباين والتخصص في الآنية السياسية وتزايد علمانية الثقافة السياسية) من خلال إيجاد نظم تعددية على شاكلة النظم الأوروبية تحقق النمو الاقتصادي والمشاركة الانتخابية والمنافسة السياسية وترسخ مفاهيم الوطنية والسيادة والولاء للدولة القومية<sup>2</sup>، فإن عولة الأمة التي اكتملت في أواخر القرن العشرين قد باتت تضفي على كوكب الأرض سمة مشتركة حضارية وثقافية واقتصادية.

ولهذا توصف التنمية الناجحة بأنها تؤدي إلى ظهور دولة قوية ومجتمع قوي، وذلك في مواجهة القوى الاجتماعية الداخلية والقوى الخارجية، فالمجتمع القوي هو الذي يتمتع أفراداه وجماعاته بقدر واسع من الحرية في القيام بأنشطتهم الخاصة والعامة في إطار قواعد عامة عقلانية مقبولة منهم على نطاق واسع وموضع احترام من جانب هذه الدولة، وهكذا فمن الناحية السياسية يمكن القول بأن التنمية تعني تواجد الدولة التي تتمتع بالفعالية إلى جانب المجتمع المدني الذي يقوم على احترام حرية الاعتقاد لكافة أفراداه، هذه هي الأبعاد الثلاثة الرئيسية للتنمية الشاملة:

البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي، والبعد السياسي، قد لا يكون البعد الاقتصادي هو أهمها لكنه قد يكون أكثرها تحديدا وتأثيرا على الأبعاد الأخرى.

والدليل على هذا أن التنمية السياسية تؤدي إلى إذكاء روح الابتكار والانتماء والانجاز، الأمر الذي يساعد على تحقيق الاستقرار داخل الدولة ويمكن النظر إلى التنمية السياسية من خلال: أنها تمثل حالة الوعي السياسي، وأنها تمثل بناء المؤسسات وتمثل حالة تحديد ومعرفة النظام السياسي

<sup>1</sup> - اغارد موران، المرجع السابق، ص 80.

<sup>2</sup> - chilcote, théories of développment and underdevelopment op.cit. p 10



### المبحث الرابع: الخلفيات اللامادية لقضايا ومشكلات التنمية:

التنمية لا تقوم على المقومات المادية فقط بل هي تستند على المقومات والمبادئ الروحية التي تتعلق بتكوين الإنسان وفعالية المجتمع وتطوير الاقتصاد والسياسة من منطلق روحي ينمي الجوانب الروحية التي تنطلق من الإنسان وثقافته، أما الجانب المادي فليس غاية تطلب لذاتها وإنما هو انكاس فقط للجوانب الروحية والثقافية والتربوية في الإنسان.

ولقد كان الإنسان يبدو في نظر الفلاسفة في القرن الثامن عشر على أنه طبيعة يمكن تشكيلها حسب الإرادة دون أن يكون له تركيب خاص به، وكانوا يعتقدون أن العقل الإنساني يشبه أن يكون نتيجة ومستودعا من الخواطر الخارجية التي ينكس بعضها فوق بعض، أما القرن التاسع عشر فهو الذي خرج علينا بفكرة التطور وفكرة البيئة، فقد حاولت الفلسفة في ذلك العصر أن تفهم حقيقة الإنسان، وذلك بتحديد موضعه بين الماضي والمستقبل في سلسلة من التطور العام ولقد شكلت هذه الفلسفة بصورة مختلفة جدا، فعند أوغست كونت August Count نرى أنها تبدوا في صورة فلسفة التاريخ، والتكهن بالمستقبل وعند هيجل، تشكل بصورة الجدول التي نرى فيها كيف تنشأ حقيقة الإنسان شيئا فشيئا، في حين أن المذهب المادي كان يترك الإنسان لكي يحى خصائصه في الأشياء الخارجية، نجد أن هذه الفلسفة تجعله عبدا لتطور ليس له عليه أي سلطان، أما فلسفة التطور في أشد صورها ذيوعا لدى العامة، وتعني بها فلسفة التطور عند سبنسر Spencer فإنها أدت إلى نشأة تلك الفكرة الوهمية الخطيرة القائلة بوجود تقدم مطرد في الزيادة وبأن الحاضر خير من الماضي بالضرورة.

أما التمرد على التزعة المثالية هي السمة المميزة للعقل الفلسفي في القرة العشرين وقد عبر هذا التمرد عن نفسه في أشكال عديدة من التفكير سادت في الفلسفة المعاصرة: الماركسية، الوضعية، الفلسفة التحليلية الانجليزية والبراجماتية والوجودية إن تمرد الماركسيون على التزعات المثالية لإغفالها الظروف المادية الاجتماعية والتاريخية للمجتمع، كما تمرد الوضعيون عليها واعتبروا عباراتها فارغة من المعنى وتمرد التحليليون الانجليز على المثالية على أساس من نزعتهم الواقعية، وتمردت الوجودية عليها أيضا لأنها لم تكثرث بالقلق الإنساني والتاريخ والزمان، وهذا التمرد على المثالية هو في حقيقة الأمر ثورة على التزعة العقلية بوجه عام، ولقد شهد العالم في الآونة الأخيرة في حقيقة

الأمر ثورة على التزعة العقلية بوجه عام، ولقد شهد العالم في الآونة الأخيرة تطورات هامة فيها يتعلق بأشكال وأساليب التعليم والتعلم، وهناك اهتمام متزايد بدور الأسرة وبدأ التركيز على الدورات والبرامج التدريبية، فمثلاً نجد سميث<sup>1</sup> أعطى اهتماماً بالغاً للعوامل الاجتماعية والنفسية في تفسيره للفعل الاقتصادي، حيث نقد آراء التجاريين المتمثلة في أن امتلاك الذهب والفضة هما ثروة الأمم، ودعا إلى ضرورة إعطاء الفرد الفرص لتحقيق مصالحه، كما نجد ماركس يؤكد أن العمل هو العنصر الأساسي للحياة المادية في المجتمع ومن خلاله يستطيع الفرد الوفاء بحاجاته الأساسية من مأكّل وملبس ومأوى وقد عبر عن ذلك بقوله "يتعين على الإنسان قبل كل شيء أن يأكل ويشرب" ويعد الإنسان الثروة الاقتصادية الأولى لكل مجتمع من المجتمعات وأساس تقدمه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لأنه محور كل نشاط اقتصادي والإنسان هو كل فرد في المجتمع هو السكان، ولهذا يجب الاهتمام بالمؤسسات التي يكتسب الأفراد من خلالها المهارات والكفايات التي يحتاج إليها وهي الأسرة والمدرسة ومنظمات العمل، وبهذا فإن عملية التنمية الشاملة تعتمد أساساً على كفاءة القوى البشرية باعتبارها من أهم عناصر الإنتاج، كما أن ثروة أي أمة وما لديها من إمكانيات النمو الاقتصادي والاجتماعي تتبع في جانب كبير من قدرتها على تخطيط القوى البشرية ورسم السياسات الخاصة بها وأن تحقيق التنمية لا يتوقف على درجة توافر المداخل القانونية أو التنظيمية، بل إن المدخل البشري هو العنصر الأهم في ذلك فالتركيز على تطوير القوانين والأنظمة والهياكل التنظيمية لا يؤدي إلى تحقيق خطط التنمية، إذا لم يرافق ذلك إحداث تغيير وتطوير في سلوكيات الأفراد واتجاهاتهم وهذا الاهتمام كان محور نظرية العلاقات الإنسانية التي ركزت على الإنسان لهذا تجاوزت التنمية بمفهومها الحديث مفهوم النمو الاقتصادي أو التنمية الاقتصادية لتأخذ منحى آخر يعرف باسم التنمية البشرية، أي ربط العلاقة بين البشر والتنمية، ليس فقط باعتبار البشر عنصراً من عناصر التنمية بل أيضاً باعتباره غاية التنمية ويكون الهدف هو تحسين نوعية حياة الإنسان وضمان توزيع أفضل للدخل وحماية البيئة، أي أن الإنسان هو أداة وغاية التنمية وعلى ذلك تكون التنمية البشرية هي تنمية الناس للناس، ولذلك نجد أن الماركسية والتفسيرات المادية عموماً تخرج الإنسان من حسابها وهي تسجل هذه التقلبات والأطوار والماركسية بصفة خاصة تقيم الاقتصاد وحده إنها منفرداً متصرفاً في أقدار (الإنسان) بعيداً عن

<sup>1</sup> - كمال التابعي، التنمية البشرية دراسة حالة مصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2006، ص 35.

إرادة الإنسان وفطرته واستعداداته وطاقته، فهي دائماً خاضعة لحتمية العوامل الاقتصادية أو ناشئة من هذه العوامل الاقتصادية، فسجد الإنسان سيرفض المذهب المادي (الوصفي أو الحسي) الذي يجعل المادة هي الوجود، ولا شيء غير المادة وقد تحكمت هذه النظرية (علمياً) أو تأكد والذي يجعل الإنسان تابعا للمادة يتلقى منها فقط، ويتكون من انطباعاتها وحدها، عقله وتفكيره وتصوراتها كما يتكون جسمه سواء، مع اعتباره سلبياً تجاه المادة سلبية مطلقة (كانط وزملاؤه)... والذي يجعل تطورات التاريخ في معزل عن ايجابية الإنسان ويردها فقط إلى أدوات الإنتاج ماركس وزملاؤه.<sup>1</sup> كما سيرفض كذلك النظرة الحيوانية للإنسان التي أطلقها (داروين) والنظرة القدرة إلى دوافع الإنسان، وحصرها في حل الجنس كما يزعم (فرويد) وهو يدرس (الشواذ) ويجعلهم هم (الإنسان) كذلك سيرفض منهجنا ما ترتب على هذه النظريات كلها من إقامة الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وإقامة نظام العمل وطرائق أساس إهدار آدمية الإنسان وخصائصه الإنسانية العامة أولاً، وخصائصه الذاتية الفردية ثانياً، وخصائص جنية المتميزين ثالثاً والاهتمام فقط بمضاعفة الإنتاج، وتوفير وسائل إشباع الضرورات الجسدية - فحسب - مع إهدار أشواق الإنسان وحاجاته الأخرى في نظام الحضارة، من جهة للجمال والفن ونشاطه الأدبي والديني، أن يكون الدين هو منهج الحياة الكلي، الذي تنمو فيه كل النشاطات الإنسانية ومنه العمل والإنتاج والسياسة والاقتصاد هو الخلق والسلوك، والصلاة والدعاء، والاتصال بالملأ الأعلى والاتصال بالآلة والإنتاج سواء، وتعديل أوضاع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بحيث تولى كذلك بين الاستقرار الحياة وتوازنها والإبقاء على الخصائص (الإنسانية) و (الفردية) مع الإبقاء.<sup>2</sup>

كما يساهم الجانب الثقافي الفكري في توفير ونشر الوعي في المجتمع لخلق الأجواء المناسبة التي تسهل العمليات الإدارية وتعمل على زيادة الإنتاجية ثم تشجع الاستثمار في الموارد البشرية من خلال استقلال هذا العنصر عن طريق ما يتم توفيره من دعابة تعليمية وصية واجتماعية وثقافية.

<sup>1</sup> - سيد قطب، الإسلام ومشكلة الحضارة، دار الشروق، بدون تاريخ، ص 178.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 179.

حيث يرى ادغار موران **Edgar Moran**<sup>1</sup>. أن فكرة التنمية حتى التي يقال "مستدامة" تجعل من حضارة مأزومة النموذج المحتذى، وهي نفسها حضارة ينبغي إصلاحها، فهي تعيق العالم أن يهتدي إلى أشكال من التحول غير تلك المستنسخة من النماذج الغربية، ونزید في قوة جميع أنواع التغذية الاسترجاعية الايجابية، كما أنها تقود المجتمعات في سبيل تؤدي بها إلى الكارثة، والحال أنه ينبغي تغيير السبيل والشروع في بداية جديدة، وإننا نجد في كل مكان من هذا العالم فائق التنمية وفي العالم السائر في طريق النمو تنمية لأشكال من التخلف غير مستقلة عن التنمية ذاته، وهكذا فلا وجود فقط لتنمية لا تكون إلا تنمية تشير من تلقاء ذاتها أزمة داخل المجتمع، التقاليد والثقافة وليس هناك فقط تسمية تحمل في ذاتها تحلقاً، أي أن تقدمها يحمل ويجلب معه تقهقراً<sup>2</sup>، وبناء على ذلك تبدو لنا التنمية بمثابة واقع متأزم وخرج يحمل في الوقت نفسه ما يحمل من الهدم والابداع، فإذا نظرت إلى عالم الفكر رأيت النهضة وقت أن أصبح الله والطبيعة والإنسان والواقع مشكلات سنطلق استشكال لا ينقطع ولا يتوقف سيكون هو السمة الكبرى للفكر الحديث وصولاً إلى الوقت الراهن، يرافقه بحث محمول عن الأساس فابتداء من اللحظة التي لا يعود فيها وجود لهذا الله الذي هو أساس كل حقيقة يشرع الفلاسفة في البحث ثانية عن القاعدة التي يقوم عليها كل تصور ممكن، لقد بدأت أزمة الحداثة في الظهور منذ أن صار الاستكشاف الناشئ عن الحداثة والمنقلب على الله وعلى الطبيعة، وعلى الخارج ينقلب على الحداثة نفسها فقد بات العلم اليوم يطرح بشقين أساسيين، فهو ينتج معارف جديدة تثور معرفتنا بالعالم وتمدنا بالمقدرات الهائلة لتنمية حيويتنا وتطويرها، لكنه في الوقت نفسه يطور قدرات هائلة للموت من قبل الموت النووي، بحكم الانتشار الذي تعرفه أسلحة الدمار الشامل والتراجع الإنساني في حال تواصل تدهور المحيط الحيوي الناجم عن تنميتها، كما يتحدث المفكر الاسباني **جوردي بيخيم jordi pigen**<sup>3</sup> في كتابه

<sup>1</sup> - ادغار موران واسمه الحقيقي ادغار نعوم، عالم الاجتماع والابستمولوجيا والفيلسوف الفرنسي المعاصر، ولد في باريس 8 جويلية 1921، يعتبر من بين آخر المفكرين والفلاسفة الأحياء في القرن العشرين، والحقيقة أن ادغار موران ألغا خمسين كتاباً في مختلف أنواع الفكر، ومعظم هذه الكتب جاءت تحت ظل فكرة (المنهج) التي كرس لها كل جهده وفكره وهي فمرة ارتبطت لديه أولاً بعلم الاجتماع.

<sup>2</sup> - ادغار موران، إلى أين يسير العالم؟ ترجمة: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص 30.

<sup>3</sup> - جوردي بيخيم من مواليد 30 أبريل 1964 وهو فيلسوف العلوم وكاتب تحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برشلونة في عام 1998 مع أطروحة فكر (ريمون باتيكار) فلسفة الاعتماد المتبادل، من 1998 إلى 2003، وكان أستاذاً ومنسقا بكلية شوماخر بجامعة ليموث في دار لينجون إنجلترا عام 1999، وحصل على جائزة الفلسفة .

pr La opisea occidente modenidad yecosofia

عن تاريخ العالم الغربي وما حققته من اكتشافات وغرائب وهذا يصيب في الخير والشر لهذا العالم، كما وضح في كتابه عن نشأة الاعتراف والإقرار بإتباع العقلانية أو النهضة الغربية المعاصرة ونتائجها المتعددة أدخلنا في متاهة لا مخرج منها.

كما تحدث جوردي بينخم jordi pigen في الجزء الثاني من كتابه عن "احتناق أو غرق المعاصر"

### 1- الإنتاج والاستهلاك<sup>1</sup> p.ropucir yconsumir

\* دين المعاصرة la religion de la moderidad

حيث اعتبر أن هناك أربعة ديانات إبراهيمية، واليهودية المسيحية، والإسلام، النهضة الذي تعتبر كدين المعاصرة، فهذا المصطلح الذي ظهر بتدرج عن طريق العلوم، يتجسد في المعجزات والعجائب التي أحدثتها التكنولوجيا، كالمسيحية النظرة العقائدية للنهضة كانت لها قاعدة ثلاثية يعني: الإله هو واحد من ثلاث أشخاص: الحكمة "متمثلة في الإله الأب" والعلوم "متمثلة في الإله الابن" والاقتصاد "متمثلة في الروح المقدسة" وكان هذا مفهوم لائكي واستعملت الكلمة (دين) كلمة أو مفهوم محكوم عليها بالاندثار أو التلاشي، لكن كانوا يقرون في إقرار أنفسهم بأن هذا الدين هو الاعتقاد الحقيقي الوحيد الموجود، وكان لا يتفقون أو يحتقرون من يخالفهم هذا الرأي، أو الاعتقاد، ومع ظهور التكنولوجيا استبدل مع الوقت دين الاعتقاد بالله بالاعتقاد بالعلوم والتكنولوجيا.

واستبدل حب أو الإيمان (المسح) بالإيمان بالشخصية الألمانية الحقيقية، بعد ذلك أسطورية المسمى (فاوستو fausto أسطورة فاوستو تمثلت في حكاية رجل باع روحه إلى الشيطان أو الجن مقابل مزايا أو منع دنيوية وخيرات أرضية، ومن هنا جاءت فكرة واعتقاد بأن عملية الزرع والحرث (الفلاحة) فتحت الطريق نحو شكل آخر أو طريق آخر يمكن للإنسان أن يربح به الجنة: "الإنتاج والاستهلاك" ومن دعاة هذا الاتجاه الجديد: يمكن أن نجد دعاة لهذا الاتجاه من العصور

<sup>1</sup> - jordi pigen. La odiseade occidenie. Modernidad yecosofia editorrial kairos, numancia, Barcelona, 1993, pp55,56.

الوسطى، وكبار الدعاة لهذا الأمر في حقبة "الثورة العلمية" وبعد ذلك إلى حقبة العصر المزيانيقي.<sup>1</sup> وهذه الحقبة بدأ في القرن المسمى "عصر الأنوار" الذي اشتهر بازدهار وتطور العلم في أوروبا حتى حقبة الثورة الفرنسية: تخطيط واندثار مفهوم اللامساواة (اللاعقل) بين الأمم، والنهوض بفكرة المساواة في الوطن الواحد وفي الأخير تحسين وتطور البشرية وتقترب من عصر اندثار وتلاشي مفهوم الإقطاعية (التي تسمى اليوم بالاستعمار) وانتشرت بعد ذلك في إفريقيا وآسيا مبادئ مثل: الحرية، الحكمة، المعرفة التي كان أصلها أوروبا الدعوة إلى هذا الدين الجديد (النهضة) أخذ أبعاد مختلفة من الفيلسوف الألماني هيغل hegel (1770-1831) وفكرة الهيغا ليس على اسمه، التي كان يعتقد بأن الطبيعة والروح وعلاقتها تكمن في مبدأ واحد وهو الفكرة التي تتطور في مراحل ثلاثة (القضية، ونقيض القضية، والحوصلة أو النتيجة) التي يتحصل عليها كحوصلة أو ملخص في الأخير هو الفيلسوف كانط Kant (1798-1857) صاحب المدرسة الإيجابية والعلوم السوسيولوجية في القرن التاسع عشر ومنشأ المدرسة الفلسفة الإيجابية positivism التي اشتهرت في هذا القرن حتى حكايات وروايات العلوم الخيالية science fictin مروراً بالعشرينات الثلاثة للرأسمالية تحت عنوان "التحالف من أجل النهضة" لكن كان هناك في نفس الحقبة انقسام يسمى بالماركسية التي تبنت فكرة النظام الإيديولوجي بدون أن تتخلى عن فكرة الاشتراك مع الحقائق والاكتشافات التي أتت بها التكنولوجيا، والنمو الاقتصادي الغير محدود والإنتاج الصناعي للاشتراكية أو (الكومونيزم) كما أعلن عنه الحزب الاشتراكي في 1961 يتجه نحو تأسيس السلام على الأرض، العمل، الحرية، المساواة، الإخوة، والسعادة لفائدة كل الدول، كلنا الاتجاهين أو النظريتين (الماركسية والرأسمالية) دخلا في حروب دينية (اعتقادية) باردة وساخرة، لمن احتفاظا بالإيمان بالقواعد الأساسية أو القاعدية للنهضة، ومن هنا وفي هذه النقطة التقيا في الفكرة الأساسية: "الإنتاج والاستهلاك" هم عظماء الكهنة دين النهضة الذين تولوا إدارة المعابد الجديدة لهذا الدين الجديد (النهضة) تولوا مراكز الطاقة، شركات المتعددة الجنسية، مراكز البحث، المركبات الصناعية، القواعد العسكرية، البنوك ومختلف المقرات السلطوية، واتخذوا الكهنة الصغار كمراقبين للتقنيين والعلماء والبيروقراطيين (الموظفين) ويسهرون على السير الجيد لهذا النظام الجديد.

<sup>1</sup> - المزيانيقي: الاعتقاد بوجود زعيم واحد يحرر المجتمع أو الناس من الشر، ص 57.

وأختيرت طبقة من الشعب وهي طبقة الأغنياء وفضيلة أو ميزة أي إنسان أو شخص كانت تقاس بحجم حسابه البنكي، وكاعتقاد الإله الجديد "إله النهضة" كان يعتقد بأن الفقراء وجدوا فقراء بسبب غرابتهم أو شذوذهم عن هذا المجتمع الذي يؤمن بالرأسمالية (الأغنياء) وبسبب تأخرهم، لكن إيديولوجية "الإله النهضة" لم تتقبل أو يعترف بها أبدا كديانة، ومن هنا فقد كان الاعتقاد أو التوجه قناع الامتياز (عدم الوقوع في الخطأ) أو الكمال، كما كتب adomo "يكون جزءا من ميكانيزم أو مفهوم الاحتلال أو الاستعمار، فكرة المنع أو التحريم الذي يعرف بالألم أو المعاناة التي يسببها"<sup>1</sup>

يعني لا توجد عبودية بدون غش أو خداع، نوعا ما أو على الأقل خداع ناعم (خفي) لكن إذا كانت "النهضة" لم تتقبل كديانة (التي أنشئت الثقافة التي وصلنا إليها)

أنشئت علماء الافتراضية والتجربة لحد الآن، الاعتقاد بمفهوم النهضة المادية اللامحدودة، والاعتقاد بالعلوم كحقيقة وحيدة وبالتكنولوجيا كطريق للنجاة أو انقراض البشرية، وبالاستهلاك كطريق نحو السعادة، ويتساءل الفيلسوف ماركس عن النهضة كمخدر dragne للشعوب؟ وتيتشه neitgche اعتبرها "كأكذوبة قهاجم أو تهجمت على الحياة" واعتبرها الفيلسوف فرويد freud "كوهم أو هلوسة طويلة؟"<sup>2</sup>.

ولقد جاء عصر الأنوار بعد ما كان من الانفجار الذي تعرضت له النهضة ليكون لحظة مركزية في تاريخ الفكر الأوروبي، لهذا جاء الفكر الماركسي خاصة بإعادة إحياء فكرة التقدم ومع بداية القرن العشرين كان التفكير في الكون يصطدم بمفارقة فمن جهة كان المبدأ الثاني لعلم الدينامية الحرارية يشير إلى أن الكون تنامي الاختلال العام أي نحو الاختلال الأقصى، ومن جهة أخرى ظهر أن الأشياء داخل نفس الكون، تنظم وتتعدد وتتطور<sup>3</sup>، إن العقلانية هي اللعب وهي الحوار الدائم بين فكرنا الذي يخلق بنيات منطقية، ويطبقها على العلم ويتجاوز مع العالم الخارجي وعندما لا يكون هذا العالم متطابقا مع نسقنا المنطقي، يجب الإقرار بأن نسقنا المنطقي غير كامل

<sup>1</sup> - المزياتيقي: الاعتقاد بوجود زعيم واحد يحرر المجتمع او الناس من الشر ، ص 57.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 58.

<sup>3</sup> - مروان ادغار، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصور ومنير الجحومي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،

الطبعة الأولى، 2004، ص 62.

وبأنه لا يعالج سوى جزء من الواقع كما يقول شكسبير **Shakespeare**: "يوجد من الأشياء في العالم ما لا يوجد في فلسفتنا كلها"<sup>1</sup>

كما يدعوا ادغار موران Edgar Moran إلى "ضرورة التكامل المعرفي بين العلوم التي تتناول الإنسان موضوعا لها" أي "فكرة مركب" منفتح على مختلف الأبعاد وقادرا على أغناء الإنسان بكل تناقضاته، فكر قائم على "الحوارية" تستوعب التناقضات في تصارعها وتكاملها، أي يريد ادغار موران تطبيق الفكر المركب والتعقيد كوسيلة وكأسلوب وكمناهج للتعامل مع الظواهر البشرية، ولا شك أن العصر الذي تعيش فيه هو عصر كوكبي بامتياز، ومن هنا ينبغي أن نربط بين أخلاق الفهم والعصر الكوكبي، الأمر الذي يستدعي بالضرورة الدعوة إلى عالمية الفهم، من هنا يرى موران أن على الثقافات المختلفة أن تتعلم من بعضها، وعلى الثقافة الغربية التي فرضت نفسها كثقافة معلمة أن تصبح ثقافة متعملة أيضا<sup>2</sup>. إن القرن العشرين فإن ما أسموه الحداثة منطلقا يتمثل في تطورها هائل للعلم والتقنية والصناعة والرأسمالية، وهي تشكل مجتمعه المحركات الأربعة للمركبة الفضائية الأرض، أما من جهة أخرى فإن العلم الكلاسي الذي كان إلى مطلع القرن العشرين يقوم على مبدئين: أولهما مبدأ الاختزال فالمعرفة مجموع ينبغي اختزاله إلى أجزائه، بمعنى فصل المعارف عن بعضها البعض إن الإستمولوجيا المركبة هي وحدها قادرة على تمثل الوجه الجديد للعالم الذي هو أساس في جذريته الأولى عالم مركب ودينامي وصدفوي ومتنوع ومتحول ولا نهائي، ذلك أن اختزال العالم داخل بنيات متعالية وعذرية وشمولية تقدم كبديهييات طبيعية أو دينية أو كشرعيات تاريخية أو حتى حداثة، يقضي إلى تشويه وجه العالم، إن مهمة الفكر المركب هي تغيير هوية العالم، من الواضح فهم العالم التي لا توجد في أي علم (الأدب، الفيزياء ابستمولوجيا، الكيمياء، البيولوجيا...)

إن المجتمع يكون له مجال ترابي يشمل على نظام للتواصل، وكوكب الأرض يتمتع بنسيج من أشكال التواصل (الطائرة، الهاتف والفاكس والانترنت) والمجتمع يمتلك اقتصادا وهذا الأخير قد أصبح اليوم عالميا لكن تنقصه اكراهات المجتمع المنظم (القوانين والحقوق وأشكال المراقبة) والمؤسسات العالمية الحالية، والمجتمع لا يمكن فصله عن الحضارة، وتوجد حضارة عالمية منحدره

<sup>1</sup> - مروان ادغار، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، المرجع السابق، ص 72.

<sup>2</sup> - موران ادغار، تربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق، منير الحجوجي، دار ويقال النشر، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 97.



من الحضارة الغربية تتطور ويتفاعل العالم والتقنية والصناعة والرأسمال، وتشمل على عدد من القيم المعيارية.<sup>1</sup>

### \* النهضة كمواصلة أرضية:

وهي ديانة النهضة واعتقادها الثلاثي في الحكمة، العلوم، والسوق، لا ترجع فقط الى المسيحية، لكن اشتقت منها المسيحية وأدرجت لأول مرة للفكرة الغرب في أغلب الثقافات التي مضت، وهي بأن الوقت ليس دائري (أي لا يعود مرة أخرى إلى نفس النقطة)<sup>2</sup> بل هو مستقيم أو على شكل استمراري، لأنه يستمر نحو مسار مستقيم، لا يعود مرة أخرى حتى عند اندثاره وتلاشيته نهائياً أو انقضاءه ويبدأ بولادة المسيح عيسى عليه السلام...

ولا تكمن المشكلة في الكفاء والتحويلات المناخية التي تتعرض لها المجتمعات التي ما زالت عتيقة، والتخلف ليس فقط ناتج عن التأخر، إنه أيضاً ناتج عن عملية إنشاء عتيقة لنموذج غربي للتقدم خارج الشروط التاريخية والثقافية والتقنية، التي كانت تنتمي إلى التقدم الغربي، وبالتالي فهو نموذج مجرد ومفروض من الخارج، نموذج تقني بيروقراطي لا بدى إلا الآلة الصناعية ولا يرى أبدا الإنسان، الذي تكون كفاءاته الأولية ضرورية لعمل الآلات والذي ككون ثقافته الأولية غير قادرة على التمكين من عالم تقني موضوع تحت ضغط القياس الزمني.

وفي الوقت نفسه، يعتبر تنامي التخلف لمدن الصفيح، ولتنامي الهجرة وعملية الانفصال عن الثقافة لملايين الأفارقة والآسيويين والجنوب أمريكيين هو المنتج المباشر أو غير المباشر لتطور مناطق صناعية منعدمة، لكن هذا التقدم ذاته الذي يتحقق في داخل هذا المناطق الصناعية المتقدمة، لا ينتج فقط البحبوحة والعيش السعيد، انه ينتج بشكل متزايد الضيق والضرر.

أما بالنسبة لفكرة **جوردي بيخيم** في جزء من كتابه *jandi pigem buena* postmaterialista, editorial "اقتصاد يجعل الناس تهم"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ادغار موران، هل تسيير الى الهاوية ؟ المرجع السابق، ص 67.

<sup>2</sup> - jardi pigen lao disebe occidente, ibid, 59.

<sup>3</sup> - pigen jordi, buena postmaterialista, editorial kaeros, Barcelona, 2009, p88

ترجمة، راکة عمر: أستاذ بجامعة تبارت.

حيث يعتبر جون ماينارد كاينس John Maynard Caines وهو أهم اقتصادي في القرن العشرين من خلال تعدده فيحدد أن هناك ثلاث أجيال كلها تقلل من القيم الاقتصادية، حيث قمنا بتدمير جمال البوادي لأن روعتها الطبيعة غير مستغلة، وبالتالي فهي نظرننا دون قيمة اقتصادية حينها ستكون قادرين على إطفاء نور الشمس وبريق النجوم لأنها لا تقدم لنا أية أرباح اقتصادية، كما تحدث المؤلف في هذا الجزء من كتابه حول "الاقتصاد جزء من المجال الحيوي" كما يشير كارل بولاني أن الاقتصاد كان ولا يزال هو المحرك الأساسي لحياة البشر على جميع الأصعدة، ثقافيا واجتماعيا بل إن الاقتصاد الشامل هو المجال الحيوي بنفسه وبدونه لن تكون هناك حياة، في بعض الثقافات يعتبر عبادة الله أو الإلهة أو التناغم أو العيش بسلام مع الطبيعة هي الغاية الأسمى للمجتمع، لكن في مجتمعا الغاية الأسمى هي استغلال باطن الأرض ومقدراتها ولا يهم إذا ضحينا بجميع الأمور الأخرى، إن الاقتصاد المعاصر حقيقة هو دين عالمي فالصلاة فيه تقود إلى جنة جديدة تقوم على الإنتاج والاستهلاك، وكما يقول دافيد لوي David Lowe: "إن العلوم الاقتصادية لا تعدو كونها ثيولوجيا الدين الجديد، وهو دين مليء بالأقيون للشعوب"، وعلى قول ماركس كذبة تهاجم الحياة على تغيير نيتشه، وهو أيضا أصل طفولي كما يقول فرويد، وهو نوع من خداع الذات حيث حاليا تقوم بدفع التكاليف.

ولقد اشتملت فكرة التنمية على الدوام على أساس تقني واقتصاد يمكن قياسه بمؤشرات النمو الدخل، وتفترض هذه الفكرة على نحو ضمني "أن التنمية التقنية والاقتصادية هي الظاهرة التي من الطبيعي أو تجد وراءها "التنمية الإنسانية" التي يعتبر نموذجها الكامل والناجح هو الذي تمثله البلدان المدعاة متقدمة أو غربية، ولذلك فالتنمية هي تبدو في ظاهرها مفهوما عموميا يشكل أسطورة نموذجية المركزية الثقافية الغربية ومحركا للتغريب المجنون وأداة لاستعمار (المخلفين)...(الجنوب) من طرف الشمال، وإذن التنمية وهي تعتبر شيئا خيرا وإيجابيا، تنطوي على كل ما هو إشكالي وضار ومهلك في الحضارة الغربية".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - ادغار موران، هل تسير الى الهاوية؟ ترجمة: عبد الرحيم حزم، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 76.

حقا إن التنمية تحمل أشكالا من التقدم العلمي والتقني والطبي والاجتماعي، يبدو أنها تحمل كذلك أشكال من تدمير المجال الحيوي وضروبا من التدمير الثقافي وأوجها جديدة من التفتات وصنوا جديدة من العبودية.

إن تحقيق مفهوم التنمية الشاملة يعني عملية النهوض الشامل للمجتمع بجميع مكوناته وأطيافه، حيث يشمل هذا النهوض المقصود بكل ما يؤدي إلى "تنمية لقدرات الإنسان المادية والعقلية" وفتح الباب واسعا أمامه لاختيار أنه مما يساعده على تحقيق آماله وطموحاته ورفع مستوى معيشته وحدوث الوفرة المنشودة من وراء عمليات التنمية المتتابعة، فالتنمية هي الوجه الآخر للعمولة الاقتصادية تخلو مثلما تخلو هذه العولة من أي تقنين، إن التنمية نتاج ومنتج للسلسلة المتأني عن المراقبة العلم التقنية، الاقتصاد، الربح، وإن كل من الشرق والغرب تتحدهما عوامل مأزومة، والعالم الثالث الذي يظهر الوجود بفعل حركة الاستقلال يزداد تخلقه عمقا فنقص عدد وفيات الأطفال وتفكك اقتصاديات المجتمعات التقليدية وتدهور التوازنات البيئية والثقافية والسوسيولوجية الذي أنتجته التقنية الجاهلة، وهكذا يبدو أن أزمة الحضارة فيما يخص المجتمعات الغربية وأزمة الثقافة، وأزمة العائلة، وأزمة الدولة، وأزمة الحياة الحضرية، أزمة الحياة القروية... الخ، هي جوانب متعددة لكيان مجتمعاتنا الذي يبدو كيانا مأزوما وهي مجتمعات تهددها هذه الأزمة، لكنها مجتمعات تتغذى منها.<sup>1</sup>

وفي الأخير فإن عولة الأمة التي اكتملت في أواخر القرن العشرين قد باتت تضفي على كوكب الأرض سمة مشتركة حضارية وثقافية، إلى سياسة تلتزم لتكون مجتمع عالمي، لا في صورة اكتمال كوكبي لإمبراطورية هيمنة، كما أن مهمة السياسة الحضارية أن تطور أفضل ما في الحضارة الغربية وعليه يجب على المجتمع العالمي حل مشكلاته الأساسية ومواجهة المخاطر العظمى التي تهدده يفرض به أن تتوفر له سياسة للإنسان وسياسة للحضارة.

<sup>1</sup> - ادغارموان، إلى أين يسير العالم؟ المرجع السابق، ص 25.

# الفصل الثالث

## العلاقة الجدلية بين المادية والتنزية "البعد النظري في علاقته بالبعد المعلي"

البحث الأول: مزالق و سلبيات المذهب المادي الصرف في تحقيق التنزية الحضارية

البحث الثاني: ايجابية وفعالية المذهب المادي ( الروحي/ العقلائي) في تحقيق التنزية الحضارية

البحث الثالث: التنزية الروحية أساس التنزية المادية " الثقافة تسبق الحضارة و تؤسس لها"

## المبحث الأول: مزالق وسلبات المذهب المادي الصرف في تحقيق التنمية الحضارية

تتحدّد المفاهيم المتعلقة بالأزمات وفقاً للبعد الذي تتناوله هذه المفاهيم المتعلقة بسلبات المذهب المادي الصرف في تحقيق التنمية الحضارية، نظراً لارتباط مفهوم الأزمة بأكثر من بعد منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو ثقافي ومنها ما هو اقتصادي كما يختلف الإطار الذي تشمله الأزمة وحدودها، فمنها ما يتعلق بالأزمات الداخلية التي تلقي بآثارها على النظام الداخلي للدولة، ومنها ما يتسع نطاقه ليلقي بتأثيره على النظام الدولي، برمته وبذلك يتسع المفهوم ليشمل الأزمات الداخلية وينتهي بالأزمات الدولية، ويبدو أن تعدّد أشكال المنظومات المعرفية والمنظومات القيمية الشاملة وصلتها بالمشروع الحضاري الشامل واختلاف المواقف منهما أمران تاريخيان، وأتّهما يتفقان في كلية الشكل الذي عرفت به الظاهرة الفلسفية، ويثبت خصوصيته لبعض الحضارات، بل ولبعض الحقب منها، فتاريخ هذه الأشكال يبين أن منظومات المعرفة الفلسفية في صورتها الموروثة عن اليونان شكل متأخر من المعرفة الإنسانية هو شكل لم يدم طويلاً على الأقل في أسلوبه الذي ساد منذ أول فلسفة تامة تمثلها أفضل تمثيل فلسفة أفلاطون Plato وأرسطو Aristotle.

"لقد ساهم رجال الدين بدورهم في اكمال صورة العصر الاقطاعي الغربي، فنشروا بين عامة الناس قيم الزهد، وصوروا حياة الإنسان على هذه الأرض بأنها مرحلة عابرة لا ينبغي أن يوليها اهتماماً كبيراً ومن ثم كانت أفكارهم منصرفة عن هذا العالم زاهدة فيه، ولم تكن لأوجه النشاط المتعلقة بهذه الحياة من قيمة سوى أنها تهيئ الإنسان للحياة الأخرى الباقية، على أن هذه القيم كانت في واقع الأمر موجهة نحو عامة الشعب أعني نحو أولئك الذين يريدون رجال الدين في ذلك العصر"<sup>1</sup>، فكان الكثيرون منهم يعيشون حياة لا صلة لها على الإطلاق، بما يدعون الناس إليه، إذ أنهم كانوا يستمتعون بكل مناهج الحياة، ولم يكن إصرارهم على تأكيد قيم الزهد إلا تغطية لنمط حياتهم الذي كان أبعد ما يكون عن الزهد، المهم في الأمر أن انتشار أفكار الخضوع والولاء والرضا بالقليل، كان يرجع إلى تأثير رجال الدين بقدر ما كان يرجع إلى تأثير النبلاء الإقطاعيين .

أولى هذه المشكلات هي أن القول بوجود تفكير سائد يتلاءم مع كل نظام من النظم الاقتصادية، ولما فهم على أنه يعني صيغ التفكير في كل مرحلة من مراحل التطور الاقتصادي

<sup>1</sup> - فؤاد زكريا، آفاق الفلسفة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988، ص 24.

بصيغة نمطية موحدة، أي أنه يعني أن المفكرين في العصر الاقطاعين مثلاً يتميزون بسمات عقلية واحدة، يمكن الاهتداء إليها عند كل منهم على حدى، وعلى أن هذا الفهم بعيد كل البعد عن الصواب، فضلاً عن أنه فهم يكذبه الواقع نفسه: ذلك لأن كل عصر يتميز بتباين فكري شديد، سواء على مستوى المثقفين الكبار أم على مستوى الأشخاص العاديين أنفسهم وعلى ذلك فنحن حينما نتحدث عن الإطار لعصر من العصور، أو عن نوع الثقافة الذي يتلاءم مع نظام من النظم تعني في الواقع أهم السمات الفكرية المشتركة، التي تلفت أنظارنا أكثر من غيرها حينما ندرس ذلك العصر، ولكن لا يتعين أن تكون هذه السمات موجودة بجذورها عند كل مفكر على حدى، وليس من الضروري أن تكون عقول الناس كلها في ظل ذلك النظام، مصحوبة في قالب فكر واحد.

والمشكلة الثانية هي: "أن الرابط بين النظم الاقتصادية وبين الجوانب الفكرية لحياة الناس في ظل هذه النظم قد يوحي بأن هناك تأثيراً مباشراً للنظم الاقتصادية في الحياة الفكرية، ولما كان الاقتصاد يهتم بالأسس المادية لحياة الناس، فقد يفسر هذا الرابط بأنه يعني الأخذ بالتفسير المادي المباشر والآلي للفكر الإنساني، بحيث يعد هذا الفكر نتيجة مباشرة للعلاقات الاقتصادية السائدة في مرحلة معينة، وتؤدي هذه العلاقات الاقتصادية إلى إنتاج أفكار الناس ومثلهم العليا وقيمتهم مثلما تؤدي الآلات إلى إنتاج السلع وهذه المشكلة بين الجانبين المادي والمعنوي في حياة الإنسان تثير موضوعاً معقداً مما يمكننا القول أن كل الجوانب المادية ومن أهمها الاقتصادية لها تأثير على أفكار الناس أي الجوانب المعنوية للحياة البشرية"<sup>1</sup>.

لقد ارتبطت مفهوم الحضارة ارتباطاً بالجانب المادي مثلما ارتبطت بالجانب الموضوعي "إلا أن البعض يجعل الماديات تأخذ بالقدر الوافر وهو بصدد عملية التعريف، ولعله مما يؤيد هذا المذهب ابن خلدون، وهو أول من تحدث عن فلسفة التاريخ وأرسى قواعدها، وكما يستخدم مصطلح العمران البشري، وكأنه يعني به الحضارة"<sup>2</sup>، أي أنه انطلق من معطى مادي ليعبر به عن معطى معنوي، فقد سار في نقى العمران البشري وهو يعلم أنه يستخرج منه على ساحة الحضارة،

<sup>1</sup> - فؤاد زكريا، المرجع السابق، ص 10.

<sup>2</sup> - فضل الله محمد إسماعيل وعبد الرحمن خليفة، المدخل في الإيديولوجيا والحضارة، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، مصر، 2006، ص

في حين لا تنشأ الحضارة حسب ألبرت اشفيتسر **Albert Aschwitzer** (1875-1965) **albert schneitzer** إلا إذا عزم الناس على بلوغ درجات الرقي، واجتهدوا في التفسير نحو الأفضل، وفي الأخلاق فقط نجد الوازع القوي إلى هذا العمل حيث قال اشفيتسر: "إن النظرة الأخلاقية إلى الحضارة وإن جعلتني كأني غريب وسط الحياة العقلية في هذا العصر، فإني أعلنها بوضوح وتردد، أننا لن نفلح في إعادة بناء حضارتنا على أساس ثابت وطيد إلا إذا تخلصنا نهائياً من الفكرة السطحية السائدة فيه، ثم نأخذ من جديد بالنظرة الأخلاقية التي سادت القرن الثامن عشر"<sup>1</sup>. أي أنه لا بد من جعل الأخلاق الركيزة الأساسية التي تقف عليها الحضارة الإنسانية وليس المادة لما لها من سيطرة عصر المادة ما يتسبب في انهيار العلاقات الإنسانية القائمة على القيم والأخلاق بالدرجة الأولى، والوضيعة التي يتخبط فيها الإنسان في الوقت الراهن.

منذ أيام آدم سميث **Adam Smith** لم تخرج البشرية إلا القليل من المفكرين الاقتصاديين العظام والنظريات السائدة التي لا تفسر كل شيء، وتحديدًا يواجه المفكرين الاقتصاديون في زمننا صعوبة بالغة في تفسير سوق العمل والانخفاض في نمو الانتاجية منذ مطلع السبعينات إلى مطلع التسعينات، لكن يوجد بين المفكرين الاقتصاديين قدر كاف من الإنفاق على أن الدول والأفراد الذين يتجاهلون القواعد الأساسية للنظرية الاقتصادية يرتكبون حماقة شديدة. "إن الدولة التي تضع العوائق أمام التبادل التجاري في حين للموكتنبلية المستقرة تؤدي مواطنيها المستهلكين أنفسهم، والدولة التي تبقى أسعار منتجاتها الزراعية مرتفعة تؤدي المستهلكين داخلها، ويتكون لديها فائض من الحبوب يتلف في المخازن لن يختلف إلا قليل من الاقتصاديين على الأفكار، لكن قليلاً للغاية من الساسة هم سيستمعون إليها، وحتى لو لم تأخذ الحكومات دائماً بنصيحة المفكرين الاقتصاديين فلا يزال بإمكاننا أن نلجأ إلى المفكرين الاقتصاديين لكي يخبرونا بالمستوى إلحاحاً لمعيار معيشتنا"<sup>2</sup>، وإن الفساد موجود في أي مجتمع سواء كان شيوعياً أم رأسمالياً غير أن الاقتصاديات المشبوهة تنتشر على صعيد عولمي، وعلى النقيض من ذلك الفساد المائل في كل المجتمعات والذي يتواجد جنباً إلى جنب مع مجموعة من القيم التي تمارس تأثيراً مضاداً عليه، فإن الاقتصاديات المشبوهة تفرض نمط حياة معوجاً يلحق الضرر بالجميع على حد سواء بغض النظر

<sup>1</sup> - ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي: دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص 40.

<sup>2</sup> - تودجي باكلوز، أفكار جديد في الاقتصاديين الراحلين، ترجمة كوثر محمود، محمد حسين التلاوي، بدون دار النشر، بدون سنة. ص32.

عن أماكن عيشنا، سواء في الدول النامية أو المتطورة، فإن الاقتصاديات المشبوهة تعيد تشكيل حياتنا الشخصية ولا تكتفي بأن تملي علينا كيف نحيا وحسب، بل تملي علينا كيف نموت أيضا، كما يتميز التاريخ الغربي بأنه تاريخ مثالي وثقافته تستند إلى الصياغة النظرية للنمط في كتابه الجمهورية، يستخلص أفلاطون Plato ما يعتبره الشكل المثالي للحكومة باستخدام الأساطير والصور الخيالية التي لا تمتد إلى الواقع بصلة وحالما يتم إنتاج مثل هذه الحكومة سيتم تطبيق النمط المثالي في أنحاء العالم، سيرا على خطى أفلاطون فإن الفلاسفة الغربيين كافة يحتاجون أنه طالما يمكن صياغة مفهوم ما فكريا إذ أنه موجود في العالم الواقعي، ويمكن بالتالي تنفيذه والتعرف على عملية التنفيذ<sup>1</sup>.

ما يميز جهد حسين مروة<sup>2</sup> (1908-1978) في "الترعات المادية" الذي يعد التمثيل الأسطح لمنهجه في قراءة التراث الفكري العربي الإسلامي هو الشمولية والاتساع، وقراءة الفكر في ضوء المنهجية المادية والتاريخية، بعد قيامه بإجراء مسح أولي للواقع الاقتصادي والاجتماعي للعصر الوسيط، منذ ما قبل نشوء النظر الفلسفي في عصور الجاهلية الأولى، ومن ضمن المعارف المتنوعة التي تعلق بها مروة وقادة إليها في العلم ورغبته الأشد في الإجابة عن الأسئلة المختلفة التي كانت تلي على عقله وفكره.

كان الفكر المادي المتمثل في مجلة (العصور) المصرية المعروفة باتجاهاتها المادية، ثم النتاج الطبيعي لشباني شميل الذي قدم إلى الفكر العربي والثقافة العربية أول مرة نظرية التطور الداروينية بكل ما تعنيه هذه النتائج من إسهام فهي التأسيس لمنهج التفكير في لغتنا وثقافتنا كما أنه يعتمد على النظر المادي، ويقوم على استيعاب أوليات القوانين الكونية لحركة تطور الطبيعة والمجتمع.

ولكن مروة لم يلتق بماركس Marx إلا بشكل عابر وخاطف على الرغم من قراءاته الدؤوبة المتنوعة، بمعنى أنه كان بعيدا عن (الماركسية). بمفهومها المنهجي والنظري وكان أول لقاء له مع ماركس قد تم في العام 1926م. من خلال (رواية فرح أنطون) (الدين والعلم والمال) وهو

<sup>1</sup> - على مولا، الاقتصاد العالمي الحي، ترجمة: لبنى حامد عامر: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص 109.

<sup>2</sup> - حسين مروة مفكر لبناني، وقيادي في الحزب الشيوعي اللبناني، جرس في النجف في الحجوزات العلمية الشعبية، وتحول ال الماركسية اغتيال في بيروت سنة 1978 من كتبه: "الترعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، تراثنا كيف نعرفهن دراسات في الفكر والأدب، وعلى الرغم من أن شخصية حسين مروة السياسية طغت على جانبه الفكري، إلا أنه يتميز بكونه رائد المشاريع التراثية في الفكر العربي المعاصر.



عمل أدبي ذو بعد فلسفي اجتماعي اقتصادي يعالج العلاقات الطبقية المتناقضة بين العمال وأرباب العمل، لكن مروءة يكشف عن أنه حاول الوصول قبل ذلك إلى ماركس (الماركسي) من خلال كتابه (رأس المال) لكن محاولته لم تكن ذات نتائج مكتمل، بسبب أن الكتاب كان أقرب إلى أن يكون تلخيصاً غير موفق لـ (رأس المال) الأصلي، بعد (البيان الشيوعي) طلع مروءة على كتاب لينين (الدولة والثورة) ويذكر أنه سأل مروءة الشهيد الشبيبي في قضية وطنية كانت قضية الساعة في الأوساط السياسية العراقية حينذاك) فأخذ يبسط لي رأيه باستقائه مستشهداً خلال ذلك بمواقف ونصوص من لينين: أذكر أنني اعترضته متسائلاً: اللينينية هي الماركسية مطبقة على الواقع الملموس تطبيقاً ابداعياً تميز به لينين في عصر الثورة الاشتراكية العلمية المتحققة على الأرض بالفعل، وقد شكل دخول ماركس حياة حسين مروءة في المرحلة النحفية امتزاجاً بين ثقافة التراث وثقافة المعاصرة، بين ثقافة الفكر الديني والفكر العلمي.

\*معايير التزعات المادية وتحديداتها: بماذا تقاس التزعات المادية، وكيف يمكن تصنيفها تاريخياً؟

إن صعوبة الإجابة عن هذا السؤال لم يمنع مروءة من مقارنة تحديد أولي لهذا الأمر الذي يتأسس على الاقرار بتداخل التزعات المادية في شبكة النسيج المثالي نفسه، وعدم استقلالها.

"وهذا من شأن التزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية كذلك" بحسب مروءة الذي يعترف أن "المادية وجدت دائماً ضمن النسيج المثالي للفلسفات السابقة، كما وجدت المثالية ضمن فلسفات الماديين السابقين لماركس" ويقرر مروءة، فضلاً عن ذلك بالصعوبة في تحديد ما هو ذو نزعة مادية، أو ما هو مثالي صرف وتتمثل هذه الصعوبة في تراكم التناقضات في المنظومة الواحدة لكل واحد من ممثلي الفلسفة الإسلامية، هذه التناقضات التي أعطت الباحثين البرجوازيين والمستشرقين الغربيين الحجة في فرض الكثير من المزاعم الباطلة عن تراثنا الفلسفي، كمثال النعم بأن الفلسفة العربية الإسلامية توفيقية أي تقول بالتوفيق بين الدين والفلسفة، أو بين الحقيقية الدينية والحقيقية الفلسفية<sup>1</sup>، ويعتبر حسين مروءة أن "المنهج المادي التاريخي" الذي يرى أنه الوحيد المؤهل لكشف "العلاقة الواقعية الموضوعية" غير المباشرة بين القوانين الداخلية لعملية الانجاز الفكري وبين القوانين العامة لحركة الواقع الاجتماعي.

<sup>1</sup> - د. موسى برهومة، التراث العربي والعقل المادي، قراءة في فكر حسين مروءة، ط1، 2017، ص 30.

ويمثل النموذج المادي التاريخي في التصور الماركسي المؤلف لمراحل تطور المجتمع البشري وأثرها في تشكل المجتمعات وأنساقها الثقافية، فلكل مرحلة من هذه المراحل (العبودية، المجتمع الإقطاعي، الرأسمالية) فلسفتها كما أن تاريخ الفلسفة كله محكوم بالصراع الدائم بين التزعتين المثالية والمادية، من حيث كونها تعبران عن مصالح طبقية، وتعكسان الصراع الطبقي القائم اجتماعيا على الأرضية النظرية<sup>1</sup>.

وتتميز المادية بكل أشكالها بالقول بأسبقية العالم المادي على الوعي، في حين نرى المثالية بكل مدارسها أسبقية الوعي على المادة، كما تعكس كل نزعة مادية طبيعة النظام الاجتماعي المعاصر لها، وتحمل سمته الخصوصية حيث يعتبر حسين مروة أن التزعة المادية في الفلسفة العربية الإسلامية التي يعتبر أنها تماثل مادية القرون الوسطى الأوروبية "من حيث أنها كانت تتخذ أشكالا غامضة بين كتابات الدراسات اللاهوتية الإسلامية، فهذا الغموض ناتج عن التدخل بين أسلوب الإنتاج الإقطاعي واختلاط الميتافيزيقا والممارسة التجريبية في العلوم الطبيعية<sup>2</sup>.

إن الوظيفة التي طمح حسين مروة إلى تحقيقها من خلال البحث عن التزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، التي تتمهد إلى تأكيد أن دراسة التراث بأدوات المنهج العلمي من شأنها أن تمنح حركة التحرر العربية بحسب الطيب تيزيني<sup>3</sup>. قوة دفع تتحول بموجبها (القضية التراثية إلى جزء من البرنامج الرئيسي للأحزاب السياسية الثورية) بينما يخشى محمد أركون بسبب ذلك من (طغيان إيديولوجية الكفاح الذي أصبح في الفكر العربي المعاصر من أشد العراقيل المعرفية، وأخطر النتائج على مصيرنا)<sup>4</sup> بخلاف تيزيني الذي يرى أن استثمار القضية التراثية سياسيا ينطوي على "هاجس الحفاظ على التراث الغربي العظيم، وتحويله إلى واحد من الروافد العظمى للفكر العربي المعاصر في آفاقه المستقبلية الراهنة" في سياق مزجي عميق بين مشروعية الفكري

<sup>1</sup> - السيد ولد أباه: إعلام الفكر العربي، مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت 2010، ص 41.

<sup>2</sup> - السيد ولد أباه، المرجع نفسه، ص 43.

<sup>3</sup> - الطيب تيزيني (1934) مفكر سوري، درس الفلسفة في ألمانيا، أستاذ في جامعة دمشق، وكاتب غريز الإنتاج، من كتابه مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، من التراث إلى الثورة، الفكر العربي في بواكير وآفاقه الأولى، من يهود إلى الله... الخ، كما ينطلق تيزيني من خلفية ماركسية تقليدية صريحة (التحليل المادي الجدلي) في قراءته للتراث وفي مشروعه الإيديولوجي لتعويضه ب (الثورة) الاشتراكية التي اعتبرها الأفق التنويري التحديثي للمجتمع العربي (بيان في النهضة والتنوير صدر سنة 2005).

<sup>4</sup> - محمد أركون وآخرون، التراث وتحديات العصر في الوطن العربيين مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط 1، 1985، ص 208.

والسياسي، يتصدى بحسب تيزيني في "التحليل الميداني الدقيق لمرحلتنا المعاصرة" ولعل أركون كان معييا إلى حد بعيد في خشيته؛ فالإيدولوجيا عائق للسير أمام فهم التراث، إذ سعى أصحابها إلى حمل هذا التراث على التطابق مع إيديولوجيتهم، بغية التواصل إلى غايات سياسية أو نضالية، ولا يقتصر النقد الذي تشير به (الترعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية) على نقد التوظيف النضالي للتراث الذي بوأه مروة مقاما ساميا في سلم جهوده البحثية.

كما يعالج طيب تيزيني في عمله "مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط" من خلال استخدامه تطبيقات المنهج المادي التاريخي مشكلة التراث الفكري واضعا فلسفة هذا التراث "في إطارها الكلي العام"<sup>1</sup>، ولقد اعتنق الطيب تيزيني الفلسفة الماركسية بما تعنيه من منهج التحول والتغيير وعمل على بلورة مفاهيمها مع الواقع العربي باختلافاته الاجتماعية عن المجتمعات الغربية بعد مرحلة التحولات الأخيرة التي واكبت انهيار الاتحاد السوفياتي وتراجع الأفكار الاشتراكية والماركسية كان للعديد من الماركسيين العرب مواقف تبريرية أو دعائية، إذا جاز القول إذ أن بعضهم سارع إلى القول مثلا: أي كنت على مسافة من الأفكار والأشكال السابقة أو أي قد قدمت مساهمات عديدة في انتقاد ما كان يجري... الخ.

لكن طيب تيزيني هو من بين القائلين الذين تحلوا بالشجاعة فتراه يعلن أن الإنتاج الفكري العربي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية عموما، وفي سوريا ولبنان خصوصا، كان إنتاجا يحتاج إلى المزيد من الرؤية التاريخية... ولم يكن سلبا ولذلك كانت الحالة مفاجئة وصعبة، الكثيرون لم يصدقوا يعني فوجئنا بعملية التفكك هكذا من دون أن نكون مهيين لها.

كما أشار تيزيني إلى ضرورة الرؤية النقدية لما أخذنا به ليس فقط على صعيد الماركسية وإنما على صعيد كل الأفكار التي توافدت إلى بلدنا أو انتاجاتنا هنا مثل هذه القراءة النقدية يمكن أن تؤدي وإن دعوا إلى ذلك إلى التشبث على الأقل بمرحلة ما، وكما أشرت في سؤالك نحن بحاجة إلى مثل هذا المنهج، وإن وضعنا كلمة منهج هنا ما بين قوسين لأن هذه طريقة أقل مما هي منهج أن تدقق في كل شيء تدقيقا نقديا ضمن مرحلة تمر بها نرصد فيها ما هو صائب وما هو خاطئ فنخطئ ونصيب ونخطئ إلى أن تستنبط فيما إذا كانت هذه المفاهيم الموجودة صحيحة قادرة على

<sup>1</sup> - حسين مروة، الترعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ط4، دار الفارابي، بيروت، 1981، ج1، ص 16.

الاستجابة لواقعنا، لكن تجربة الخطأ والصواب لا يجوز أن تأتي من صفر، أي عبر قطيعة ايستمولوجية تامة، كما يبين لنا كذلك تيزيني أن الماركسية هي ضمن ما يمكن القول هي أيضا نظرية ومدرسة وموقف معرفي وإيديولوجيا، ولكن الشق الآخر من السؤال ما زال يمثل حالة إشكالية الوضع العربي يتعقد وتضطرب الأوضاع، والغزو العولمي يكاد يسد الأفق ولكن هناك أسئلة التي طرحتها الماركسية، ما زالت مفتوحة، وما زالت تطرح أسئلتها من جديد عبر إعادة بنائها إيديولوجيا وسوسيولوجيا ومعرفيا وابستمولوجيا، ومن ثم إذا كانت الماركسية قد عادت نسبيا إلى الكتب فهي ظلت من حيث معادها الاجتماعي قائمة، والواقع يسأل أين هي الآن؟ من يستطيع أن يكتشفها؟ أن يكتشف الماركسية في الواقع العربي والعالمي؟<sup>1</sup>

كما يعتقد الطيب تيزيني أن مسألة أولوية الوعي على المادة، فعلا ما كان مطروحا على صعيد البنية الفلسفية للماركسية تمثل خصوصا بل ربما وحيدا في هذا الأمر. "أولوية الوعي على المادة، ويغيب جانب آخر أرى فيه حاسما بالنسبة إلى فهم الماركسية فمن المعادلة الجديدة، أقول الجانب الآخر يغيب وهو الماركسية التي تتحدث عن أولوية الوعي حيال المادة، تتحدث كذلك عن التماهي والتزامن والتحايت ما بين الذات والفعل الوعي، الوعي حينما يصبح فعلا يتحول إلى ذات، ومن ثم هناك حالة جديدة معادلة جديدة، الماركسي المثقف هنا لا يمكنه إلا أن يكون بهذا المعنى مناضلا هذه اللحظة غابت وغابت أنتجت نمطا من المثقفين<sup>2</sup>، هو الذي تحدثت عنه باسم ألان تورين (المثقف العلوي الأعلى) الذي يهتم بتنظير الموقف اعتقادا بهذه الفكرة المنقوصة، إن الماركسية هي في أساسها نظرية تقوم على فكرة التغيير وما واجهه فكر ماركس Marx لدى المجموعة الماركسية أي فكرة التوازن بين الوعي والمادة.

إن الأساس في تغيير أشكال المادية الفلسفية يبرز عند ملاحظتنا المبادئ العامة الآتية:

1- إن هناك موقفا مشتركا تجاه ظواهر العالم بين مختلف هذه الأشكال، وهو الموقف الذي ينظر إلى العالم المادي أنه الأسبق من الوعي وجودا، وأنه الواقع الموضوعي الأزلي المستقل بوجوده

<sup>1</sup> - طيب تيزيني، الماركسية تطرح أسئلتها من جديد عبر إعادة بنائها إيديولوجيا وسوسيولوجيا ومعرفيا، حاوره: محمد جمال باروت: كاتب عربي من سوريا مقابلة فكرية، مجلد / العدد مج 25، ع 287، 2003، دار المنظمة، 2016، ص 59.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 52.

عن كل قوة أخرى خارجة عنه، في حين أن الموقف المشترك بين مختلف أشكال المثالية<sup>1</sup> بقسميها: المثالية الذاتية، والمثالية الموضوعية، أو عن قوة ما أزلية خارج وجوده (المثالية الموضوعية)

1- رغم اشتراك مختلف أشكال المادية بموقفها ذاك من العالم المادي لا بد من ملاحظة علاقة كل منها، في مرحلة تاريخية معينة، بنوع النظام الاجتماعي المعاصر لها، وملاحظة أن هذه العلاقة تمارس تأثيرها على طابع شكل المادية في تلك المرحلة.

---

<sup>1</sup> - حسين مروة، المرجع السابق، ص 41.

## المبحث الثاني: ايجابية وفعالية المذهب اللامادي (الروحي/العقلاني) في تحقيق التنمية الحضارية

تعد فلسفة التاريخ من أهم المباحث الفلسفية حديثة العهد في الفكر الفلسفي، فلم تفتح كعلم مستقل إلا في القرن السابع عشر ثم تحددت معالمها في الثامن عشر الذي شهد العديد من فلاسفة التاريخ أمثال (فيكو، ومتنوسكيو وفولير وكوندورسية) وغيرهم وبلغ الاهتمام بالدراسات التاريخية ذروته في القرن التاسع عشر، حتى يمكن أن نطلق عليه اسم "عصر لتاريخ" على يد أعلام هذا القرن أمثال هيجل Hegel وكانت وماركس Marx وترجع أهمية فلسفة التاريخ إلى حيوية موضوعها إذ تناول بالدراسة حركة المجتمعات البشرية وتطورها وأسباب انهيارها وسقوطها في مرحلة معينة من تاريخها، بما في ذلك مشكلة القوانين التي تحكم حركة التاريخ وتطويرة بين المؤيدين والمعارضين لها، إن قلب العالم الإسلامي الذي بدأ يسترد طموحه التاريخي المنافس للحضارة الغربية من منطلقات فلسفية ودينية، لا يمكن تجاهل أهمية دورها في تطور الحضارة الإنسانية، وهذا الأمر كذلك يمكن إذا فهم على حقيقته فوظفناه لعكس ما جعل له عند صانعيه يمكن أن يصبح كذلك فرصة جوهرية لتوحيد العرب مع قوته الروحية فتنتقل في صراعنا مع ذروتي الغرب الروحية والمادية من الندية بالقوة التي توفرها القصة التاريخية الندية، بالفعل التي تحققها بتحقيق شروطها، كما تعتبر التنمية البشرية تطورا بارزا في مفهوم التنمية وهو يركز على مقولة أن: "البشر الثروة الحقيقية للأمم"، وبالتالي فإن غاية التنمية ينبغي أن تركز على توسيع خياراتهم وتحقيق رفاهيتهم بالدرجة الأولى لذلك عرفت في تقرير pnud الصادر سنة 1990 (أول تقرير عن التنمية البشرية) بأنها عملية توسيع الخيارات المتاحة للناس وتشمل بالأساس العيش ب حياة طويلة صحية للحصول على المعارف والحصول على الموارد الضرورية لتحقيق مستوى معيشة ملائم، ولقد تطور هذا المفهوم تأسيا على المساهمات النظرية للاقتصاد الهندي "أمارتيا" <sup>1</sup> الذي طور مفهوم "الاستحقاقات" كمعيار لقياس رفاهية البشر عوضا عن المقاربة التقليدية التي تفرض الرفاهية على أساس المنفعة، ويقصد بالاستحقاقات تلك الحقوق الجوهرية التي ينبغي أن يتمتع بها البشر كالحريات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية التي توفر الفرص للإنتاج والإبداع

<sup>1</sup> - أمارتيس الحائر على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1999.

وتحقيق الذات والعيش حياة طويلة وصحية مع الحصول على مختلف أنواع المعارف وتوفر المستوى المعيشي اللائق، ومع ذلك فعندما تذهب الفلسفة الماركسية إلى أن (التطور التاريخي والاجتماعي) يبدأ من (الحيوانية البدائية) إلى عهد يسود فيه (الرخاء والضمير والحرية) فإنها تغفل فكرة (الدورة) الجوهرية مع أن غاية هذه النظرة ونتيجتها تتعارض مع منطقها الجدلي ذاته، وتأتي أهمية هذه النظرة من أنها تتيح لنا الوقوف على عوامل التقهقر والانحطاط أي على قوى الجهد داخل الحضارة إلى جانب شرائط النمو والتقدم.

ومن الملاحظ أن التعارض الداخلي يبين أسباب الحياة والموت في أية عملية حيوية (بيولوجية) هو الذي يؤدي بالكائن إلى قمة نموه ثم إلى نهاية تحله، أما في المجال الاجتماعي فإن هذه الحتمية محدودة بل مشروطة، لأن اتجاه التطور وأجله يخضعان لعوامل نفسية زمنية، يمكن للمجتمع المنظم أن يعمل في نطاقه حين يعدل حياته ويسعى نحو غاياته في صورة متجانسة منسجمة، فالعلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية، تعد اليوم أكثر ضرورة من العلوم المادية، فهذه تعد خطر في مجتمع ما زال الناس يجهلون فيه حقيقة أنفسهم، ومعرفة إنسان الحضارة وإعداده أشق كثيرا من صنع محرك أو ترويض فرد على استخدام رباط عنق وإنسان ما بعد الموحدين في أية صورة كان فإن مشكلة كل شعب هي جوهرها مشكلة حضارية ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، ومالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تدمرها وما الحضارات المعاصرة، والحضارات الضاربة في ظلام الماضي، والحضارات المستقبلية إلا عناصر للملحمة الإنسانية منذ فجر القرون إلى نهاية الزمن<sup>1</sup>، فالحضارة من هذا الجانب الأخير تتمثل أمامنا كأنها مجموعة عددية تتتابع في وحدات متشابهة، ولكنها غير متماثلة وهكذا تتجلى لأنها حقيقة جوهرية في التاريخ هي (دورة الحضارة) ولكل دورة محدودة بشروط تقنية زمنية خاصة بمجتمع معين، فهي (حضارة بهذه الشروط) ثم إنها تهاجر وتنتقل بقيمتها إلى بقعة أخرى، وهكذا تستمر في هجرة لا نهاية لها، تستحيل خلالها شيئا آخر لنعد كل استحالة تركيبا خاصا للإنسان والتراب والوقت<sup>2</sup>، وإن التغيرات التي تشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد، أحيانا هي في جوهرها تغيرات حضارية تعتري القيم والأذواق والأخلاق في منعطفات التاريخ، فتغير معالم

<sup>1</sup> - مالك بن بني، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ص 19.

<sup>2</sup> - مالك بن بني، مشكلات الحضارة، وجهة العالم الاسلامي دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص 27.

الحياة بتحول الإنسان نفسه في إرادته واتجاهه عندما يدرك معنى جديدا لوجوده في الكون. وهذا التحول لا يؤثر في عالم الأشياء ولا في المعوقات التي يتضمنها عالم الأفكار بوصفه أنماطا تطبيقية modalites operatieires أي لا يؤثر في عالم الاقتصاد بنوعه الشيء المصنوع والفكرة الدالة على طريقة صنعه ما لم يؤثر في محتوى النفوس ذاتها، طبقا للآية الكريمة: "إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"<sup>1</sup>.

فالمهمة الدينية هي أهم المهام التي يجب على الحضارة المسيحية الغربية القيام بها، وأخطرها جميعا وإن فمثل التجارب التي سبقت هذه المحاولة لا يستلزم بالضرورة فشل التجارب اللاحقة، وذلك إذا ما أتيحت لها الفرصة المواتية لتحقيق نجاحاتها، ويكون ذلك عن طريق فضيلة الحكمة التي يمكن اكتسابها بمعناه الآلام لأنه: "في وسعنا أن تحول بجهودنا مجرى التاريخ إلى اتجاه جديد لم يسبق له ميل وقد أوتينا هذه الحرية في الاختيار بوصفنا كائنات بشرية، وليس في وسعنا أن نلقي تبعاتنا إلى الله أو الطبيعة بل يجب أن نهض بها نحن أنفسنا، لأن ذلك لزام علينا"<sup>2</sup>.

وأنه رغم نجاح الإنسان الباهر في شتى ميادين الحياة، الفكرية والعلمية... فإنه قد فشل فشلا ذريعا، من الناحية الروحية، وذلك راجع إلى أهمية الجانب الروحي الفائقة في الحياة الإنسانية بالنسبة إلى رفاهيته في كل الميادين حتى المادية منها، وبناء على هذا فالعامل الروحي هو جزء مهم جدا في حياة الانسان، يرتفع فيه العمل الروحي لأن يكون أهمية وقيمة كبيرتين إن لم يكن "العمل الوحيد الذي ستكون له قيمة ظاهرة ودائمة"<sup>3</sup>.

ولقد أهملت التزعة المادية في العصر الوسيط بسبب انتشار الدعوة المسيحية بمبادئها الروحية، مما أدى إلى إهمال المادة والتفرغ للدفاع عن الدعوة الروحية الجديدة وتوطيد سلطاتها إلا أنه سرعان ما رجعت التقاليد الابيقورية إلى الظهور خلال النصف الأول من القرن السابع عشر خاصة لدى الكاثوليكي الفرنسي بيير جاستدي **pierre gassendi** الذي اهتم بوضع المادة كفرض في تفسير حقائق الخبرة وتمهيد الطريق لتحقيق الفروض في الطبيعة، وتابع توماس هوبز

<sup>1</sup> - سورة الرعد الآية 11/13.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 27.

<sup>3</sup> - طالبة هدى بوفضة، رسالة مقدمة لنيل شهادة مذكرة الماجستير في الفلسفة... الدين في بناء الحضارة في فلسفة آرنو لدنوبيي المسيحية أنموذجا، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، سنة 2007-2008، ص 182.



**Thomas Hobbes** جاسندي الذي كان معاصرا له، وقال هوبز أن الإحساسات عبارة عن ذرات في المخ وحاول ديكارت **Descartes** التوفيق بين الآراء السابقة فطلع علينا بثنائية العقل والمادة، وبعد مفهوم العقل وسيادة أحكامه وتقريراته أولويته في مجالات المعرفة المختلفة وخصوصا المعرفة العلمية، وقد ارتبطت الفلسفة العقلانية بصورة خاصة بفلاسفة منذ القرن السابع عشر والثامن عشر انطلقا من ديكارت واسينيواز وغيرهم، ويستعمل مصطلح العقلانية في وصف وجهات النظر الخاصة التي يحتج بها مفكرو الأنوار ممن يعتقدون بقدرة العقل والبحث العلمي على كشف الحقائق وصنع أسس الحرية المتناغمة مع النظام الاجتماعي، ولذلك فقد قدموا العقل بوصفه وحده القادر على إعادة صياغة المعرفة في كل حقولها وفق قوانين وقواعد العقل الجديد، لقد تمثل جوهر العقلانية بمسألة تحرير الروح من وصاية السلطة وتحرير المجتمع من وصاية الكنيسة، واعتبرت النضالات التي اعتبرت من لدن المثقفين والمفكرين في الغرب كثمرة للترعة الإنسانية التي أعادت الاعتبار للإنسان كمركز العالم ومحورا له، ولذا فإن الأسس التي انطلقت منها العقلانية تقوم ابتداء من وضعية القطيعة بين الفلسفة والفكر وبين الدين الرسمي، وارتبط حرص المجتمع من سلطة الكنيسة بتحرير الفكر، من المفاهيم اللاهوتية وتأكيد سلطة العقل كسلطة مناقضة للنقل، وهكذا ظهر الانتقال في الفكر الأوروبي من الوعي التقليدي إلى الوعي الحديث، بمثابة انتقال وتحرر من الرجعية اللاهوتية في الفكر إلى المرجعية الإنسانية أي إلى العقلانية، ولقد ظهرت كذلك المادية التاريخية وهي جزء أساسي في الفلسفة الماركسية اللينينية وعلم فلسفة المجتمع، وتتلخص في أن الوقائع الاقتصادية أساس كل الظواهر التاريخية والاجتماعية، وهي التي تقوم بتحديداتها وهي تقابل المثالية التاريخية التي تؤمن بأن للمؤثرات الفكرية والروحية شأنها في تحديد شكل الوقائع الأولى للحياة الاقتصادية، كما تواجه المادة تعصبا ضدها من معظم الناس على الرغم من أن معظمها يقدر جميع الأشياء المادية ويعتقدون أنصار الترعة المادية<sup>1</sup>. أنها شر بل مصدر جميع الشرور في العالم لأنه سبب الصراع الدائر بين الناس، ولكن إذا نظر اللاماديون إلى المادة نظرة أرحب وأشمل فسيجدون أنها خير بالنسبة إليهم لأنها مبدأ الوجود وهي أصل جميع الأشياء الطبيعية في صورتها الممكنة، أما بالنسبة للميتافيزيقية فإنهم يعترضون على المادة لا لأنها أصل الشرور في العالم، ولكن

<sup>1</sup> - يقصد أصحاب الاتجاه المثالي والروحي.

لأنها غير مجدية للعالم، ولا تنفع بها، بل إنها مجهولة بالنسبة إليهم ويعتبرونها في أحيان كثيرة غير موجودة أصلا في العالم<sup>1</sup>. وكان أيكن r.euken (1846-1929)<sup>2</sup>.

من الدعاة إلى فكرة الحياة الروحية وكان لدعوته أثر كبير، وقد وضع في الدفاع عنها فلسفة يغلب عليها الصيغة اللاهوتية، أو بالأحرى الصيغة المسيحية، بالرغم من أنه كان ينكر بعض الأصول الهامة في العقيدة المسيحية، وأعلى الحقائق في نظر - أيكن - حياة روحية أو روح حية فوق طور الطبيعة من جهة، ولكنها من جهة أخرى تتخلل الطبيعة على هيئة تجعلها برزخا موصولا إليها، وليست هذه الحياة الروحية التي يتكلم عنها - أيكن - شيئا موجودا بالفعل، بل هي حركة دائمة منتهجة بلا انقطاع نحو حياة روحية أعظم وأعمق، وربما يتاح للإنسان، معرفة هذه الحياة بنوع من العلم الذوقي الصوفي، بل أن في استطاعة الإنسان أن يكون عاملا من العوامل في رقيها فإن كل الهام علمي أو فني أو ديني أو نتيجة من نتائج اتصال الإنسان بهذه الحياة الروحية ودليل على أن له نصيبا منها، فالحق مثلا ليس من خلق الإنسان، بل هو من العالم الروحي الذي فيه يجده الإنسان، ولم يكن للحق هذا الأصل الروحي الذي يصدر عنه لما كان في استطاعتنا أن نعلل ذلك باليقين الذي نشعر به إزاء قوة الحق ولا تفانينا في طلبه، فإن الحق مقياس للإنسان وليس الإنسان مقياس للحق، وهناك دليل آخر على وجود الحياة الروحية، ذلك أن الناس كثيرا ما يفرعون في أوقات محنهم وشدائدهم إلى ذلك العالم الروحي، ولكن الأخذ بنصيب حقيقي من العالم الروحي<sup>3</sup>، لا يقتصر على مجرد التأمل والتفكير بل يتطلب عملا أخلاقيا صادقا، فإن الكمال الخلقي جوهر الروح، والروح جمال المثل العليا، فلا يجوز إذن الخط من شأن الطبيعة، فإن الطبيعة تنطوي على كثير من العقل يدل على ذلك ما للظواهر الطبيعية من قوانين وما بينها من علاقات ونسب، بل الحقيقة أن العقل الإنساني نفسه وليد الطبيعة ومع ذلك فالطبيعة تقصر دون الوصول إلى الروح، وليست في أعلى مراتبها، سوى طور أولي موصل إلى الحياة الروحية، فإن الحياة

<sup>1</sup> - santayana, the pealn ef metter in ; the realms of being, p 183.

<sup>2</sup> - رودلف أيكن فيلسوف ألماني كان أستاذا في جامعة برلين سنة 1871، ثم في جامعة بنا سنة 1874، وبها استقر حتى آخر حياته، كان أيكن أحد كبار المفكرين الذين ظهورا في الحركة التي أعقب الحركة العلمية الطبيعية المتطرفة التي سادت في ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان يعد نفسه مسيحيا على الرغم من عدم انتسابه لكنيسة من الكنائس، وقد صرف عنايته بنوع خاص إلى البحث في المسائل الأخلاقية والدينية.

<sup>3</sup> - أ.أولف، فلسفة الحداثين والمعاصرين، ترجمة، أبو العلا عفيفي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، سلسلة المعارف العامة، القاهرة، مصر، ط1، 2017، صص 91، 92.

الروحانية ليست وليدة الطبيعة، بل هي الأصل الذي تستند إليه الطبيعة، والغاية التي تسعى إليها لهذا يجد أيكن **Aiken** بالرغم من عظيم تقديره للعلوم وما أحرزته من انتصارات باهرة يقول: إن التاريخ وما فيه من قصص عظماء الرجال، وليس العلم، هو الذي يقربنا غاية القرب من ذلك العالم الروحي، ويزيد على ذلك بقوله: إن المناهج العلمية التي تتخذ العقل رائدا لها لا تكفي في تحصيل المعرفة بالعالم الروحي، بالرغم من صلاحيتها للتوصيل إلى معرفة الظواهر الطبيعية، ولقد أراد أيكن أن يوقظ أهل عصره وبلغت أنظارهم إلى سطحية الثقافة المادية التي غلبت عليهم، ويدفع بهم إلى السعي وراء حياة روحية أعمق وأعظم فالحياة الإنسانية حياة وهم وغرور، خلو من كل معنى وكل حقيقة، إذا لم يتداركها الدين فيرتقي بها إلى مستوى عالم آخر، هو مستوى الحياة الروحية.

فلما بدأت هذه النهضة، خرجت حضارة أوربا من مرحلة السمو الروحي إلى مرحلة التوسع العقلي، التي انطبعت بطابع ديكارت **Descartes** والتوسيع في البلاد الذي حققه كرسطوف كولومبس **Christophe Columbus** باكتشاف أمريكا ودعوة أخرى إلى كتاب "البحث العلمي لأوروبا" توضح لنا هذا التطور إذ يتحدث مؤلفه عن هذا التحول في الحضارة الأوربية في قوله: "وكان أعظم ارتكاز حضارة أوربا على روحها الدينية"<sup>1</sup>. ثم بعد ذلك يفسر لنا الروح كعامل اجتماعي فيقول: "ولست أعني بالروح ذلك الشيء الدال على منطق، أو عقل أو مبادئ مجردة، وإنما هو بصفة عامة ذلك الشعور القوي في الإنسان، والذي تصدر عنه مخترعاته وتصورات، وتبليغه لرسالته، وقدرته الخفية على إدراك الأشياء)

ولقد كان القرن التاسع عشر هو القرن الذي ولدت فيه أول تفسيرات الواقعة الاجتماعية، في إطار ظاهرة معينة هي (الحضارة) غير أن ماركس ومدرسته حينما طبقا على هذه الواقعة الاجتماعية منطق الجدلية المادية، فقد كان طبيعيا أن يجد في الشروط الاجتماعية الخاصة بأوروبا في عهدها الفكتوري ما يبرر التزعة المادية التاريخية في نظرهم فماركس ومدرسته يذهبان إلى أن كل اكتمال تاريخي، لا يكون إلا نتيجة الضرورات المادية وحاجات الإنسان الأساسية وبالتالي الوسائل الفنية التي يبتكرها ويستعملها في تلبية تلك الحاجات، فالحاجة والفن الصناعي يمثلان

<sup>1</sup> - مالك بن بني، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 20.

في نظر ماركس مركزي التخاطب لقوى الإنتاج، المركزين الذين يحددان العلاقات الاجتماعية الخاصة بحضارة معينة، كما يحددان هذه الحضارة ذاتها معنويا وماديا<sup>1</sup>. ولكن هذه النظرية لا تفسر لنا النقطة الأساسية المماثلة فيما يحدث من تفكك العلاقات الاجتماعية، وتلاشي الحضارات دون ظهور أي تغيير في طبيعة الحاجات ووسائل الإنتاج، فحضارات أمريكا السابقة على العهد الكولومبي، وكذلك الحضارة الرومانية لم تتلاشى لفقدائها الوسائل الصناعية والحاجات، أما في القرن العشرون فقد شاهد بواذر تفتح مناهج أخرى للتغيير يفتح فيها المجال داخل "تكوين" الحضارة لعوامل أخرى غير العوامل المقصورة على حاجة الإنسان المادية ووسائل الإنتاج فالحياة في مجتمع معين قبل أن تتأثر بالفنون الصناعات أي بالجانب المادي أو الاقتصادي من الحضارة تتخذ لها اتجاهها عاما ونوعا شاملا يجعلان جميع تفاصيلها مرتبطة بالمبدأ الأخلاقي بذوق الجمال الشائعين في هذا المجتمع، وبعبارة أدق أنها تكون مرتبطة بالعلاقة الخاصة القائمة بينهما.

إن التعارض الذي يقوم بين الشعوب والثقافة المادية، التي تعد قاسما مشتركا يغذي السعي إلى حكم الشعوب وهذه الثقافة قد زودت بكل ما تحتوي المادة من خمود، فهي عاجزة عن مسايرة حركة التطور في منتجاتها ذاتها ثم إنها قد حبست نفسها في سجن هذا التعارض بحكم منهجها ذاته، المنهج الوضعي الديكارتي، وما كان لدعاها أن يهتموا بغاية الأشياء بل كان تعلقهم بأسبابها، ومن أمثلة ذلك أن مشكلة تسخير الإنتاج لخدمة الإنسان، حيث كان هذا الإنسان في مشكلة لم تخالط بعد الضمير الغربي فالغرب ينتج<sup>2</sup>، ولكنه عاجز عن توزيع ما ينتجه، وأوربا العقلية التي أبدعت الآلة، تجدد نفسها في منتهى العجز عن مواجهة مشكلات الإنسانية، وعلاجها فكل علاقة لأنفاس لا تدخل في حيز ضميرها والناس في أوربا يجيدون تشكيل المادة، ولكنهم لا يعرفون كيف يجعلونها أداة في يد الإنسان أو بعبارة أخرى: هم لا يحددون قيمة الإنسان، الآلة بالنسبة لكمية المنتجات، وما كان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الكم والكيف، بين الروح والمادة، بين الغاية والسبب فبينما اختل هذا التعادل في جانب أو في آخر كانت السقطة رهيبة قاسمة.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 101.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، وجهة العالم الاسلامي، المرجع نفسه، ص 168.

إن نقطة انطلاق الحضارة ليس أمامنا سوى العوامل المادية الثلاثة التي ألحنا إليها فيما سبق من الكلام: الإنسان، التراب، الوقت، وفي هذه العوامل ينحصر رأس مال الأمة الاجتماعي الذي يمدّها في خطواتها الأولى في التاريخ، وهذه العناصر تتكون منها الحضارة، وكما يتضح من الشكل الذي رسمناه في فصل "أثر الدين في دورة الحضارة" لا يختلف تطور الحضارة المسيحية من تطور الحضارة الإسلامية إذ هما ينطلقان من الفكرة الدينية التي تطبع الفرد بطابعها الخاص، وتوجهه نحو غايات سامية، إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها ولعله ليس من الغلو في شيء أن يجد التاريخ في البوذية بذور الحضارة البوذية.

كما يعتبر الفكر الحضاري للمفكر الجزائري مالك بن نبي، فلسفة قوية الأبعاد في بناء العديد من النهضة العربية والإسلامية، وغيرها من النهضة غير الإسلامية والعربية، إذ أن المفكر مالك بن نبي يعتمد في بناء الحضاري على بناء العقل الذي يبنى الحضارة بعيدا عن جميع التبعيات والاضغوطات الخارجية لذا فهو يرى أن نظام العولمة هو نظام التبعية الحضارية لا غير.

#### \*البناء الحضاري من منطلق فكر مالك بن نبي:

بدأ العصر الحديث أو الحقبة الحضارية بحركات الإصلاح والنهضة والتنوير، وكان انتصار الإنسان هنا بداية لتطور العلم والثقافة والحركة العلمانية وإبذانا بتبعات الحركة القومية والتطور الاقتصادي، ولعل بؤرة الصراع ومحور النهضة هو تأكيد قيمة الإنسان وفعاليته وإيجابيته في شؤون الحياة تحرر الإنسان من قيد التبعية لرجال الكنيسة ونهج نهجا جديدا في تحصيل المعرفة ليتخذ منها عدة وزاد لبناء حياة أفضل<sup>1</sup>.

ويميز مالك بن نبي بين الحضارة الشيئية والحضارة الحديثة:

**فالأولى:** تشتري الأشياء العديدة وتكدسها ولا تستفيد منها وهذا حال العالم الإسلامي.

**والثانية:** تخطط وتنتج وفق منهج فني تطبق فيه قوانين الكيمياء الحيوية والديناميكية الخاصة أثناء التكوين والتطوير حال الصين واليابان وروسيا.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، المرجع السابق، 200.

إن تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل فوضاه وحموده وركوده، كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع، وإن الأفكار تكون في مجموعها جزءا هاما من أدوات التطور في مجتمع معين، كما أن مختلف مراحل تطوره هي في الحقيقة أشكال متنوعة لحركة تطوره الفكري<sup>1</sup>.

ولقد أصبحت التنمية الشغل الشاغل والهم الرئيس للإنسان العادي المتطلع دائما وأبدا لتطوير بلده، فالتنمية البشرية تستهدف إلى التحسين المستمر لرفاهية السكان وخاصة الناحية العقلية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وقطاع التربية، والتعليم هو الركن الأساسي ولهذا جاءت التنمية لحلول المشاكل.

وحيثما نقول إن كيان الفرد مرتبط بصلته بالحضارة، فإنه ينبغي لنا أن نلاحظ بأن صلة الفرد بالحضارة أو مكانة منها هي في ثلاث مراحل: فالإنسان إما أن يكون قبل الحضارة، وإما أن يكون في تعميم الحضارة، وإما أن يكون قد خرج من الحضارة، والمراحل الثلاث فهذه تختلف تمام الاختلاف فمن المفهوم أن الإنسان المتحضر يختلف إذا اقتصرنا على هذا التحديد، عن الإنسان غير المتحضر، ولكن ينبغي أيضا أن تقيم نسبة أخرى بين الذي خرج من الحضارة والذي لم يدخلها بعد، فالإنسان الخارج من الحضارة<sup>2</sup>. يحتوي على بعض الرواسب، ويكون أكثر مصدرا للمصاعب في المجتمع من ذلك الذي لم يدخل بعد إلى هذه الحضارة، وإنما حينما ندرس قضية الفرد على هذه الطريقة، فإننا نرى أنه معها مهما تكن مرحلتنا نحن الأمة العربية من الحضارة اليوم، سواء كنا قبل الحضارة وحينما نقول إننا نريد أن نكون مجتمعا يقدم الضمانات الاجتماعية للفرد ويؤيد الأمن في العالم، أو أننا نريد أن نكون درسنا قضايا مجتمعا، اقتصادية كانت أم اجتماعية فإن شروط وصولنا إلى تحقيق هذا كله هي شروط الحضارة، لأننا عند مواجهة الصعوبات ذلك أننا في نقطة انتقال الفرد إلى الحضارة أو رجوعه إليها.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر بدمشق، ط4، 1984، ص 13.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر بدمشق، ط1، 1979، ص 29.

### \*البعد الاجتماعي و الثقافي:

ويتعلق ببنية المجتمع والتي عادة ما يتميز بمظاهر وسمات يمكن حصرها في ما يلي: سيادة أسلوب التمويل الذاتي والإقراض العائلي لأسباب تاريخية واقتصادية وانتشار الأمية، نقص الكفاءات (خاصة المعرفية) المنظور الديني لمعدل الفائدة الانتصار الجغرافي للسكان بعيدا عن الأجهزة المصرفية، غياب إستراتيجية تنمية محلية (وطنية) وانتشار ثقافة الاستهلاك، بدل ثقافة الإنتاج (الاستثمار).

### \*النظرية النفسية في التنمية:

تركز هذه النظرية على دور الفرد وقيمه واتجاهاته في التنمية إذ أن المجتمع المتطور هو الذي يضم أفرادا ذوي خصائص ومقومات شخصية إيجابية تساعد على إحداث التنمية، وعلى الدول النامية في خلق مثل هذه الدوافع لدى الأشخاص.

ومما لاشك فيه أن الحديث عن النهضة العربية والمشاريع الإصلاحية العربية هو مجرد حديث عن وعي تاريخي يتجه نحو مرمى وهدف لم يصبه بعد، وفي هذا الإطار وداخل دائرة الوعي ما تزال تعاني من استمرار وتأخرنا التاريخي، فنحن مدعوين في إعادة التفكير في مشروع النهضة العربية المرتقبة، الوحدة والتقدم وصناعة التاريخ أننا نريد أن نسهم في قراءة جديدة للكتابة النهضوية وطموحات المصلحين العرب وذلك يكون من خلال حوار مع واقعنا وتاريخنا القريب من أجل بناء الأسس والمفاهيم التي تعني ضرورة الفكر في صياغته.

ومن الصفات التي صارت تنعت بها الحضارة الغربية الحديثة بين جهود المتفلسفة هي أنها حضارة متكافئة على "اللوغوس" في دلالاته اليونانية الأصلية أو بإيجاز أنها "حضارة لوغوس" ومعلوم أن لفظ "اللوغوس" يفيد معاني في غاية الكثرة ليس هذا مقام تفصيلها، حسبنا منها هاهنا معنيان اشتهر أكثر من غيرهما، وهما "العلل" و"القول" فحينئذ تكون الحضارة الحديثة حضارة ذات وجهين: "حضارة عقل" و"حضارة قول" لكن الوجه الذي شغل الناس عموما والمتفلسفة والحداثيين خصوصا أكثر من الآخر إلى حد الافتتان به، هو كونها "حضارة عقل" وتحلى هذا

الاقتتان في رفع الخاصية العقلية أو بالمصالح المعروف "العقلانية"<sup>1</sup>. إلى أعلى مرتبة من مراتب الإدراك الإنساني كما تجلى في الميل إلى تخصيص أهل الغرب بها حتى كأن غيرهم إن لم يحرموا منها كلياً، فلا أقل من أنهم لم يعرفوها في خلوصها وإطلاقها، كما يعرفها هؤلاء، وما حصل بصدد الوجه العقلي من الحضارة الحديثة من الانشغال والاقتتان حصل ما يشبهه بصدد الوجه القولي من هذه الحضارة، إلا أن حصول هذا الشبيه كان متأخراً على الأقل بزمان طويل كما أن مداره لم يكن خاصة مقابلة للخاصة العقلية.

والعقلانية بوجه عام عبارة عن خاصية الفعل الإنساني الذي يقوم في طلب تحقيق مقاصد معينة بوسائل معينة، والعقلانية المجردة بوجه خاص عبارة عن خاصية الفعل الإنساني، الذي يقوم في السعي إلى تحقيق مقاصد لا يقين في نفعها بوسائل لا يقين في نجوعها، وقد رأينا أنها تخل بشرط النفع في المقاصد لوقوعها في النسبية والفوضى والاسترفاق، كما تخل بشرط النجوع في الوسائل لاقتضاءها المعاني الروحية واكتفائها بالظواهر الخارجية واعتمادها للوسائط المادية وحدها، فإن العقلانية في الحضارة الغربية الحديثة والتي تجعل من هذه الحضارة على الرغم مما أتت به للإنسان من مكتسبات وقدرات مختلفة، حضارة ناقصة، لخلوها كلياً من اليقين في نفع هذه المكتسبات ونجوع هذه القدرات، مما يدعونا إلى طلب عقلانية فوقها تستمد أصولها من أعماق التخلف الديني الذي هو وحده يورث هذا اليقين المفقود، وها نحن ماضون إلى توضيح كيف أن هذه الحضارة الحديثة لا تحرم الإنسان من اليقين الضروري لحياة طيبة في الحال وسعيدة في المال فحسب<sup>2</sup>، بل أنها تظم استعداداته الخلقية التي تهيئه وتؤهلها لمثل هذه الحياة الطيبة والسعيدة.

### التطهير والتكامل المادي الروحي في نظر طه عبد الرحمن:

لما ترسب فينا مما ترسب من المعلومات المنقطعة عن القيم الأخلاقية والمعاني الغيبية تحت تأثير النمط المعرفي الحديث كانت مهمة التخليف المؤيد، أن يقوم "بتحديد التربية" لمداركنا حتى يطهرنا من هذه الطبقات المعرفية المترسبة والمانعة لنا من تصور أو تقبل أي شكل مغاير من أشكال المعرفة أي أنه على قدر ما تراكم من الطبقات المعرفية تكون الأعمال الشرعية الضرورية لإزالتها، ولا

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،

2000، ص 59.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 76.



يكاد المتخلف يوفي هذا التمرين التطهيري المرتب والمنسق حقه، حتى ينفتح له باب تحصيل التكامل المادي الروحي المقوم لفطرة الإنسان، هذا التكامل الذي يهيئه لاكتساب القدرة على الاستقلال عن النمط المعرفي المتداول، ذلك أنه إذا انتفع باستفراقه في العمل الشرعي، وذهبت عنه العوائق المعرفية المترسبة، ثم استرجع توازنه المادي الروحي، فإنه يستعد لتلقي معرفة متكاملة، كما لو كانت قد انطوت عنه آثار النمط المعرفي المترسب، وكما لو كانت أسباب المعرفة الجديدة مطوية بالأصالة فيه<sup>1</sup>

### التبدل الديني والطبقة الاجتماعية للأفوذج الدهراني:

عندما وجدت بعض أفكار كانط Kant في الأخلاق تطبيقاً في مجال التربية مع عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم Email Durkheim بعد أن أعاد صوغها في قالب علمي، فلقد تعاطت الجمهورية الثالثة الفرنسية إقامة تعليم دهري للأخلاق بهدف الفصل بين الكنيسة والمدرسة، فأقرت تلقين التلاميذ، في المدارس الابتدائية العمومية ما يسمى بـ (الأخلاق الدهرية) morale laique

وسنت لذلك قوانين مدرسية محددة، ووضعت برامج تعليمية مفصلة في فترة توجت بصدور قانون الفصل بين الدولة والكنيسة.

كما يمكن القول بثبات الأخلاق الدينية لثبات الإله يشعر بأن الأخلاق الدينية لا تشكل أخلاقاً اجتماعية حقيقية، ولو أن دوركايم Durkheim يصل في مواضع أخرى بين الديني والاجتماعي وصولاً قوياً، والحال أنه إذا صح أن الأخلاق الاجتماعية تتغير صح معه أيضاً أن الأخلاق الدينية، على خلاف ما يزعم دوركايم هي الأخرى، متغيرة بل ربما كانت الصفة الاجتماعية في هذه الأخلاق أظهر منها في غيرها، حتى ولو كان تغيرها أقل ظهوراً، والشاهد على ذلك تعدد الشرائع والمناهج المتزلة وتعافيتها ونسخ بعضها لبعض وتواصل تأثيرها في المجتمعات على اختلاف فيما بينهما، ثم أن هذا القول ينبني على مسلمة باطلة، وهو أن الثابت لا يولد إلا الثابت

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المرجع السابق، ص 110.

وليس الأمر كذلك فقد يتولد منه المتغير، كما يتولد الثابت، كما انه يصح في حق الإله أن ينفرد بالثبات والبقاء بينما كل ما عداه من الآثار الموجودة، يتغير ويفنى<sup>1</sup>.

والقول بتقلب الأخلاق في المجتمع الواحد يشعر بأن صورتها الأولى لا تمتاز على غيرها كما تمتاز الصورة الفطرية على الصورة الوقتية للدين والحقيقة أو الصورة الأولى ربما تضمنت خصا لا تنتجها وقيما مبدعة جوهرية توالى عليها الزمن فأخرج الخصال عن إنتاجيتها والقيم عن إبداعيتها، ومن ثم فإن التغير الذي لحق الأخلاق الدينية في الشكل تدهور بها لا يدل بالضرورة على مزيد الإنتاجية الخلقية والإبداعية المعنوية، بل قد يدل على النقص فيهما مع العلم بأن الإنتاجية الخلقية ولا الإبداعية المعنوية تقاس بالإبداعية المادية.

ويعتبر كانط Kant أن العلاقة الوحيدة التي تربط الإنسان بالإله، إنما هي العلاقة الأخلاقية ليس الآن وبهذا الصدد يقع قاعدة تقرر أنه (إذا استثنينا السلوك الحسن، فإن كل ما يعتقد الإنسان أنه يمكن عمله من أجل إرضاء الإله هو مجرد جفون ديني خالص وتعبد للإله فاسد" وعلى هذا الأساس يفرق بين صنفين من الأخلاق (الأخلاق الداخلية) و (الأخلاق الخارجية) أما الأخلاق الداخلية:

فهي أخلاق ضرورية يورثها الدين الطبيعي وتقتضي أن يحصل الإنسان قصدا أخلاقيا خلاصا للقيام بواجبه، متجردا من كل باعث خاص، كما تقتضي أن يسلك وفق قوانين كلية يملها عليه عقله، متمتعا بحريته ومحترما لحرية غيره، ويضرب لنا كانط مثلا على هذه الأخلاق بسيرة المسيح عليه السلام، اذا كان يأتي بمختلف تعرفاته حقا في العمل الصالح، الا رغبة في الثواب ولا هرب من العقاب أما الأخلاق الخارجية: فهي أخلاق عارضة يورثها الدين التاريخي، وتتمثل في أفعال وتصرفات ينبت على أوامر مقننة وقواعد عقدية وتقاليد سلوكية استحدثها أرباب الكنيسة وفرضوها على اتباعهم، ترسيخا لنفوذهم وقضاء لمصالحهم أو قل باختصار بنيت على (رسوم

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014.

مقررة) وهي لا تلزم الإنسان إلا في ظاهرة وإذا ينبغي أن يكون هذا الظاهر موافقا لها حتى ولو لم تلامس باطنه، فضلا عن أن يتحقق بها<sup>1</sup>.

كما أن الأخلاق الدهرية أخلاق خارجية لا يرفق دوركايم Durkheim بين الصورة الفطرية للدين وصورته الوقتية، ذلك أن الدين في أصليته عنده كالدين في تاريخيته والتغير الذي قد يصيب الدين على مر الزمن حتى ولو أخرجه إلى دينه أضيق نطاقا، فإنه لا يخرج عن الصفات الجوهرية التي هي له من حيث هو دين، وقد ذكرنا أن الدين في صورته الفطرية، هو الذي يمد الإنسان بالأخلاق الداخلية، بينما الدين في صورته الوقتية يمد بالأخلاق الخارجية، وعلى هذا يمكن القول بأن دوركايم ينظر إلى الأخلاق على أنها نموذج سلوكي واحد لا يفرق بين ظاهرها وباطنها، لكن من جهة أخرى نعلم أن دوركايم يريد أن يحدث تجديدا عميقا في العلوم الإنسانية، جاعلا من هذا التجديد المهمة التي يتولاها (علم الاجتماع) وحينئذ لم يكن له بد من أن ينظر إلى الأخلاق عموما وإلى الواجبات خصوصا على أنها وقائع اجتماعية موضوعية، ومثل هذه الوقائع لا تكون إلا أمورا خارجية، وإلا فلا أقل من أنها تعامل على أنها كذلك فيلزم أن النموذج السلوكي الذي يأخذ به دوركايم هو نموذج الأخلاق الخارجية إن الأخلاق الدهرية تلبس الداخل لباس الخارج، ليس من شك أن دوركايم تأثر في تحديده لأركان أخلاقه بنظرية كانط، وأنه اقتبس منه مفهوم (استقلال الإرادة)<sup>2</sup> غير أنه نزع عنه لباسه الفلسفي الأصلي وألبسه لباس علميا، وإذا عدنا إلى الأصل الفلسفي لهذا المفهوم، وجدنا أن كانط يرجع سبب هذا الاستقلال في الإرادة إلى كون تخلق الإنسان ينسب لا إلى (عالم الظواهر) الذي تدركه حواسهن وإنما إلى (عالم الأشياء في ذاتها).

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المرجع السابق، ص 51.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 54.

### المبحث الثالث: التنمية الروحية أساس التنمية المادية "الثقافة تسبق الحضارة وتؤسس لها"

إن فهم الفلسفة على أنها اجتهاد فكري من نوع مميز تماماً مثلما أن نظريات علم الاجتماع أو علم النفس أو النقد الأدبي اجتهادات فكرية من أنواع مميزة أخرى، أنواع تستجيب لشروط الحقل المعرفي أو الإبداعي، الذي تتعامل معه الفلسفة اجتهاد متميز تاريخياً باتصاله بأسئلة أساسية في الوجود والمعرفة والهوية، اجتهاد اقتضته ظروف ثقافية وتاريخية، وربما اقتصادية وجغرافية محدودة، وهي من ثم ليست بالضرورة ملزمة لكل الثقافات بحيث لا ترتقى إلى ثقافة مراتب الأهمية إلا بالاستجابة لتلك الضرورة، ففي كل الثقافات تصورات للعالم تصل إليها عن طرق غير الفلسفة، وما الفلسفة في النهاية إلا إحدى المساواة التي تشكل تلك التصورات على مداها، وإن كانت مسارا مبهرًا وهائل الحجم والأهمية، فهل تقلل من قيمة الثقافة الصينية أو اليابانية أو الهندية لأنها لم تطور في تاريخها الطويل فلسفة كالفلسفة اليونانية أو الأوروبية المعاصرة؟

التحيز الثقافي للغرب في ثقافتنا العربية سيقول: نعم لكن ذلك سيؤكد مرة أخرى أننا أقرب إلى كوننا نتج، وتسعى إلى إنتاج ثقافة تأني (تهميشاً) على مذاهب الثقافة الغربية وليس فلسفتها فحسب، ولكي نفهم المراد بالثقافة نقول أن لكل بلد في بلاد من الدنيا نصيباً من العلم والفن، ولما كانت العلوم عالمية فهي تدخل في نطاق الحضارة، لأن الحضارة وخاصة في أيامنا هذه عالمية فالقواعد النظرية والعملية فيها واحدة ثم إن الحضارة في يومنا هذا هي حضارة عالمية وتقدمية تقوم في النهاية على أساس اقتصادي يعتمد على المكسب والخسارة، والاقتصاد يخلو من الجوانب الإنسانية لأنه يقوم على أرقام، عكس الأدب والفنون وشخصية وإنسانية وهي تدخل في نطاق ما يسمى بالثقافة، فالثقافة إذن هي ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذلك مثل: الموسيقى والشعر.

وكلما كانت الظاهرة الحضارية أكثر التصاقاً بطبيعة البلد الذي قامت فيه فهي ثقافة فقد تتشابه المدن العربية في هندستها ونظامها وتخطيطها، لأنها اليوم تنشأ على أساس ومفهوم علميين محددين قائمين على علوم الهندسة الغربية الحديثة<sup>1</sup>، فإذا قلنا أن الثقافة هي مجموعة المعلومات التي يقوم عليها نظام حياة أي شعب من الشعوب، فهي على هذا أسلوب حياته ومحيطه الفكري

<sup>1</sup> - حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة كتب ثقافية الكويت، الطبعة الثانية، 1998، ص 370.

ونظرته إلى الحياة، ولا بد أن تكون خاصة به، نابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية، وتطور بلاد التاريخ الحضاري، فهي إذن محلية وإن موضوع الثقافة وما تحويه وما تدل عليه وهو مفهوم لم يصل إليه العلماء إلا بعد بحث ودراسة.

وذهب جون ديوي John Dewey إلى أن الثقافة هي ثمرة التفاعل interaction بين الإنسان وبيئته وهذا هو المعنى الذي أعطاه أرنولد تويني Arnold Tobini للحضارة كلها، أي أنها ثمرة تحدي البيئة للإنسان ونوع استجابته لها، وقد ثار جدل طويل حول العلاقة بين الثقافة والدين، إذن الثقافة تشمل كل شيء في حياة الشعب بطريقة حياته وطريقة تفكيره ومدى هذا التفكير ونظرته إلى الحياة وما إلى ذلك ومعنى ذلك أن الثقافة داخلة في كل ما يتصل بالإنسان فكرياً وأخلاقياً وبدنياً حتى تدريبه النفسي، وفي هذا المعنى الواسع جداً تشمل كل ما يقوم به الإنسان من جهود<sup>1</sup> إن الشعوب كلها تنتقل من الثقافة إلى الحضارة من أساليب العيش التلقائية الساذجة إلى أسلوب الحياة المضبوط المتشابه الذي يجري عليه كل الناس، لأن الحضارة في الغالب قوالب ثابتة عامة في التفكير والتصرف، فإذا انتقلت غالبية الشعب من الثقافة إلى الحضارة فقد أوشك أن يجمد ويبدأ تدهوره والشعوب الأوروبية، انتهت غالبيتها من طور الثقافة ودخلت في طور الحضارة فتلاشى طوابعها الشخصية الشعبية، وتقترب الثقافة من (الروح) أو (العبقرية) الخاصة بشعب من الشعوب دون أن يكون هذا اللفظ مرادفاً لها تماماً، إن هذه الكلمات في استعمالها القائم تحيل بالخصوص على الماض السيكلوجي أو شبه السيكلوجي لحضارة قومية لها، في حين أن الثقافة تتضمن بالإضافة إلى هذا الماضي جملة تحليلات ملموسة ومميزة، وهكذا يمكننا أن نعرف إجمالاً الثقافة بأنها الحضارة من حيث أنها تتضمن العبقرية القومية، وإن ثقافة يتجلى أداة مناسبة لتجاوز التفاسير ذات التزعة الطبيعية للسلوكيات البشرية الطبيعية، لدى الإنسان مؤولة كلها ثقافياً وإن ابتداء مفهوم الثقافة كاشف بحد ذاته لمظهر أساسي في الثقافة التي أمكن ابتداعها فيها والتي تسميها مؤقتاً وباعتبار افتقارنا إلى كلمة أكثر توفيقاً، الثقافة الغربية على العكس من ذلك، إنه لذو دلالة إلا يكون لكلمة (ثقافة) مرادف في أغلب اللغات الشفاهية من المجتمعات التي يدرسها علماء الأنثروبولوجيا عادة بديهي (وإن كل الجميع لا يشترك في التسليم بهذه البدهة) أن هذا لا يعني أن هذه المجتمعات لا ثقافة لها بل يعني أنها لا تتناول إن كانت لديها ثقافة ولهذا

<sup>1</sup> - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 379.

وإذا أردنا أن نفهم المعنى الراهن لمفهوم الثقافة واستعماله في العلوم الاجتماعية، فإنه من الضروري أن تعيد تركيب صيرورته الاجتماعية وتسلسل شبه، كل ثقافة هي ثقافة منسجمة لأنها تتناسب مع الأهداف التي تنشأ والمتصلة باختياراتها ضمن تشكيلة الاختيارات الثقافية الممكنة، وهي تنشأ هذه الأهداف من دون علم الأفراد ولكن من خلالهم، بفضل المؤسسات (التربوية منها الخاصة) التي تصوغ تصرفاتهم في تطابق مع القيم السائدة الخاصة بها ليس ما يحدد الثقافة إذاً هو وجود هذه السمة أو تلك أو مركب السمات الثقافية هذا أو ذاك أو غيابهما بل توجهها الشامل صوب هذا الاتجاه أو ذاك أي لها من (Pattern) في الفكر والعمل منسجم إلى هذا الحد أو ذاك، ليست الثقافة هي ما تحاذي من السمات الثقافية بل طريقة منسجمة في الجميع بين هذه السمات كل ثقافة تمد الأفراد في معنى ما ب (ترسيمة) لا واعية لكل أنشطة الحياة، ولعل أخطر مشكلاتنا أننا نعيش وقد استقر في وعينا الباطن دون ظاهر القول أننا تجمع بشري... لا مجتمع، أفراد... لا بنية مترابطة كل يرسم مصيره ومستقبله... وكل يتحدث عن الثقافة وعن الذاتية الشفافية حديثاً غائماً معي، دون أن تملك وعياً علمياً بمعنى الثقافة الاجتماعية وضرورتها وأسس نشأتها وتطورها وتوارثها، ثم بعد هذا وعلى الرغم منه، كل يباهي بثقافة مجهولة له تاريخاً وتأسيساً وحركة اجتماعية، وأن ارتقاء حياة الإنسانية في شتى المجتمعات وعلى مدى التاريخ رهن تنوع الثقافات وتفاعلها، وتباين الرؤى واختلاف الآراء، وأن أهمية مفهوم الروح الاجتماعية تتبع جزئياً من قدرة المفهوم على أن يصحح هدفاً تضمنته فكرة الثقافة ولم يتحقق ولقد أكد علماء الأنثروبولوجيا في البداية من ناحية على أن الثقافة عامة، منهل مشترك يتقاسمه الجميع، وتم تسليم في هذه الحدود بأن الثقافة شأن اجتماعي وإن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يرتقي ويعمل على تحسين أحوال نفسه بفضل ما أهده الله من عقل يمكنه من التفكير واختزان المعلومات والربط بينهما والإفادة منها، فكل أجناس البشر متحضر، ما من شعب إلا وله مستواه الحضاري، والفرق في المستويات فالجماعات البدائية التي ما زالت تحت سفح الجبل لها حضارتها كما قلنا، وإذا كانت الثقافة بصفتها المتقدمة وصورتها الأكثر تطوراً، معرفياً ومنهجياً، قد مثلت شرطاً لازماً لحياة المجتمع العربي المتطلع إلى التطور، والمحاول الأخذ بأسباب النهضة فإن التوجه إليها كان ينبغي أن يكون مدعاة لوعي الذات بنفسها لا نفي الذات في الأخذ كما أراد طه حسين في بعض أطروحاته حيث "استوعبه تراث الثقافة الغربية فاتخذ منه (قاعدة انطلاق) لمجتمع"

في تأسيس ثقافته الجديدة التي لم تكن من حيث الأساس الذي أراد لها أن تقوم عليه والتوجه الذي تتخذه، أكثر من ثقافة عربية بتفكير غربي، فهي في مؤداها الأخير (ثقافة استغراب) وان كان موضوعها عربيا وطه حسين في حقيقة الأمر، كان على وعي غير يسير بماهية الثقافة، وبحقيقة التكوين الحضاري، الذي تكون عليه أو ينبغي أن تكون عليه أمه من الأمم، في فترة من فترات نهوضها وتقدمها، أو حتى إذا ما أريد لها ذلك فهو ما اتبع من منهج، وما أقامه من رؤية كان يريد ثقافة عصره أن ترتقى إلى ما تدعوه (المعاصرة الحضارية) وكان يدرك أن ذلك لا يتم إلا عن طريقتين معا<sup>1</sup>:

#### 1- اغناء الثقافة

#### 2- الاغناء بالثقافة

فإذا كان اغناء الثقافة لا يتم بالنقل والتمثل، بل بالمشاركة في الاكتشاف والجهد في العمل المنتقى، والمبادرة الفردية على مستوى الفكر والتحليل، فإن طه حسين كان قد عمل في الاتجاهين فمن جهة كان النقل والتمثل أساسا في ما تلقاه من الثقافة الغربية، وسعى إلى أن (يعكسه) بما كان له من مستويات الاستيعاب والتوجه، ومن جهة أخرى كانت محاولة الاكتشاف هذه وان بحدود محدودة برؤية الآخر ولكن معها كان هناك جهد استقصائي ومبادرة فردية، على بعض من مستويات التحليل وان هدف. طه حسين من عمله في الحقل الثقافي والفكري، ومن محاولة إشاعة مفهومه للثقافة (الذي هو مفهوم يخرج بها من إطارها القديم، ويضعها في سياق فاعلية جديدة) هو تأكيد وظيفتها، وان بحدود محدودة، وقدرتها على الكشف والإثراء، وقد جعل طه حسين من (السؤال الحرية) في الثقافة العربية الحديثة سؤالا هامشيا، من جهة لأنه أبعد أو ابتعد به عن واقع الصراع الاجتماعي وحقيقته... ومن جهة ثانية كان هذا السؤال (سؤالا متغربا) لأنه بناه على رؤية تتخطى واقع العقل العربي والثقافة العربية وتذهب (غربا) حيث نجد ما لها في الثقافة الغربية. والحضارة اليونانية وفي ما ترسمه لمصر من (حدود تاريخية) شرق متوسطة بحتة لا صلة لها بالتاريخ العربي...

<sup>1</sup> - ماجد السامرائي، الثقافة والحرية قراءة في فكر طه حسين، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1996، ص 26.

وتضعها في هذا الإطار نفسه جغرافياً<sup>1</sup>، وفي ضوء هذه الفكرة كانت ممارساته الفكرية في ما اتخذت من آفاق الفكر والحياة...

### \*صراع الحضارات:

كما تتصارع الأمم في ميادين الحرب والسياسة والتفوق في العلوم والفنون والرياضة فكذلك تتصارع في ميدان الثقافة والحضارة وهذا الصراع مستمر وعنيف وهو يختلف عن صراعات الحرب والسياسة بأن الذي كان يخوض ميدان الحرب، الصناعي الثقافات نفسها، فكان بعضها يصارع بعضها ربما دون أن يشعر بذلك أهلها، ولم يشعر الناس بأهمية ذلك الصراع الثقافي، إلا في العصر الحديث، فأدخلوا الصراع الثقافي أو الحضاري في مناهجهم السياسية، وأول من فعل ذلك بناء على خطة واعية مرسومة هم الألمان في أيام الاشتراكية الوطنية المعروفة باسم النازية<sup>2</sup>، أي الصراع الثقافي، وقد أُلِفَ في هذا الموضوع كثير من المتخصصين، ذلك أن ثمرات الحضارات والثقافات تميل بطبيعتها إلى الانتشار لأن الناس إذا وجدوا مبتكر جديدا سواء في ميدان الماديات أم المعنويات مالوا إلى الحصول عليه ثم تقليده، فإذا كان قدماء المصريين مثلاً قد وجدوا صناعة آنية الفخار وطلوه بالميناء وزينوه بالرسوم الملونة، فإن التجار وصوا على شرائه وحمله إلى البلاد القريبة والبعيدة في أسواقها، وإذا توسعنا في تصور الانتشار الثقافي وجدنا أن صناعات كل بلد وأفكار أهله تنتقل خارج حدوده، ويدور الصراع بينها في الأسواق في ميدان الصناعات وفي مجالس الناس في مجال الأفكار والآراء ويدور بين كل فن ونظراته، صراع يفوز فيه الأحسن أو الأقرب إلى العقول والقلوب<sup>3</sup>، ويسير إلى جانب الصراع الحضاري المادي الصراع الحضاري الفكري، فاللغة المتكاملة الثابتة النمو والقواعد ذات الأساليب المختلفة في التعبير تغلب على غيرها، فسادت كل منها لغات عصرها وفضت ثقافة أهلها على البلاد الأخرى. ومن الواضح إن الصراع اللغوي لا يمكن أن يكون غزوا لغويا فقط لان اللغات ألفاظ وعبارات والألفاظ تحمل الأفكار والآراء والعقائد، وهذا هو الميدان الأوسع للصراع الثقافي، لأن الأفكار والآراء والعقائد هي التي تسيّر التاريخ.

<sup>1</sup> - ماجد السامرائي، المرجع السابق، ص 103.

<sup>2</sup> - النازية renazi تسمية أطلقها أعداء هتلر على حزبه المسمى باسم nazipnal soekialistichepartu وقد أخذت التسمية من

اللفظ الاول وقد سموه باسم kaltur kampf

<sup>3</sup> - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 61.



\*الغزو الحضاري المنظم: من بداية الاستعمار تحول الانتشار الثقافي الى عملية فرض فكري متفرع عن الغزو السياسي وملازم له فأما في البلاد التي لم يكن لأهلها لغات كاملة مكتوبة، فقد سهل الأمر وأصبحت الاسبانية والانجليزية والبرتغالية والفرنسية لغات الحضارة في معظم البلاد التي فتحتها، ومع الغزو اللغوي سارت عملية غزو فكري فاتخذ أصل هذه البلاد الآراء الفرنسية والأدب الفرنسي إلى جانب اللغة، وأصبح من يريد التعلم من أصل هذه البلاد ملزماً بدراسة لغة الغالبين، إذ لا لغة تصلح للكتابة أو التعبير عن الأفكار غيرها<sup>1</sup>.

### \*الثقافة المهيمنة والثقافة المهيمن عليها:

إن القول بأنه حق الجماعات الاجتماعية المهيمن عليها لا تفتقر إلى موارد ثقافية خاصة، وعلى الأخص إلى تلك القدرة على إعادة تأويل ما يفرض عليها، إلى هذا الحد أو ذاك، من الانتاجات الثقافية هو قول لا يعني، العودة إلى تأكيد التساوي بين الجماعات كلها، وتأكيد التعادل بين ثقافتها، ويوجد دائماً داخل قضاء اجتماعي ما، تراتب ثقافي لم يخط كارل ماركس مثله مثل ماكس فير Max Weber ، بتأكيدها أن ثقافة الطبقة المهيمنة هي دوما الثقافة المهيمنة واضح أنهما لايزعمان بقولهما هذا أن ثقافة الطبقة المهيمنة لها نوع من التفوق الكامن في ذاتها أو لها قوة انتشار تأتيها من (جوهرها) الخاص وتجعل منها قوة مهيمنة على الثقافات الأخرى (طبيعياً) بالنسبة إلى ماركس كما بالنسبة إلى فير تتوقف القوة النسبية الخاصة لمختلف الثقافات خلال التنافس الذي يواجه بينها على القوة الاجتماعية النسبية الخاصة بالجماعات التي تسندها، إن الحديث عن ثقافة (مهيمنة) أو عن ثقافة (مهيمنة عليها) ضرب من المجاز إذ أن ما يوجد واقعاً هي جماعات اجتماعية تربط بينها علاقات هيمنة وثيقة<sup>2</sup>

\*مهن اللامادي: سنة 1991 على عتبة الإعلان عن أوتوسترادات الإعلام روبرت رايش، وزير العمل المقبل في إدارة كلينتون الأولى وصف الرأسمالية المعرفية بأنها رأسمالية (محلي أو محركي رموزاً) وظيفتهم تشخيص المشاكل وحلها، وأن يكونوا (سماسرة الأفكار) brokers of ideas مجال صلاحيتهم ما انفك يتوسع في الوقت عينه التي كانت تتغير فيه حدود مفاهيم العمل الفكري

<sup>1</sup> - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 64.

<sup>2</sup> - دنيس كونش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2007، ص

والثقافة، بدون وضع لائحة واسعة، ألما المهن المرتبطة بالبحث والنماء التقني العملي بالخدمات المعلوماتية، بالدرجة (الموضحة) \_ بالرسم design بصناعات الذوق، بوسائل الإعلام وصناعات الثقافة أو الفعاليات التي تحدد المعايير الاستهلاكية والقوالب الثقافية، البحث التسويقي واستكشاف الرأي العام، صناعة الاستشارة، إنشاء مصارف ومراكز المعلومات data mming... الخ، سادته الاعتقاد بحلول العقل الجماعي في الحال وسيطر على حرفي وناشطتي الثقافة التحكيمية في سنوات 1990، فقد وافق تكون قوة عمل جديدة مؤلفة من مقاولين مالكين لعملهم الخاص أو ميكروأسماليين في بداية الألفية<sup>1</sup>.

إن الأمي لا يبدع خصوصا في عصر كله علم وتقنية، وإذا كان الأمي في عصرنا الحاضر هو من يعرف لغة واحدة ويتعلق بالتالي داخل ثقافة واحدة، فإن أزمة الإبداع منظورا إليها في ضوء معطيات عصرنا لا يمكن تجاوزها إلا بتعميم المعرفة الكافية والضرورية باللغات الأجنبية الحية المعاصرة بين المثقفين، وفي المدارس والجامعات من جهة، وبالعامل على إعادة قراءة تراثنا قراءة معاصرة تستوعب المفاهيم والمناهج الجديدة وتوظيفها في خدمة الموضوع، لا إن يكون الموضوع في خدمتها من جهة أخرى، إضافة إلى الانكباب المتواصل على تحليل واقعنا والإنصاف لارجاعاته ونظاماته من جهة ثالثة، على أن العمل في هذه الواجهات الثلاث سيكون غير منتج، ما لم يكن مرفقا بجملة واسعة من أجل نشر المعرفة العلمية على أوسع نطاق<sup>2</sup>، ولسنا نقصد هنا نتائج العلم، كشوفه ومنجزاته، بل نقصد بصورة خاصة فلسفة العلم، أعني المفاهيم وطرائق التفكير المؤسسة لكل معرفة علمية إننا نستهلك العلم كمنجزات مادية أو نظرية، ولكننا لا نتيجة والسبب واضح أننا لم نتمكن بعد من إعداد التربة الصالحة لغرس شجرته، وليست هذه التربة إلا الفلسفة، فلسفة العلم بكيفية خاصة.

#### \*في المرجعية الأوروبية:

كان ذلك عن المعنى الذي يمكن أن تحمله وهي تحمله فعلا، لفظة (الروحانية) في المرجعية الثقافية العربية الإسلامية، أما في المرجعية الثقافية الأوروبية المسيحية فالأمر يختلف، ذلك أن معنى

<sup>1</sup> - أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تعريب، أحليل أحمد خليل، دار الفارابي، الطبعة 01، 2008، ص 204.

<sup>2</sup> - المرجع نفس، ص 63.

الروحية spirituelle والروحانية spiritualisme يتحدد داخل الفكر المسيحي الرسمي لاهوتا كان أو فلسفة، وليس فقط داخل التيارات الغنوصية التي قامت على هامشه والتي تعتبرها الكنيسة بدعة وهرطقة، وهكذا بينما لا نجد في المرجعية الثقافية العربية الإسلامية مضمونا واضحا ل(الروحانية) و(الروحانية) إلا داخل التيارات الغنوصية المنتسبة للإسلام نجد الفكر المسيحي الرسمي يدافع عن الروحانية لا بوصفها غنوصا، بل بوصفها عقيدة ومذهبا يعترف بالعقل بل يعتمد عليه كل الاعتماد، وبالتالي يرفض الغنوصية، ويحاربها هذا الطابع المميز للروحانية في الفكر المسيحي الرسمي الديني والفلسفي، نجده كامنا في المعنى الذي تحمله كلمة esprit التي تترجمها عادة بـ (الروح)<sup>1</sup> وهي ترجمة غير دقيقة اطلاقا، وهكذا ففي الحقل الديني المسيحي يطلق لفظ esprit على كل ما هو لطيف جدا وذو فاعلية، أي على الجواهر المفكرة، أي التي يشكل العقل صفة ذاتية لها.

وإن استحضار هذه الفروق بين معنى لفظة (الروح) في الحقل الثقافي والعربي الإسلامي ومعنى espitt في الحقل الثقافي المسيحي الأوربي يجعلنا نتبين بوضوح الفرق بين (الروحانية) أو (الروحانية) عندما تتبنى كمذهب أو ينادي بها كشعار في القضاء الفكري العربي الإسلامي وبين spiritualite أو spirituisme عندما تؤخذ كمذهب أو شعار في قضاء الفكر المسيحي، إن الروحانية spiritualite هي خاصية ما هو روحي "أي مستقل عن المادة" وبهذا المعنى يقال (روحانية النفس) la spiritaualite de l'ane الروحانية بالمعنى المشخص هي المبادئ التي تلهم الحياة الروحانية، للفرد أو الجماعة يقال مثلا هذه الممارسة لا تتفق مع روحيتهم كما يقال الروحانية الفرسيكانية وواضح أن هذه الاستعمالات للفظ (روحانية) غائبة تماما في القضاء الفكري العربي الإسلامي أما الروحانية spiritualisme فتقال بمعنى فلسفي ضيق وبمعنى عام، أما معناها الفلسفي الضيق فهي المذهب الذي يقول بوجود مبدأ جوهر في الإنسان مستقل عن البدن على الرغم من أن فعله يمكن أن يتوقف على البدن، الأمر الذي يعني أن التصورات والعمليات الفكرية وأفعال الإرادة لا تفسر كلها بالظواهر الفيزيولوجية بل لا بد من القول بوجود مبدأ روحي خالص هو النفس وأما الروحانية بمعناها الواسع، فهي المذهب الذي يقول إضافة إلى تأكيد روحية النفس، بالمعنى السابق

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، اشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص 151.

بوجود الله ووجود قيم روحية أخلاقية هي الهدف أو الغاية التي يجب أن ينشدها النشاط العقلي للإنسان وبعبارة عامة يمكن القول أن الروحانية تقوم بثلاثة أمور<sup>1</sup>.

1- القول بوجود مبدأ روحي في الإنسان هو النفس وهي مغايرة بطبيعتها للبدن

2- الاعتقاد بوجود الله

3- الإيمان بالقيم الروحية الأخلاقية بوصفها غاية النشاط الفكري الإنساني

ومن دون شك فعندما تتبنى الروحية كمذهب أو ترفع كشعار في الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر، فإنما يراد بها هذه الأمور الثلاثة، وهي تشكل مجتمعة رؤية للعالم تقف على طرفي نقيض مع رؤية أخرى تقوم على المادية materialisme أعنى المذهب الذي يفسر جميع الظواهر النفسية في الإنسان بالوظائف الفيزيولوجية ولا يقول بوجود اله ولا يربط القيم الأخلاقية بمبدأ روحي.

إن الصراع الحضاري الثقافي مستمر بصورة مقصودة أو غير مقصودة وهو في عصرنا صراع اقتصادي صناعي في الغالب، وهذا ما استخلصناه في مشروع طه حسين الثقافي وهو مبرز في تأكيده، على مجموعة من القيم والأفكار والمبادئ التي رأى فيها عوامل أساسية لنهضة مجتمعه وقد تركزت على العلم والتعليم، مقتبسا ما لها من معايير في الحضارة الغربية والثقافة الغربية، التي كانت تشكل عنده بقيمتها الفكرية ووجدوها التاريخي نموذجاً "للحياة التي ينشد إليها" فان صراع مظاهر الحضارة هو صراع ثقافي في النهاية، ويكفي أن نذكر ما أحدثه التطور التقني في عصرنا هذا من تفوق للغرب وحضارته ولغاته ولكل الأمم تشترك في هذا الصراع الحضاري بما يسر لها من أدوات.

#### \*الهيمنة الثقافية:

إن الاستعمار الفكري والثقافي هو بلا شك "أسوأ أشكال الاستعمار" وتكمن خطورة هذا الاستعمار في أنه يقوم بدور ارتكازي في عقلنة الهيمنة الاقتصادية وهو شرط أساسي من شروط ديمومة استغلال الشمال لثروات واقتصاديات الجنوب، ويوظف الشمال إمكاناته التقنية الضخمة ووسائل الإعلام وقنوات الاتصال المختلفة لكي يخضع ثقافات الجنوب لتوجهاته وقناعاته

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص، 154.

الإيديولوجية الخاصة، كما يقال الشمال بتصدير تجربته الحياتية والحضارية والتنموية<sup>1</sup>. وتعميمها عالميا ويصورها بأنها هي التجربة الحياتية الناجحة والمثالية والتي تستحق دون غيرها أن تكون نموذجا جديرا بالافتباس والمحاكاة، ولا يكتفي الشمال بهذا القبول الطوعي لقناعاته وتصوراتهِ الثقافية والإيديولوجية، وإنما يقوم دوريا بتعزيزه وترسيخه مستعينا على ذلك بالشركات متعددة الجنسيات ومؤسسات الإعلانات الدولية ووكالات الأنباء العالمية وبجيش هائل من الفنيين والخبراء وعلماء النفس ومن الذين يتقنون فن تزييف الوعي وترويض العقول كل ذلك من أجل نشر الثقافة الرأسمالية والتجارية الاستهلاكية وتعميم النموذج الرأسمالي وخصصها النموذج الأمريكي الخارق والمرفه والذي أصبح يسكن، كما يقول الدكتور فؤاد زكيا "داخل عقولنا ونفوسنا"

---

<sup>1</sup> - عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة كتب ثقافية، يناير 1989، ص 183.

## المبحث الرابع: نظرة نقدية تقييمية في نتائج استراتيجيات التنمية (وضعية الإنسان والمجتمع)

تعتبر الخصائص العلمية النظرية التي توصلت إليها الدراسة بمثابة محاولة تفسير وترجمة العلاقة المعرفية بين المفاهيم الأساسية التي شكلت موضوع هذا البحث والتي تجلت أساسا في إستراتيجية التنمية بالمجتمعات النامية والأخذ بالواقع التنموي ومن أهم النتائج التي توصلت إليها دراستنا هذه: إن أهم المنطلقات الفكرية والتاريخية لقضية التنمية بالمجتمعات النامية كانت متعددة ومختلفة من حيث الأهداف والأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وأن عملية التبنى التي تمت من قبل هذه المجتمعات لم تكن ناتجة حقيقة من أطر فكرية خاصة، بهذه المجتمعات ما عدا التصور الذي ينادى به "ماك بن نبي" إذا حاول تشكيل مفهوم التنمية لهذه المجتمعات من خلال تحديده لجملة من العناصر التي يقوم عليها نموذج للتنمية، والذي اعتبر أن مشكلة التنمية في جوهرها خلق شروط الإقلاع الحضاري حيث أنها ليست مرتبطة بحل مشكلة التخلف، وإنما مرتبطة بمشكلة حضارة في الأساس باعتبار أن مشكلة التخلف التي تعيشها هذه المجتمعات هي ليست وليدة العوامل الداخلية، وإنما هي نتيجة التبعية والهيمنة الخارجية.

### -المصالحة، الهدوء والانفتاح<sup>1</sup>:

أشار Erich fromm إلى أنه إذا أردنا أن نخلق هذا المجتمع الجديد المتصالح مع الطبيعة فيجب أن تحدث تغيير عميق على مستوى القلب الإنساني أو البشري

إن الوسائل والأهداف نفسها لتحقيق هذه المصالحة، فالمصالحة مع الجسد البشري والعالم هو الطريق الوحيد للمصالحة مع العالم والجسد، وأخلاق وقيم هذا المجتمع المتصالح، هم أنفسهم الذين سيقودوننا نحو هذا الهدف، وهم أنفسهم الذين يوجهوننا نحو الطريق الذي سنمشي فيه من أجل الوصول إلى هدفنا (المصالحة مع الطبيعة) وهذا الشيء لا يمكن أن نحققه إلا بالاجتهاد والحزم، وهذا الإحساس الجديد كما يلحظه "fram" هو الانتقال من مرحلة الامتلاك إلى الكون (fetre) (تكون إنسان) وتحقيق الذات ومن مرحلة الاستهلاك فقط إلى التقاسم والتضامن مع

<sup>1</sup> - jordi pigem, laodiseo de occide, nie modernidady ecos ofia, editiorial kairos, numancia 117-121-08-02913 barcelona 1993 p 122

الآخر partager ومن إرادة السلطة إلى المصالحة مع الحياة، ومن الدوامه نحو الفرج (الانفراج) إن مفاتيح هذه القيم الجديدة تستمر من الإحساس بالوحدة مع الكون والطبيعة، والكائنات البشرية الأخرى، (الآخر) واجتياز كل العراقيل أو الجدران الذين يعزلوننا.

يعتبر "اللاعنف" الذي أتى به غاندي ولد أو نشأ من اعتقاده بأننا كبشر كائنات موحدة وليست متفرقة، تشكل أو تكون جزء من كائن حي وحيد موحد، وعبر غاندي عن نظرية أو ضمير الوحدة بهذه المفاهيم: "المحيط يتكون من قطرات من الماء، وكل قطرة هي جزء وفي نفس الوقت هي جزء من الكل"<sup>1</sup> وفي (محيط الحياة) نشبه أنفسنا بهذه القطرات الصغيرة تشكل الحياة البشرية وبهذا الشكل إذ أحسننا بأننا متحدين أو كوحدة موحدة مع كل كائن حي، سننقل حتما إلى درجة الإحساس "باحترام الحياة" وعملي حسب رأي<sup>2</sup> albertschmertzzer احترام الحياة هذه هي القيمة أو المفتاح أو الأساسية الذي يحتاجها العالم من أجل انقراض نفسه.

يعني فهم وتقييم أو إعطاء أهمية لكل الكائنات الحية واحترامها كما هي (عدم محاولة تغيير أصلها) وتعني أيضا الأخوة (المأخوة) بين المبادئ، التعاون، التضامن والمسؤولية، ومن هنا فقط يظهر أيضا اللاعننف (السلام) كسلاح وحيد للقضاء على الصراعات وكلها فمفهوم "اللاعنف" لا يعني أبدا الجلوس أو الانتظار في سكينه في حين أن العالم يغرق ويتحطم لكن الجدير بنا أن نجتهد من أجل التقليل من العنف في الكون باستعمال كل الوسائل اللاعنافية من أجل ذلك، "فاللاعنف" في نظر المهاتما غاندي يتطلب روح واسعة، (نفس طويلة) ومحاربة أو الدخول في معركة مع الأعداء وهو كفاح من أجل كل الكائنات البشرية، وهذا يصيب في فكرة الفيلسوف سقراط: "ولا أحد يفعل الشر عن معرفة متعمدا"<sup>3</sup> والذي يفعل عكس ذلك فهو مشوش وبهذا الشكل من الأفضل أن تعاني من الظلم على أن تقتطفه" وفي نفس السياق يضيف اسبيتوزا sipinoza "الكراهية يجب أن تقضي عليها بالحب والكرم"

إن احترام الحياة هو مفهوم يجلب لنا الإحساس بالانتماء إلى الأمة، ولكل ما يدور حولنا من كائنات حية، والتشبهت بمكان يجلبنا إليه (الأرض) حيث اعتبر **hebd** أننا نباتات وإذا أردنا أن

<sup>1</sup> - عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص 123.

<sup>2</sup> - المرجع نفس، ص 124.

<sup>3</sup> - المرجع نفس، ص 125.

نزهة يجب أن تمتد جذورنا في أرض ما فهذا الإحساس (بضمير الوحدة كفكرة) بالوحدة مع كل كائن حي يجلب لنا فكرة (الهدوء) كضد للقلق والتمسك بإرادة السلطة أو التسلط يعني أن نسيج مع الطبيعة بدلا من محاولة التحكم فيها، ومحاولة استعمارها، تقبل ذاتنا الطبيعة كما هي على أصلها، الرضا بالقدر في كل لحظة، تقبل الاختلاف مع الآخر بدون عنف "...الهدوء من أجل تقبل كل ما لم تستطع تغييره، والشجاعة في كل ما استطعنا تغييره، والعلم لثمين أو إعطاء أهمية للاختلاف"<sup>1</sup> فالهدوء يتطلب أن نعيش الحاضر، وأن نكون متناسقين، نزهاء، شفافين، ومحاولة إيجاد السعادة في الحاجة وليس في أن تمتلك كل شيء، وليس في الامتلاك إنما في أن نكون (إنسان) وأيضا يتطلب الاعتراف وتقبل الاختلاف والتنوع الموجود في كل ما هو حي، وتدعيم وتحفيز اللامركزية والاستقلالية لدى الأشخاص والشعوب، وتقبل الآخر في اختلافه معنا في جماعة، فكل شخص يعيش معنا كشخص نزيه وشريف وحتما لديه اعتقاده الشخصي الذي يجب أن يحترم ففي الفلسفة الهندية يتكرر قول "أنت أيضا محق" وكما كتب coomaraswamy: "الفنان هو نوع خاص من الأشخاص وكل شخص هو نوع خاص من الفنان"، ولهذا أفضل طريقة أو وسيلة لتدعيم هذا المشروع هو (الحوار) لكن ليس (حوار الصم) الذي تسمح فيه صدى صوتنا، لكن هو الإنصات للآخر بتمعن وإصغار ومحاولة النظر إلى العالم بعينه أو نظره.

#### \*التغيرات العالمية والتنمية:

يمر العالم بمرحلة انتقالية تدخل فيها الكثير من الدول فيما يسمى بعصر ما بعد الحداثة post modernism هذا ما يراه الكثير من الباحثين في هذا المجال، وان كانت الدول النامية والمتخلفة لم تحقق بعد مستوى مهما من التحديث والعصرية، فإن عليها بالضرورة أن تتعامل مع القواعد والشروط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي بدأت تفرضها الدول المتقدمة بمعنى الدول الرأسمالية التقليدية، ولقد وجدت المجتمعات النامية نفسها أمام أساليب جديدة للعلاقات الاقتصادية والسياسية اتصفت بالاستغلالية والهيمنة قصد تكريس أوضاع غير متكافئة في إطار نظام دولي تسيطر عليه قوى الرأسمالية المعاصرة.

<sup>1</sup> - عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص 125.



أين نحن:

1- التنقل عبر التغيير: في الثلاثين سنة الماضية، تبني السياسيون والبيروقراطيون في جميع أنحاء العالم الإرث الاقتصادي باعتباره المعيار الوحيد، ولقد تم بناء العالم على صورة الاقتصاديين، هذه القوة للنظرية الاقتصادية لم تجعل العالم أفضل، على العكس من ذلك، إذا كانت الشركة تعاني بالفعل من مشاكل، فقد زاد الأمر سوءا عدم الاستقرار وعدم الكفاءة (الأقل) stoeve keen هذه أوقات مجنونة مرتدية بذلات باهظة الثمن p.aul krug man

2- كايروس:

عند التفكير في سماء الليل، نرى الأبراج ترتفع من الشرق إلى وقت لاحق، مثل الشمس عند الظهر، تصل إلى أعلى نقطة وتنحدر باتجاه الغرب، ولهذا التغير بالطبع في مسار النجوم أطلق عليه اليونانيون القدماء، اسم كايروس وهي كلمة انتهى بها الأمر مما يعني أن لحظات كايروس هي لحظات من الشدة الخاصة التي تحدد مسار اللحظة المناسبة، تلك اللحظة بآفاق وافتتاح آفاق جديدة، لحظات كايروس هي لحظات ذات كثافة خاصة تميز مسار المحادثات والأيام والحياة<sup>1</sup> كما أن مسار المغامرة البشرية على الأرض يعيش كايروس، وهي لحظة تحول هادئة، تشكل أزماتنا المتعددة جزءا منها تلك التي تؤثر على بيئة الكوكب، والاقتصاد العالمي، ومؤسساتنا القديمة، والمعرفة والقيم الإنسانية، في علاقاتنا الاجتماعية، وإحساسنا بوجودنا في العالم تنمو التوترات وتظهر ظلال الانهيار حيث لم يكن متوقعا، الآن ينتهي المسار التوسعي الذي قاد مسار الحضارة لآلاف السنين إلى نهايته، ليس نهاية الحضارة ولكن نهاية هذا المسار، مسار حاولت فيه مراكز القوى السيطرة على المزيد من الناس واستغلالهم والمزيد من الأراضي والموارد، مسار يتلخص بكلمة: تاريخ "ويصطدم هذا الآن بحدود الكوكب، والبشرية والمعرفة القائمة على السيطرة "التاريخ هو كايروس أعيش من خلاله على الاستيقاظ".

يقول غرور جيمس جويس في أوليس إن لحظة الاستيقاظ من هذا الكابوس هي الآن نحن نعيش لحظة فريدة من نوعها، وكايروس كلما فهمنا معناها، كلما أعدنا استعدادا أفضل لتوجيه أنفسنا من خلال الاضطرابات والظهور في واقع جديد.

<sup>1</sup> - عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص 13.

### \*من الديمقراطية إلى التكنوقراطية:

في ثلاثين سنة الماضية، تم تشويه الديمقراطية من قبل التكنوقراطية، فالتكنوقراطية كما يوحي اسمها هي السيطرة على الاقتصاد والمجتمع من معايير غير إنسانية، ولكن تقنيا وحصريا الخوارزميات (تسلسل القواعد والحسابات) التكنوقراطية تحضر فقط النماذج التجريدية وتسلسل الصيغ والإحصائيات، لكن الكمبيوتر ينظم البيانات فقط، بينما بحلول التكنوقراطيون إلى تنظيم حياتك<sup>1</sup>.

لقد عاد التفكير التكنوقراطي إعادة تصميم المجتمع والكوكب، بحيث أصبحوا في خدمة الاقتصاد والمال، وكأن النظرة التكنوقراطية، لا ترى سوى الأرقام والتجريدات أمامها، ليس الواقع الحي الذي يسير مع حدوثه والمعاناة التي يولدها التعليم والثقافة، والصحة والرفاهية، والشعور بالمجتمع، وكل شيء يجعلنا انسانا مناسبا، في أوروبا اليوم يعمل التكنوقراطيون في الغالب من خلال "الترويك" وهي عبارة عن شكل من أشكال البنك المركزي الأوروبي من قبل القرون الوسطى وصندوق النقد الدولي، ومن هنا تم اشتقاق معنى كلمة -عمل-

يشير بول كروغمان إلى التكنوقراط الذين يحمون العالم اليوم كأشخاص عاقلين على ما يبدو ثم القبض عليهم من قبل طائفة شديدة الخطورة من قبل طائفة التقشف، من خلال الاعتقاد بأن العجز في الميزانية، وليس البطالة بشكل عام هو الخطر الواضح، والواضح الذي يصدره التكنوقراط بأنه قبل كل شيء يجب أن يكون منطق السوق مثلما لخصته أنجيلا ميركل **Angela Merkel** في صيف 2011، عندما تحدثت في الإذاعة أن التغيير الديمقراطي وفقا للسوق هو أن يتم مطابقة الديمقراطية، يتم ضبطها لتقف مع ما تسمح به السوق.

لكن الاقتصاد المعلوم أظهر أن قوانين السوق لا تؤدي دائما إلى التخلي عن الخير للعنصر الأساسي للعملة، حيث تميل إلى ترك الكثير من الأشخاص الذين يولدون منتجا جيدا لتفادي المسؤولية الاجتماعية والبيئية وتوجيه بعض توزيعات الثروة التي سبق أن تم تسجيلها في المجتمعات المحلية.

<sup>1</sup> - عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص 16.

\*معزولون عن العالم الحقيقي:

نبوءة مسوية إلى الهنود بكونها موجهة إلى الرجل الأبقى نقول "أنه فقط إذا قطعت الشجرة الأخيرة سممت آخر نهر وأشعلت آخر سمكة عندها ستدرك أن المال لا يمكن أن يؤكل"

إن التكنوقراطية تفترض الكفاءة ويبدو أنها تحصل عليها في المدى القصير والمناطق القابلة للقياس الكمي، وعلى المدى الطويل ومن منظور أوسع، نرى ذلك، فمن خلال تقليص كل شيء إلى التجريد فإنها تغيب عن العالم الواقعي، وبدلاً من توليد الكفاءة فإنها تولد الإهمال<sup>1</sup>.

يتم تجاهل جميع القيم الأخلاقية أو الإنسانية أو البيئية، أو الواقع تعتبر عقبة، أما ما يهم حقاً حركة الأموال والشخصيات المجردة الأخرى، كل شيء مفرط في التقدير من الميزانيات المشكوك فيها جداً، يقلل الاقتصاد التكنوقراطي، من تعقيد العالم للتجريد والحصول على نتائج منطق لا تشوبها شائبة، ولكن دون علاقة بالواقع الحقيقي لأنه كما قال اينشتاين وأكدته في مؤتمر أمام أكاديمية العلوم البيروسية: "بقدر ما تشير مقترحات الرياضيات إلى الواقع، فهي غير صحيحة بقدر ما تكون صحيحة، إذن هي لا تشير إلى الواقع"، كان على الاقتصاد التكنوقراطي أن يتجاهل تجربة التاريخ الاقتصادي.

ومهما يكن فإن التغيرات التي حدثت في المجتمعات الإنسانية اقتصادية كانت أم سياسية أم ثقافية، جاءت عموماً لتبرز فشل النماذج التي كانت قائمة من جهة، وفرضت نظاماً ونماذج جديدة، بمعنى أن هذا التحول لم يكن وليد الصدفة، بل جاء وفق آليات وقواعد رسمت معالمه ضمن طبيعة العلاقات بين الشمال والجنوب، أو ما يسمى بين دول متقدمة ودول متخلفة، ويشير "عبد القادر محمد عبد القادر عطية" في كتابه الموسوم "اتجاهات حديثة في التنمية" أن التغيرات التي حدثت بدول العالم كانت سريعة، وكان لها تأثير على معظم اقتصاديات المجتمعات النامية، ومن أهم خصائصها أنها متشابكة بغدٍ بعضها بحيث يصعب تحديد أيها السبب وأيها النتيجة، ويمكن تلخيص هذه التغيرات في أربعة عناصر أساسية تتمثل في:

<sup>1</sup> - عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص 24.

1- زيادة موجة التحرر الاقتصادي

2- إقامة منظمة التجارة العالمية

3- تزايد قوة التكتلات الاقتصادية الدولية

4- ظهور العولمة وسرعة انتشارها.<sup>1</sup>

وعلى أية حال فإن نصيب الدول النامية من مكاسب الاندماج الاقتصادي والاجتماعي، قد اختلفت وتباينت مستوياته من مجتمع لآخر فمنه من تسنى له تحقيق معدلات نمو مستقرة، في حين أخفقت مجتمعات أخرى في تحقيق وملازمة تنمية واسعة، وأصبح على آخرين تطوير آلية السوق المحلية، ونوع آخر من الدول النامية لا يزال يعاني من عدم التوافق بين متطلبات الاندماج، وما يفرضه من قيم وقوانين جديدة تصبح متعارضة مع ما كان موروثا.

#### \* فشل النموذج المادي في تفسير ظاهرة الإنسان:

تؤكد العقلانية المادية عناصر التجانس والتكرار والكم والسببية والآلية، ولذا فهي تتسم بمقدرة عالية نوعا على رصد حركة الأشياء ودراستها، فالعقلانية المادية تتحرك في إطار الواحدية المادية التي تخضع لها الأشياء، أما الإنسان فهو ظاهرة تتجاوز حدود الواحدية المادية، ولذا فإن سلوكه، سواء في نبه أو صنعه في بطولته أو حساسيته، ليس ظاهرة مادية محضة، وإنما ظاهرة مركبة لأقصى حد:

1- فعقل الإنسان له مقدرات تتحدى النموذج التفسيري المادي، حتى إننا نجد عالما مثل تشومسكي ينكر تماما أن عقل الإنسان مجرد صفحة بيضاء سلبية "وهو الافتراض الوحيد المتاح أمام الماديين" وإنما هو عقل تنشط يحوي أفكار كامنة فطرية، ولذا نجد أن تشومسكي يتحدث عن معجزة اللغة باعتبارها ظاهرة لا يمكن تفسيرها في إطار مادي، وإنما في إطار نموذج توليدي يفترض كمون المقدرة اللغوية، في عقل الطفل، وهذا الكمون يعني أن العقل ليس مجرد المخ، مجموعة من الخلايا والأنزيمات.

<sup>1</sup> عبد القادر محمد عبد القادر عطية، اتجاهات حديثة في التنمية، مصر، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2000، ص 229.

2- ثم يأتي إلى مشكلة الفكر، يدعي الماديون أن الفكر هو صورة من صور المادة أو أثر من آثارها (فالطفل صفحة بيضاء تتراكم عليها المعطيات الحسية وتتحول الى أفكار كلية بطريقة آلية" وهي مقولة قد تبدو معقولة، ولكنها تختلف من المشاكل أكثر مما تحل، والسؤال هو: لماذا يأخذ الفكر هذه الصورة بالذات؟ ولماذا تختلف أفكار شخص عن أفكار شخص آخر يعيش في الظروف نفسها؟ وهل الأفكار عصابات وأنزيمات تتحرك، أم أنها شيء آخر؟ وما علاقة المؤثر المادي بالاستجابة الفكرية أو العاطفية؟

ولنأخذ فكرة مثل السببية، المعطيات الحسية المادية غير مترابطة ولا علاقة لها بأي كليات ومع هذا يدرك العقل الواقع لا كوقائع متناثرة، وإنما كجزئيات تنضوي تحت كل متكامل، ولا يمكن أن يتم الإدراك إلا بهذه الطريقة ولذا نجد أن الماديين (في عصر ما بعد الحداثة) ينكرون تماما فكرة الكل، ويعلن نيتشه موت الإله الذي يعني في الواقع نهاية الكل، وهجوم الماديين والطبيين على الكل أمر طبيعي، ففكرة الكل تذكرنا بمعجزة الإنسان الذي يتجاوز النظام الطبيعي، وحركة الإنزيمات والذرات والأرقام، ومن ثم فإنها تخلف ثنائية راديكالية تستدعي مرجعية متجاوزة للنظام الطبيعي، وهي الإله، فالكل يؤكد تجاوز الإنسان وتجاوز الإنسان يؤكد وجود الإله كمقولة تفسيرية، ولذا لا بد وأن تهاجم هذه الفلسفة فكرة الكل حتى يعود الإنسان إلى الطبيعة، ويستوعب فيها، وهكذا بدأت المادية بمحاولة تحطيم خرافة الميتافيزيقا، وانتهت بالهجوم على فكرة الحقيقية ذاتها.

فالمادية تفشل في تفسير إصرار الإنسان على أن يجد معنى في الكون ومركزا له، وحينما لا يجد معنى له فإنه لا يستمر في الإنتاج المادي، مثل الحيوان الأعجم، وإنما يتفسخ ويصبح عدما ويتعاطى المخدرات وينتحر ويرتكب الجرائم دون سبب مادي واضح وقضية المعنى تزداد حدة مع تزايد إشباع الجانب المادي في الإنسان، فكأن إنسانية الإنسان لصيقة بشيء آخر غير مادي والبحث عن المعنى قد عبر عن نفسه على هيئة فنون وعقائد، وكما يقول علي عزت بيجو فينتش<sup>1</sup>: فإن "الدين والفن مرتبطان بالإنسان منذ أن وجد على وجه الأرض، أما العلم (المادي)

<sup>1</sup> - عبد الخالق عبد الله، المرجع السابق، ص 55.

في حديث، وفشل العلم المادي الذي يدور في إطار نماذج مادية في تفسير الإنسان وفي التحكم فيه هو دليل فشله في إدراك الظاهرة الإنسانية، وإدراك إن الحلول التي يأتي بها حلول ناقصة.

#### \* مفهوم تنمية المجتمع:

يعد مفهوم التنمية من أهم المفاهيم العالمية في القرن الحادي والعشرين، حيث أطلق على عملية تأسيس نظم اقتصادية وسياسية متماسكة، فيما يسمى بـ "عملية التنمية" ويشير المفهوم لهذا التحول بعد الاستقلال في الستينات من هذا القرن في آسيا وإفريقيا بصورة جلية، وتبرز أهمية التنمية في تعدد أبعاده ومستوياته وتشابكه مع العديد من المفاهيم بصورة development الأخرى مثل التخطيط والإنتاج والتقدم وقد برز مفهوم التنمية أساسية منذ الحرب العالمية الثانية حيث لم يستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره، في عصر الاقتصادي البريطاني البارز آدم سميث Adam Smith في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلا على سبيل الاستثناء فالمصطلحان اللذان استخداما للدالة على التقدم material progress حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كان التقدم المادي ecomonic progress الاقتصادي.

ويتضح أن مجال العلوم الاجتماعية هو العلاقات التي تظهر بين البشر في إطار تجمعاتهم الإنسانية، وكذا النشاط الاجتماعي للإنسان عند تعامله مع البيئة الفيزيائية والحيوية لمصانع ومنشآت الخبرات المادية، ومبدع ومصور لايحاءاتها ودلائلها، وكمنتج ونتاج، وكمؤثر ومتأثر، وكفاعل ومتفاعل مع بيئتها الحضارية والثقافية

#### \* نشأة وتطور العلوم الاجتماعية:

لقد كانت نشأة العلوم الاجتماعية عبر سلسلة من التراكمات الفلسفية ابتداء من الإرهافات الأولى لحضارات الشرق القديم مروراً بالتراث الفلسفي الإغريقي والإسهامات الرومانية والإسلامية وصولاً إلى عصر النهضة الذي استفاد من الإسهامات السابقة، ثم إعطائه لدفعة منهجية قوية لهذه العلوم لينقلها من فلسفة اجتماعية إلى علوم اجتماعية ذات تقنيات منهجية مستقلة طورت التعامل الظواهر من مستوى التوصيف إلى مستوى التحليل والتفسير فنشأت بذلك مدارس أكاديمية تعددت بتعدد الرؤى لمجال الدراسة من جهة، أو طبيعة المنهج

وتطبيقاته من جهة أخرى، بحيث تشكلت موجات أكاديمية متعاقبة جسدت المستوى الذي بلغته هذه العلوم لدى الغرب كالانتقال من طور الدراسات البنيوية أو النسقية للظواهر في إطار المنهج البنيوي النظامي مروراً بالدراسات الوظيفية الحركية التي تأخذ بعين الاعتبار وظائف البنيات متجاوزة بذلك تحليل أنساقها البنائية، وصولاً إلى الدراسات التفكيكية التي هي في طور التشكل ومهما يكن فإن هذه التطورات والتحويلات المتعاقبة كانت معبرة عن حركية المجتمعات الغربية ومسايرة للإشكاليات والظواهر والأزمات التي تطرح على مختلف المستويات الأخلاقية والسياسية والاقتصادية، لأن تطور المجتمع كما هو معلوم يفرز تناقضات وإشكاليات تحتاج إلى استيعاب واحتواء لأجل ضمان إنتاج ذلك المجتمع لوسائل نمو وتطوره، من هذا المنطلق لعبت الدراسات الاجتماعية دوراً محورياً في عمليات التنمية والمسار البنائي والحضاري للمجتمعات الأوروبية، فهي أداة تنظيم وبناء وتطوير وتكييف فما يعرف مثلاً عن السياسة في دولة كالولايات المتحدة الأمريكية أنها سياسة تصنعها مخابر الدراسات والأبحاث ففي سياسة تدور في تلك الأفكار وليس الأشخاص كما هو الحال في دول العالم الثالث، فالسلوك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لدى الغرب منطلقاته عملية وتؤطر دوائر علمية وأكاديمية.

#### **\*العلوم الاجتماعية والتنمية:**

يعتبر التعليم وظيفة اجتماعية يفترض أن يكون إطاراً مؤهلة في مختلف مجالات المعرفة والفعل، ويساهم في ترقية المجتمع تكنولوجياً كما يجب أن يكون عاملاً في إطار التكوين الثقافي إضافة إلى احتوائه على مضمون جديد مكيف حسب الحاجة الوطنية، وذلك بإعادة تشكيل السياسة الحقيقية للتربية والتكوين العلمي والتقني، وأن التنمية التي تقصدها هنا هي عملية مجتمعية كاملة ومتكاملة الإنسان فيها هو هدفها النهائي ووسيلتها الرئيسية، ومن هنا يصعب الفصل بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المختلفة، وكل من هذه العوامل يشكل عاملاً مستقلاً وتابعا في آن واحد، ومن أجل تحقيق التنمية التي تهدف إلى تحقيق حياة أفضل للإنسان، فإنه لا بد وأن يكون قادراً على التحكم في بيئاته والاستعمال الكامل لمواردها وزيادة كفاءتها.

وإن التنمية الاجتماعية هي عملية إرادية مخططة هادفة في بناءه تطمح إلى تفعيل الطاقات والإمكانات والموارد المادية والبشرية واستنفاد جهود الدولة وقطاعها العام والجهامير وقطاعها

الخاص، من أجل إحداث تغييرات في المجالات الاجتماعية كالنظام المواقف والقيم والمعتقدات، دون إهمال الحاجات الأساسية والخدمات والمستوى المعيشي، أي العمل على توفير كل ما من شأنه خدمة الإنسان ورفاهيته، ورفع مستواه المادي والروحي حاضرا ومستقبلا، ولا شك أن العلوم الاجتماعية كفرع أكاديمي بمختلف تخصصاته بإمكانه الإسهام في تحقيق هذه المطلب والرقي بالمجتمع إلى مصاف المجتمعات المتطورة.

### \*النفس و المجتمع:

الوعي أو العقل ما هو عند الماركسيين إلا ظاهرة تابعة هو "نسخة انعكاس صورة فوتوغرافية" للمادة حسب تعبير لينين. أن الوعي عندهم لا قائمة له بدون الجسم، وما هو الإنتاج نتيجة الدماغ، إن المادة هي دائما المعطى الأول، أما الوعي، أو العقل فإنه المعطى الثاني أو التالي دائما وينتج عن ذلك أن الوعي ليس هو الذي يحكم المادة ويقودها، وإنما هي المادة التي تحكم الوعي وتوجهه، وهكذا فإن علم النفس الماركسي علم مادي وحتمي معا، ومع ذلك فإن الاتجاه الحتمي الماركسي عند الماديين السابقين، وإذا كان الإنسان نفسه ومع ذلك يظل خاضعا للحتمية التي تعرضها عليه القوانين الإنسانية إلا أنه يبقى واعيا بخضوعه ذاك، وكما قال هيجل فإن الحرية ما هي في الواقع إلا (الوعي بالضرورة) ومن جهة أخرى فإن الماديين الجدليين<sup>1</sup>. يرون إن المادة لا تحدد الوعي وتوجهه بشكل مباشر أوتوماتيكي إنما هي تفعل ذلك من خلال توسط المجتمع بينها وبين الإنسان، وإن الإنسان عند الماركسيين كائن اجتماعي في جوهره، وبدون المجتمع لا يستطيع الإنسان العيش فهو لا يمكنه أن ينتج ضرورات الحياة اللازمة لبقائه إلا في إطار المجتمع، لكن أدوات ذلك الإنتاج ومناهجه تعود بدورها لكي تحدد أول ما تحدد العلاقات الإنسانية بين البشر بعضهم لبعض، تلك العلاقات التي تنشأ بسبب الإنتاج وتعتمد عليه، ومن خلال تحديد تلك العلاقات الإنسانية فإن أدوات الإنتاج ومناهجه تصل إلى تحديد وعي الإنسان، هذه إذن هي القضية الأساسية التي تقدمها المادية التاريخية، إن لكل ما يفكره الإنسان ويرغب فيه ويريده، إلى غير ذلك ما هو في نهاية الأمر إلا نتيجة تنتج عن حاجاته الاقتصادية التي تحدد طرق الإنتاج

<sup>1</sup> - أم بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة د. عزت قري، سلسلة كتب شهيرة، عالم المعرفة، الكويت، صدرت السلسلة في يناير 1978، المرجع السابق، ص 98.



والعلاقات الاجتماعية التي يخلقها هذا الإنتاج، هذه الطرائق تلك العلاقات تتنوع بغير توقف، وهكذا يخضع المجتمع لقانون التطور الجدلي هذا القانون الذي يعبر عن نفسه في الصراع الاجتماعي بين الطبقات، وخلاصة القول ان كل مضمون الوعي الإنساني يحدده المجتمع ويعدل ويتغير وينوع حسب التطور الاقتصادي.

خاتمة

### خاتمة:

نستخلص مما تبين لنا في الفصول السابقة أن الطبيعة الروحية المثالية تسعى للبحث عن المثال أو النموذج في تحقيق التوازن بين العقل ونظام الحياة المادية اليومية، فالحياة تجمع في طياتها بين التقدم والتدهور والانتصار والهزيمة، ولذا يسعى المثالي لكي يواجه مشكلات لإثبات أن الكون معقول ومنسق، وأن الكون بناء متكامل من الأفكار والقضايا للوصول إلى الحقيقة، وإن تطور العلم الغربي الحديث هو الميل إلا أن مختلف المذاهب مثل المذهب الطبيعي بأن العالم المادي هو كل ما في الوجود، أما المذهب اللامادي الذي يرى أن الوجود هو الإدراك وإنكار المادة. وإذن فالترعة المثالية تعتمد على الحركة والنشاط وهي من مميزات الروح فقط، وأن المادة عبارة عن كتلة جامدة لا صورة لها، و لا يمكن أن تنتج أي شيء بنفسها وإذا تحركت فإن الله هو الذي يحركها أو الروح، حيث تحدثنا عن طبيعة وجود الله و علاقته بالطبيعة من أفلاطون الذي قدم براهين عليه، وعن إنكار وجود المادة في المذهب اللامادي، فهذه الأخيرة " اللامادي " هو المنهج الوحيد الذي يبرزه بركلي لإنكار المادة وهو مذهب يحمي العقيدة والمجتمع الإنساني بكل أبعاده، ومن خصائص المثالية بأن الروح أصل والمادة فرع على العكس من الفلسفة المادية، ولقد توهم بركلي أو مجرد إنكاره للمادة وسلب الطبيعة من صفات الثبات والفاعلية والعلية، يؤدي بالضرورة إلى المحافظة على عالم الألوهية والروح إلا أنه في الحقيقة قد مهد الطريق لهيوم حيث لا عقل ولا مادة، بل أن التجربة هي المصدر الوحيد لمعرفتنا، إي علاقتنا بالواقع المعاش ويتجسد المذهب اللامادي على الخصوص وبشكل أبرز في تطوير قضايا الفكر والتنمية في الجانبين الروحي والمادي، ويعترف التوحيد المسيحي بأن وجود الواقع المادي في العالم ولكن هذا الواقع المادي حقيقة ثانوية، أما الكون الحقيقي والواقع النهائي العميق فهو الروح والله روح صرف شامل.

وعلى هذا فالعقل الإنساني لا يستطيع أن يعرف الله لأن المعنى الذي عندي عن الله لا يعبر عن الألوهية ألا من حيث الاسم، لهذا يستحيل على العقل الإنساني معرفة وجود الله أو طبيعة الألوهية، ولقد نجحت اللامادية في إنكار وجود المادة وفقا للتصورات المطروحة عن المادة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولكنها لم تصل إلى أن تجعل وجود الله موضع اعتقاد فلسفي، ولهذا التمسنا في بحثنا أن ثمة مبررات لتلك النتيجة الخطيرة التي قد تؤدي بالمذهب إلى الهاوية، ولقد حاول بركلي استخدام سيف ذو حدين: فقد استخدمها حدا قاطعا لتدمير الدين الطبيعي والحد الآخر ليحمي ويجعل دورا للعقيدة الدينية، وبعد هذا البحث نتساءل هل استطاع المذهب اللامادي " المثالية" أن تحقق الغاية من الفلسفة وهي خدمة الدين وهل استطاعت إنكار المادة واعتبار أن كل شيء في الطبيعة بمثابة أفكار في العقل الإلهي، يثيرها في عقولنا أو يطبعها على حواسنا ولا وجود لها بمعزل عن العقل وعلى هذا ينكر الفيلسوف بركلي وجود المادة ويصبح وجود الله بوصفه علة ثابتة فعالة مبدعة ضرورية في المذهب اللامادي. ولعل أن المفكر يلعب دور المؤطر والموجه لهذه العملية الذي يساعده على تحرير العقل من شوائب التفكير، وعلى هذا الأساس فالعالم بحاجة إلى تحقيق التنمية، وإذا أردنا أن نفهم الفكر الذي يقود الحضارة الغربية يجب العودة إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر منذ عصر النهضة باعتبارها مشروعا تنمويا و فلسفة إستراتيجية تترجم واقع المجتمع ورؤيته للحاضر والمستقبل، وعليه فالنهضة عملية تغير حضاري شامل يتناول جميع أبنية المجتمع وأدواره ويشمل الجوانب المادية والإنسانية فيه، فالتنمية هي تحقيق عملية حضارية في مختلف المجتمعات الغربية والعربية لبناء للإنسان وتحريره وتطوير كفاءاته وإطلاق قدراته وتحسين موارده، كما تشمل مفهوم التنمية في المجتمع محاور متعددة إذ تنطلق من الواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والحضاري وهذا ما تطرقنا إليه في الفصلين الثاني والثالث لإحداث جذري في الواقع الغربي والعربي، ضمن رؤية إستراتيجية للمستقبل وكيفية الوصول إليه. ومن الأهداف التي توصلنا إليها هي تحسين حياة البشر، وهذا يعتمد على مستوى إشباع حاجات الأساسية والثانوية وتحقيق الأهداف والغايات التي يتطلع بها مجتمع من المجتمعات في مختلف جوانبها أو

لاسيما لدى دول العالم النامي، وظهرت الدراسات والأبحاث والنظريات عن التنمية الاقتصادية وهذا ما تبين في كتب "جوردي بيخيم" المفكر الإسباني، ويجب أن تكون في جميع الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية، وأن البشرية رغم الصراعات السياسية والمطالع الاقتصادية والاختلافات الثقافية، أو الخلفيات الإيديولوجية تجعل الإنسان معنيا بكل ما يدير في هذا العالم الخارجي. ولهذا فالمنطلق الذي انطلقنا من خلاله هو منطلق روحي ينمي الجوانب الروحية وأنا الجانب المادي ما هو إلى انعكاس لهذه الجوانب، ولهذا فهناك علاقة جدلية بين المذهب اللامادي والتنمية العملية في المجتمعات الغربية والعربية.

# فهرس المصطلحات

## فهرس المصطلحات

| الانجليزية            | الفرنسية               | العربية           |
|-----------------------|------------------------|-------------------|
| Idealism              |                        | المثالية          |
| Note                  | La doctrim             | المذهب            |
| Immaterial            | La nonlamique          | اللامادي          |
| Development           | Developpement          | التنمية           |
| Ideology              | Ideilogie              | الإيديولوجيا      |
| Lheology              | Lheologie              | اللاهوت           |
| Materialism           | Matiérisme             | المادية           |
| Dialectcalmaterialism | Materialismedilictque  | المادية الجدلية   |
| Historicalmaterialism | Materialismehistorique | المادية التاريخية |
| PeriodRemaissanc      | Renaissance            | عصر النهضة        |
| Spirtual              | La Spiritualite        | الروحية           |
| Criticismltheory      | Lheinecritisme         | النظرية النقدية   |
| Nursery               | Civilsation            | الحضارة           |
| Issues of lhought     | Problemes de pensee    | قضايا الفكر       |

# قائمة المصادر والمراجع



قائمة الببليوغرافيا:

القرآن الكريم

قائمة المصادر:

أ-المصادر باللغة العربية:

- 1-أندرية كريسون، تيارات الفكر الفلسفي، ترجمة نهاد هنا، منشورات عديدات، بيروت 1962.
- 2- ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟ ترجمة عبد الرحيم حزم، الدار البيضاء (المغرب)، 2012.
- 3- ادغار موران، إلى أين يسير العالم؟ ترجمة احمد العلمي، الطليعة مطابع الدار العربية للعلوم بيروت، (لبنان)، الطبعة 01، 2009.
- 4- ادغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد النصور ومنير الحجومي دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، (المغرب)، ط1، 2004.
- 5-ادغار موران، تربية المستقبل، تر: عزيز لزرق منير الحجومي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 2002.
- 6-أفلاطين، اتولوجيا، أرسطو طاليس، تحقيق: د.عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية 1966.
- 7-بول ديورات، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وآراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988.
- 8-حسين مروة، التزايدات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية، دار الفارابي، بيروت، ج1، ط1 1981.
- 9-روبرت هيليروز، قادة الفكر الاقتصادي، تر: راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 2002.
- 10-سيد قطب، الاسلام ومشكلة الحضارة، دار الشروق، بدون تاريخ.
- 11-سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت، مكتبة البنات، 1997.

- 12- طيب التيزيني، الماركسية تطرح أسئلتها من جديد عبر إعادة .....ايدولوجيا وسوسيولوجيا ومعرفيا، حاوره: محمد باروت، كاتب عربي من سوريا، مقابلة فكرية، مجلد/ العدد مج 25، ع 287، 2003.
- 13- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2 2010.
- 14- فريدريك هيجل، الأعمال الكاملة، محاضرات فلسفة الدين، الحلقة الأولى، مدخل إلى فلسفة الدين، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، (مصر)، 2001.
- 15- فريال حسين خليفة، فكرة الألوهية في فلسفة بركلي، كلية التربية، جامعة عين الشمس ط1، 1997.
- 16- فريدريك كويلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد السابع (من قشته إلى تيتشه) تر: إمام عبد الفتاح إمام: محمد سيد أحمد: حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة القاهرة، ط1، 2016.
- 17- كافين رايلج: الغرب والعالم، تر: عبد الوهاب المسيري، د.مهدي عبد السميع، الكويت سلسلة عالم المعرفة، العددان 90، يونيو (حزيران) 1985.
- 18- مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، تر: عبد الصبور شاهين دمشق، دار الفكر، 19981.
- 19- مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1976.
- 20- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر بدمشق، ط4، 1984.
- 21- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر بدمشق، بدون سنة.
- 22- مالك بن نبي، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، تر: صلاح هلال، المركز القومي للترجمة ط1، 2011.
- 23- ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في عمل الاجتماع، تر: صلاح هلال المركز القومي للترجمة ط1، 2011.
- 24- ماركيز، هربون، العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، تر: الدكتور فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1960.

ب-المصادر باللغة الفرنسية والانجليزية:

- 26-Engle and taylor, Berkeley's, principles of human knowledge wadsworth publishing company, inc belmontn california 1968.
- 27-Berkeley.George, A treatise concerning the principles of Human knowledge, the ope, coustseries. Oxford, 1710.
- 28-John iulton wisson, the unconscions orifin of Berkeley's philosophy, london, the Hogarth. Press 1953.
- 29-Batten the commuties and their devlopement, london, oxford, university, press1957.
- 30-Chark ver : industri and indusrial london, Heirmann 1960.
- 31-C.BouNi : l'enseu des induction du developpement, notions, sciences et sociétés, N°16(3) 1998.
- 32-L'Binder, J.coleman ,Grises and sequences in ; political development, princotoprinceten, university press, 1971.
- 33-Samtatna « the pealm of metter » in : the « realms of beinf »
- 34-Al Berta, Hisschman, the strategy, of h.comermic development c yale university, u.s.a1958.

باللغة الإسبانية:

- 35-Jordi pigen, la opisece, pe occide Nie, Modernidad y ecos of ia editorial kairos numancia., Barcelona,1993.
- 36-Jordi digen Buerna crisis, Hacia un Hundo postmaterialista, prologe de Alex povira ; numancia , Barcelona E.spana 2009.
- 37-jordi pigen.

قائمة المراجع:

- 1- إحسان حفصي، علم اجتماع التنمية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004.
- 2- احمد عبد العظيم محمد، أسس التنمية الشاملة في المنهج الإسلامي، سلسلة وبحوث اقتصادية مركز مصالح كامل، جامعة الازهر، 1997 .

- 3- أم بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة د. عزت قرني، سلسلة كتب شهرية، عالم المعرفة، الكويت، صدرت السلسلة في يناير 1978 .
- 4- الياس بلكا، الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي هرنندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، 2008.
- 5- إبراهيم مصطفى: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، الناشر، دار الوفاء لدينا، الطباعة والنشر، إسكندرية، الطبعة 1، 2000.
- 6- ابراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، دار الشروق القاهرة، الطبعة الأولى، 2000.
- 7- أنطوني جيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة: أديب يوسف شيش، الهيئة العامة السورية للكتاب، بدون سنة .
- 8- أ-اوولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، ترجمة: ابو العلا عفيفي، التأليف والترجمة والنشر سلسلة المعارف العامة، القاهرة، (مصر)، ط1، 2017.
- 9- ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي: دار الأندلس، بيروت، (لبنان) ط3، 1983.
- 10- أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تعريب، أخيل أحمد خليل، دار الفارابي، الطبعة 01 2008.
- 11- بركلي، المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلوفوس، ترجمة يحيى هودي .
- 12- بول جانية، جبريل سياي، مشكلات ما بعد الطبيعة، ترجمة حجي هويدي، القاهرة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2005.
- 13- تودجي باكولز، أفكار جديد في الاقتصاديين الراحلين، ترجمة كوثر محمود، محمد حسين التلاوي، بدون دار النشر، بدون سنة.
- 14- حسين علي، ما هي الفلسفة، دار للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، بيروت (لبنان).

- 15- حنا اسعد فهمي، تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، طبعة اليوسفية بجوار بوسنة باب الخلق بمصر، الطبعة الأولى، 1921.
- 16- جون كينيث جاليريث، تاريخ الفكر الاقتصادي بين الماضي وصور الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بيع، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية الكويت، ايلول، 2000.
- 17- جاسم سلطان، خطوات الأولى نحو فهم الاقتصاد، الناشر مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، الطبعة 2، 2010.
- 18- جورج بوليتزر، جي بيس موريس كافين: أصول الفلسفة الماركسية، تعريب شعبان بركات، الجزء الأول، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت بدون سنة .
- 19- حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة كتب ثقافية الكويت، الطبعة الثانية، 1998.
- 20- دنيس كونش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: د. منير السعيداني المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (لبنان)، الطبعة الاولى، 2007.
- 21- رفعت المحجوب، دراسات اقتصادية إسلامية، دار الشباب للطباعة، القاهرة 1986.
- 22- روجي غاروري، النظرية المادية في المعرفة، تعريب إبراهيم قريط، دار دمشق، دون سنة.
- 23- راكيترف، أسس الفلسفة، ترجمة موفق الدليمي، دار التقدم، في الإتحاد السوفييتي، 1989.
- 24- رينيه يسرو، هيجل والهيغلية، ترجمة: أدونيس العكره، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى فبراير 1993.
- 25- رؤوف عبيد، الإنسان روح لا جسد بحث في العلم الروحي الحديث، الجزء الأول، دار الفكر العربي، الطبعة 2، 2001.
- 26- ريتشارد شاخ: رواد الفلسفة الحديثة.
- 27- ستالين: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، دار دمشق للنشر، 2008.
- 28- السيد الحسيني، التنمية والتخلف، مصر، دار المعرفة، القاهرة، 1996.

- 29- سوسن عثمان عبد اللطيف، دراسات في التنمية المحلية، القاهرة، معهد العالي، للخدمة الاجتماعية، 1979.
- 30- السيد ولد أباه، إعلام الفكر العربي، مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.
- 31- شوقي، عبد المنعم، تنمية المجتمع وتنظيمه، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الثانية، 1961.
- 32- الطاهر ليب، الياس بيضون، الموسوعة العربية، المعرفة من أجل التنمية المستدامة، المجلد الثالث البعد الاجتماعي، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 2007.
- 33- طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (المغرب)، الطبعة الأولى، 2000.
- 34- طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الانتمائي لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014.
- 35- عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف، اسكندرية، 1967.
- 36- عوض سمعان الله، بين الفلسفة والمسيحية، دار النشر المدينة، الطبعة الأولى، 1919.
- 37- عاطف غيث، التنمية بين النظرية وواقع العالم الثالث، تقديم، لمريم أحمد مصطفى عبد المجيد دار المعرفة، الجامعية، مصر، 1990.
- 38- عبد الحميد الغزالين، حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، دار الوفاء، 01، 1989.
- 39- علي لطفي، التنمية الاقتصادية، دراسة تحليلية، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1980.
- 40- علي الدين هلال، نحو إطار نظري لتحليل عملية التنمية السياسية في الوطن العربي، قضايا عربية، السنة الثامنة، العدد الأول، يناير، (كانون الثاني) 1981.
- 41- علي مولا، الاقتصاد العالمي الحي، ترجمة، لبنى حامد عامر، الدار العربية للعلوم ناشرون ط1، 2010.

- 42- صموئيل طلعت، العلم اللامعقول، إشكالية العلاقة بين الدين والعلم، الطبعة الأولى، يناير دار الداعي، الصالح للطباعة والتوريدات، إسكندرية، 2015.
- 43- صبري محمد خليل، مقدمة في الفلسفة وقضاياها، الجمعية الفلسفية للطلاب جامعة (الخرطوم) 2005.
- 44- غازي القصبي، التنمية الأسئلة الكبرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الطبعة الأولى، 1996.
- 45- عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة كتب ثقافية، يناير 1989.
- 46- عبد القادر محمد عبد القادر عطية، اتجاهات حديثة في التنمية، الدار الجامعية، الاسكندرية (مصر)، 2000.
- 47- عبد الكريم بكار، مدخل في التنمية المستدامة رؤية إسلامية، دار القلم دمشق، ط4 2011.
- 48- العسل إبراهيم، التنمية في الإسلام، مفاهيم، مناهج وتطبيقات، بيروت، (لبنان)، 1996.
- 49- فؤاد زكريا، نظرية المعرفة، والموقف الطبيعي للإنسان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2005.
- 50- فلهلم دلتاي، تاريخ هيجل في شبابه، في مجموعة المؤلفات ليتسبح 1921 المجلد الرابع.
- 51- فضل الله محمد إسماعيل وعبد الرحمن خليفة، مدخل في الإيديولوجيا والحضارة، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، (مصر)، 2006.
- 52- فؤاد زكريا، آفاق الفلسفة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، (لبنان)، الطبعة الأولى 1988.
- 53- فرها محمد، على التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور إسلامي، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر الطبعة الأولى، 1994.
- 54- القرشاوي، حامد، تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي الكويت، 1978.

- 55- قالتركون، ماكس سكلر، علم الأصول اللاهوتية، منشورات المكتبة البولسية، ط1  
2000.
- 56- كامل التابعي، التنمية البشرية دراسة حالة مصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2006.
- 57- كامل عبد المالك، ثقافة التنمية، دراسة في اثر الرواسب الثقافية على التنمية المستدامة، دار  
المحروسة، القاهرة 2008.
- 58- كريم متى، الفلسفة الحديثة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2011.
- 59- كارل ماركس، رأس المال، ترجمة راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، الجزء الثاني  
القاهرة، (مصر)، 1948.
- 60- محمد مدحت مصطفى، سهير عبد الظاهر أحمد، النماذج الرياضية للتخطيط والتنمية  
الاقتصادية، مصر، 1999.
- 61- محمد إبراهيم أبو شاوي، النظم الاقتصادية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010.
- 62- محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي والتغيير والتنمية السياسية، دار المعرفة الجامعية  
الإسكندرية، 1986.
- 63- محمد الجوهري، علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1980.
- 64- محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، الشبكة العربية للأبحاث والشر، ط1، 2008.
- 65- محمد جواد نفنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار مكتبة الهلال دار الجواد  
بيروت، (لبنان).
- 66- محمد شفيق، التنمية الاجتماعية دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، مصر، المكتب  
الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.
- 67- محمد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط10  
2009.
- 68- محمد عابد الجابري: اشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية  
بيروت، (لبنان)، ط1، 1989.



- 69- محمد عارف، المنهج في علم الاجتماع في ضوء نظرية التكامل المنهجي، مكتبة الأنجلو  
مصرية، القاهرة، ط2، 1975.
- 70- محي الدين نصرت وآخرون، تنمية المجتمعات الريفية، مقال في المركز القومي للبحوث  
الاجتماعية الجنائية، القاهرة، 1971.
- 71- محمد عبد العزيز عجمية، محمود العقاد وآخرون مقدمة في التنمية والتخطيط، دار النهضة  
العربية، بيروت، 1983.
- 72- مريم أحمد مصطفى، التنمية بين النظرية وواقع العالم الثالث، القاهرة، دار المعرفة، الجامعة  
1966.
- 73- محمد جواد، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار مكتبة الهلال، بيروت، دون سنة.
- 74- معلوف، لويس، المنجد في اللغة، دار الشرق، ط35، 1996.
- 75- ماجد السامرائي، الثقافة والحرية قراءة في فكر طه حسين، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع  
دمشق ن الطبعة الأولى، 1996.
- 76- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم  
115، 1987.
- 77- محمد عبد الرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها من المرحلة الهيلينية، مؤسسة عز  
الدين، الطبعة الأولى، 1993.
- 78- محمد زيدان، نظرية المعرفة عند مفكرين الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، مكتبة المتنبئ  
المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 2012.
- 79- محمد توفيق الضوي، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة في ميتافيزيقيا  
برادلي، النشار، منشأة المعارف بالإسكندرية، 2002.
- 80- موسى برهومة، التراث العربي والعقل المادي، قراءة في فكر حسين مروة، ط1، 2017.
- 81- محمد أركون وآخرون، التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة  
العربية بيروت، ط1، 1985.

- 82- نبيل السمالوطي، علم اجتماع التنمية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- 83- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينا الولايات المتحدة الأمريكية، 1981.
- 84- النبهان محمد فاروق، الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة 1988.
- 85- هوشيار معروف، دراسات في التنمية الاقتصادية، دار الصفا للنشر، جامعة البلقاء التطبيقية ط1، 2005.
- 86- قارن ولترستيس، فلسفة هيغل، المجلد الأول بعنوان (المنطلق وفلسفة الطبيعة) العدد الثالث من المكتبة الهيجلية، دار التنوير 1982.
- 87- يحي هويدي، باركلي، توابع الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، 13، 1960.
- 88- يوسف حامد التين، مبادئ فلسفة هيغل، دراسة تحليلية عن الإنسانية والألوهية في كتابات الشباب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1994.
- 89- ي، مولر الروح، والمطلق في تأسيس فلسفة الدين، تلائي هيغل في عالمه الفكري بادر بور، 1951.

#### قائمة المعاجم والموسوعات:

- 1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، الجزء الثاني دار الكتاب اللبناني، بيروت، (لبنان)، 1982.

- 2- ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، المجلد 15.
- 3- بدوي أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1997.
- 4- جورج طرابيشي، من معجم الفلاسفة، دار الطبيعة بيروت، الطبعة 03، 2006.

#### قائمة المجلات:

- 1- أرحال جعيلة و أ. بوخالفة رفيقة علم الاجتماع المركز الجامعي تيبازة، 2004.

2- بوضياف ياسين، التنمية الاقتصادية في الجزائر بين متطلبات الحاضر، ورؤية مستقبلية، جامعة الشلف، الجزائر.

قائمة المذكرات:

1- زهية قريوع، واقع وفاق التنمية البشرية في ظل العولمة دراسة حالة الوطن العربي، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، العلوم السياسية، جامعة باتنة 2009 .

2- محمد بومخلوف، التوظيف الصناعي وأثاره العمرانية، دكتوراه دولة معهد علم الاجتماع جامعة الجزائر، 1995.

3- سيد محمود سيد محمد: التنمية الاقتصادية في موريتانيا في ضوء التجربة السورية، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد والتجارة، 1988.

4- على بن سليمان بن سعيد الدرمني، رسالة ماجستير في العلوم السياسية التنمية السياسية ودورها في الاستقرار السياسي في سلطنة عمان (1981-2012) كلية الأدب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2012.

5- هدى بوفضة، رسالة مقدمة لنيل شهادة مذكرة الماجستير في الفلسفة ...الدين في بناء الحضارة في فلسفة آرنو لدنويبي المسيحية أنموذجا، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، سنة 2007-2008.

6-دراكة عمر، جامعة تيارت، ترجمة كتب الاسبانية .

# فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات

كلمة شكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ-ز

## الفصل الأول: السياقات التمهيديّة للبحث

المبحث الأول: السياق المفاهيمي ..... 8

1/ المذهب اللامادي "المفهوم والتأسيس" ..... 8

2/ التنمية "المفهوم وخلفياته" ..... 16

المبحث الثاني: السياق الكرونولوجي التاريخي "تطور المفهومين في تاريخ الفكر والفلسفة" .... 20

1/ كرونولوجيا المذهب اللامادي ..... 20

2/ كرونولوجيا التنمية ..... 28

المبحث الثالث: السياق الإشكالي للبحث ..... 40

- "العلاقة بين المذهب اللامادي والتنمية" ..... 40

## الفصل الثاني: المذهب اللامادي بين البعد النظري والبعد العملي "التنمية"

المبحث الأول: المذهب اللامادي عند جورج بركلي "المبادئ والمنطلقات المعرفية و الوجودية . 51

المبحث الثاني: قضايا ومشكلات التنمية ..... 61

أ- الجانب المعرفي "البعد المعرفي للتنمية" ..... 65

ب- الجانب النفسي والاجتماعي "الإنسان والمجتمع كمقومات للتنمية" ..... 73

ج- الجانب الاقتصادي "انعكاس التنمية في الجانب الاقتصادي" ..... 85

د- الجانب السياسي "انعكاس التنمية في الجانب السياسي" ..... 99

المبحث الثالث: الخلفيات اللامادية لقضايا ومشكلات التنمية ..... 109

## الفصل الثالث: العلاقة الجدلية بين اللامادية والتنمية "البعد النظري في علاقته بالبعد العملي"

المبحث الأول: مزلق وسلبيات المذهب المادي الصرف في تحقيق التنمية الحضارية

-نقد و تقييم فكر حسين مروة، و فكر الطيب التيزيني.....121

المبحث الثاني: ايجابية وفعالية المذهب اللامادي (الروحي/العقلاني) في تحقيق التنمية الحضارية.

-يمكن الاستناد على فكر مالك بن نبي، و فكر طه عبد الرحمن.....130

المبحث الثالث: التنمية الروحية أساس التنمية المادية. "الثقافة تسبق الحضارة وتؤسس لها" .. 144

المبحث الرابع: نظرة نقدية تقييمية عامة في نتائج واستراتيجيات التنمية (وضعية الانسان والمجتمع)

.....154

خاتمة ..... 167

فهرس المصطلحات.....171

قائمة البيبليوغرافيا ..... 173

فهرس المحتويات

## الملخص:

تعتبر مشكلة المذهب اللامادي "فكرة الألوهية" الفكرة المركزية في الفلسفة المثالية، حيث أرادت أن تجعل الظواهر الطبيعية للعالم مجرد ظواهر عقلية، وتحول الواقع إلى عقول وأفكار للمعرفة وهي من فعل إلهي يطبع الأفكار في العقول الإنسانية ومعرفتنا بالأفكار في حقيقتها، وهي ترفض مبدأ التجريد لأن الإحساسات هي والإدراكات الحسية أفكار طبعها الله في عقولنا، ولكن الواقع يعكس لنا ذلك من خلال علاقتنا بالتنمية التي شغلت اهتمام الباحثين في حقل علم الاجتماع بالخصوص، باعتبارها أنها أخذت على أساس كونها قضية مصيرية جاءت بعد حصول الدول النامية على استقلالها السياسي، فإن مشكلة المذهب اللامادي في قضايا الفكر والتنمية، وهذه الأخيرة لا تقوم على المقومات المادية فقط، بل هي تستند على المقومات والمبادئ الروحية التي تتعلق بتكوين الإنسان وفعالية المجتمع وتطوير الاقتصاد والسياسة من منطلق روحي.

**الكلمات المفتاحية:** المذهب اللامادي- فكرة الألوهية- قضايا الفكر - التنمية- المذهب المادي.

## **Summary:**

The problem of the immaterial doctrine, the idea of divinity, is the central idea in the ideal philosophy, where it wanted to make the natural phenomena of the world merely mental phenomena. It rejects the principle of abstraction because the perceptions and perceptions are ideas that God has printed in our minds, but the reality reflects his through our relationship to development, which occupied the interest of researchers in the field of sociology in particular, as it was taken on the basis of being a fateful issue came after developing countries. Its political independence C, the problem of the immaterial doctrine in the issues of thought and development, and the latter is not based on material elements, but it is based on the components and spiritual principles that relate to the formation of man and the effectiveness of society and the development of economy and politics from a spiritual point of view.

**Keywords:** Intangible Doctrine, Idea of Divinity, Thought Issues, Development, Materialism.

## **Résumé:**

Le problème de la doctrine immatérielle, l'idée de divinité, est l'idée centrale de la philosophie idéale, dans laquelle elle souhaitait faire des phénomènes naturels du monde de simples phénomènes mentaux. Il rejette le principe de l'abstraction parce que les sensations et les perceptions sont des idées que Dieu a imprimées dans nos esprits. Son indépendance politique C, le problème de la doctrine immatérielle dans les questions de pensée et de développement, et ce dernier n'est pas basé sur des éléments matériels, mais sur les composants et principes spirituels qui se rapportent à la formation de l'homme et à l'efficacité de la société et au développement de l'économie et de la politique d'un point de vue spirituel.

**Mots-clés:** Doctrine immatérielle, Idée de divinité, Problèmes de pensée, Développement, Matérialisme.